الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير القرآن
بالقراءات القرآنية العشر

من خلال سور: الأنفال والتوبة ويونس

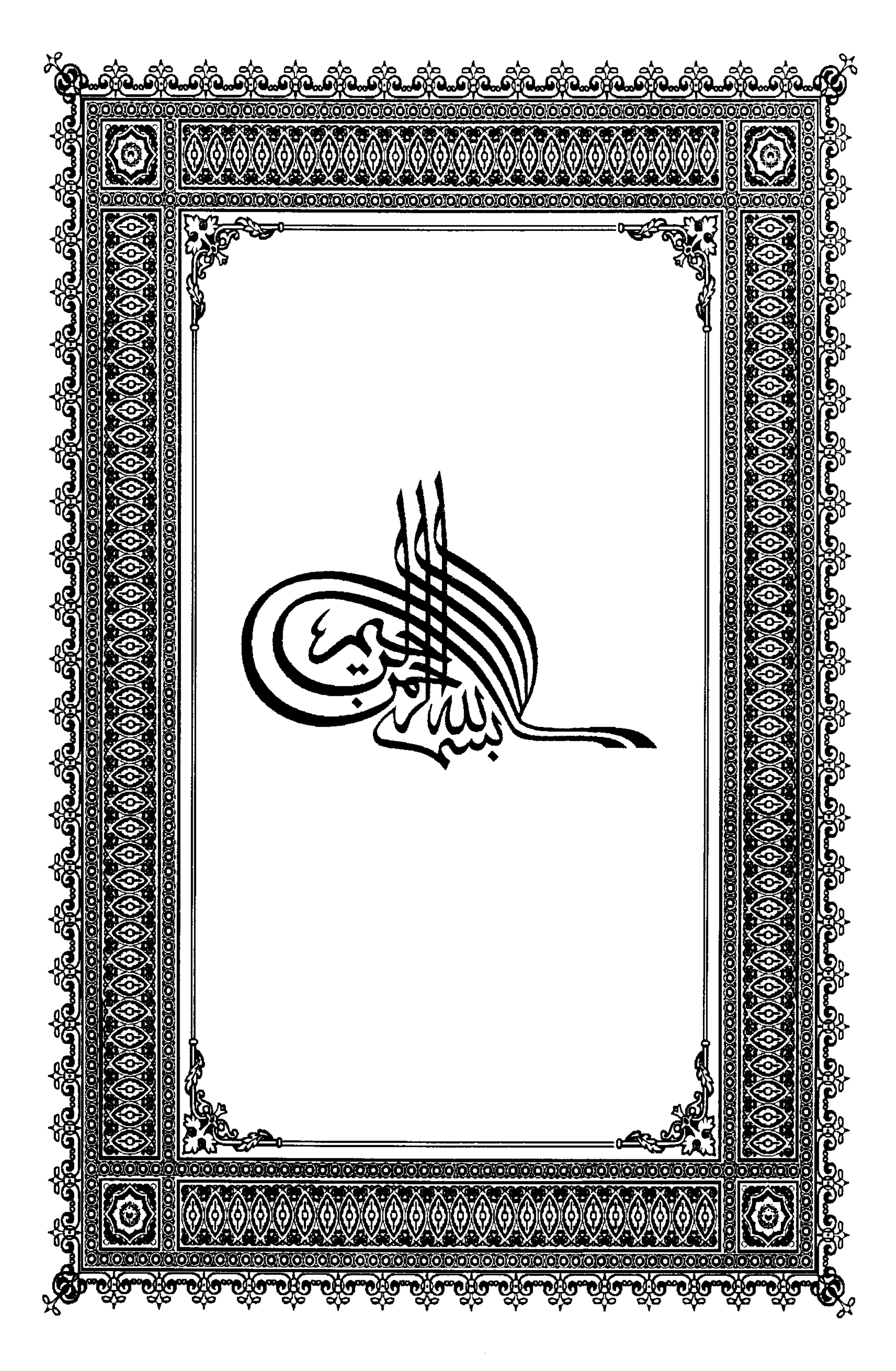
إعداد الباحثة:
أحلام مصباح أبو شعبان

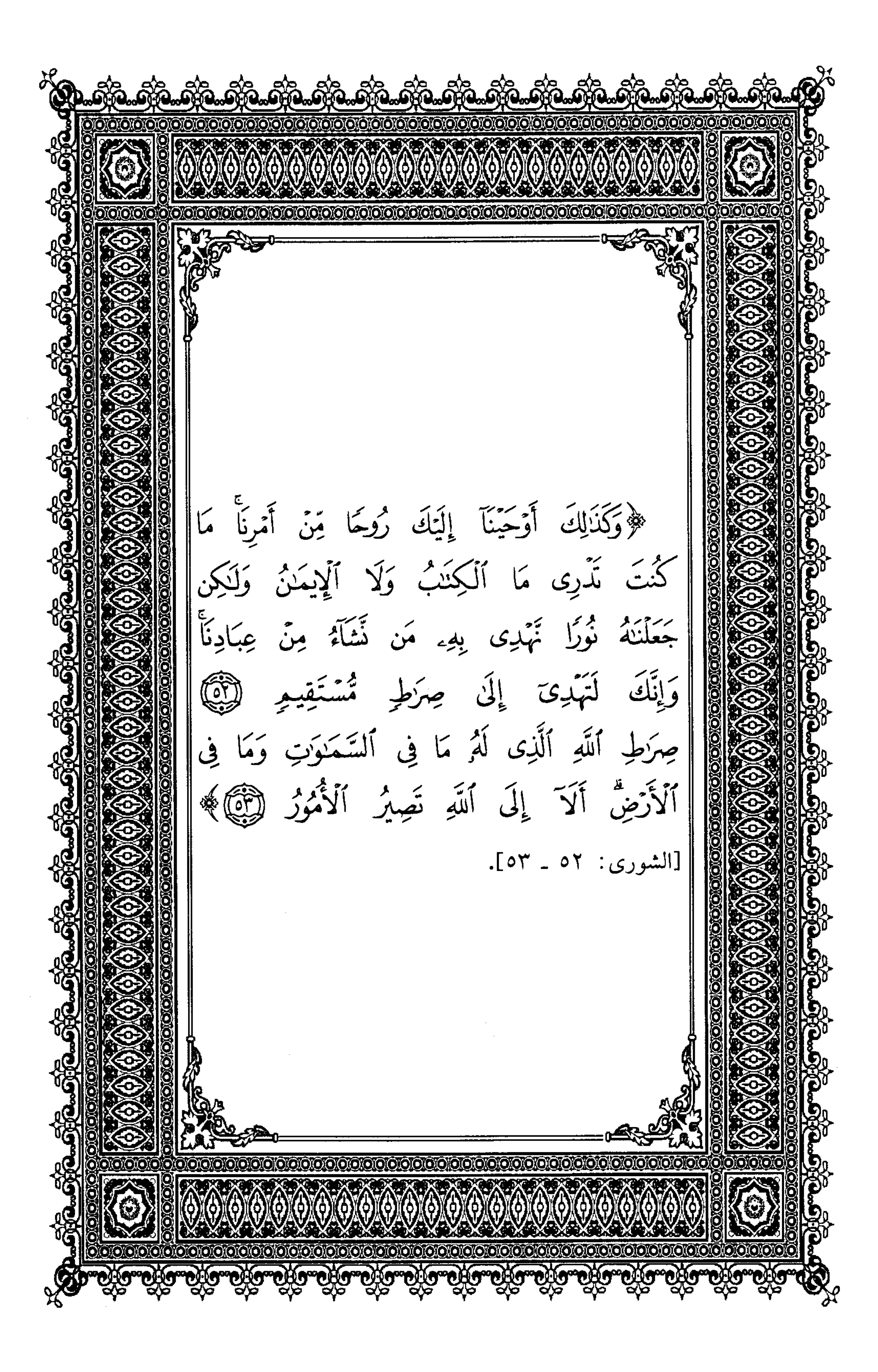
إشراف:
د. زهدي أبو نعمة

ضبط ومراجعة
د. مروان أبوراس

الجزء الرابع

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير (بحث تكميلي) في قسم تفسير القرآن وعلومه بكلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية رجب ١٤٢٧هـ ـ أغسطس ٢٠٠٦م


بسم الله الرحمن الرحيم



﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

[الشورى: ٥٢ - ٥٣].



شكر ووفاء

استرشاداً بقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [لقمان: ١٢] فإنني أولاً أحمد الله ﷻ وأشكره كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أن منّ على شعب فلسطين بهذه الجامعة الشامخة وحفظها حتى أصبحت بهذا المجد.

ثم أشكر والدتي وأسرتي على ما بذلوا معي من جهد، وما صبروا عليّ وما تحملوا من عناء.

وإنني لأتقدم بالشكر الكبير، والتقدير العظيم إلى أستاذي الجليل فضيلة الدكتور: زهدي أبو نعمة ـ حفظه الله ـ على قبوله الإشراف على هذا البحث وعلى الجهد الكبير الذي بذله فيه حتى وصل إلى هذه الصورة فجزاه الله خيراً.

كما وأتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى كل من أستاذيَّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور: عبد السميع العرابيد.

وفضيلة الدكتور: زكريا الزميلي.

اللذين تفضلا بقبول المناقشة، ولما بذلا من جهد مثمر في نقده وتنقيحه، فأسأل الله أن يحسن ثوابهما.

وإنني لأتقدم بخالص الشكر لكل من بذل معي جهداً كريماً وأخص

بالذكر الأستاذ رائد الداية وزوجي الأستاذ بشير العشي اللذين قاما بقراءة البحث وتنقيحه لغوياً.

والشكر موصول لأساتذتي الكرام الذين زرعوا فينا الرغبة في البحث في هذا المجال وأخص بالذكر د. عبد الرحمن الجمل، د.مروان أبو راس، د.زكريا الزميلي.

والشكر موصول أيضاً لكل من ساهم بالطباعة والتنسيق وخاصة الذين بذلوا الجهد الأكبر فيها ابني ياسر، والمهندس عمر سمور، والأخت منى بشير.

والشكر موصول أيضاً إلى العاملين في المكتبة المركزية في جامعتنا الغراء الجامعة الإسلامية.

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة إنه وليُّ ذلك والقادر عليه...

الباحثة

أحلام مصباح أبو شعبان

الفصل الأول
تفسير سورة الأنفال في ضوء القراءات القرآنية العشر

المبحث الأول
بين يدي السورة

سورة الأنفال سورة مدنية، عدد آياتها خمس وسبعون آية حَسَب المُصحف الكوفي، وقيل ست وسبعون حسب المصحف البصري والحجازي، وقيل سبع وسبعون حَسَب المصحف الشامي[١] (وذلك بحسب ما ثبت عن طريق النقل في وقفات الرسول ﷺ)[٢].

نوع السورة:

وقد صرَّح كثيرٌ من المفسرين، أنَّ سورة الأنفال مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً[٣]. كما أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: «قلت

(١) انظر [الإتقان (٢١٣/١)، مجمع البيان في تفسير القرآن: للشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (٩٧/٣) ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مجمع البيان)].

(٢) انظر [مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م].

(٣) انظر [أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (٢٥١/٩) الناشر مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر ـ تصحيح محمد سالم محيسن (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير البيضاوي)، في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك (١٤٣٧/٩) ـ المكتب المصري الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي في رحاب التفسير)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبه الزحيلي (٢٣٦/٩) دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التفسير المنير)].

لابن عباس ﷺ سورة الأنفال قال: نزلت في بدر»[٤]. وذكر القرطبي[٥]: «أنها مدنية بدرية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء . . .» ثم قال: «وقال ابن عباس: وهي مدنية إلاّ سبع آيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾. . . إلى آخر السبع آيات [٣٠ ـ ٣٧]»[٦].

وقد رجح سيد قطب القول الأول فقال عن هذه الآيات السبع: «والقول بأنّ هذه الآيات مدنية كالسورة كلها هو الأولى»[٧]. وهذا ما أراه في ذلك.

أسماء سورة الأنفال:

ذكر علماء التفسير عدة أسماء لسورة الأنفال حيث سميت بـ:

(١) الأنفال:

فقد عُرفت بهذا الاسم منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه، عن سعيد بن جبير قال: «قلت لابن عباس ﷺ: سورة الأنفال قال: نزلت في بدر»[٨].

وأخرج النيسابوري[٩] في مستدركه عن عبادة بن الصامت ﷺ بهذا

---

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٥) انظر [فتح الباري (٨/ ٣٦٠) ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ١ باب قوله (يسألونك عن الأنفال . . .)].

(٥) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرح كنيته أبو عبدالله ولد بقرطبة بالأندلس حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضا. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط حتى وافته المنية في ٩ شوال ٦٧١هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهاً ومحدثاً ورعاً وزاهداً متعبداً.

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٣١٠/٧)، البحر المحيط (٤/٤٥٤).

(٧) في ظلال القرآن سيد قطب (١٤٣١/٩) ـ دار الشروق ـ ط ١٣ ـ سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الظلال).

(٨) سبق تخريجه عند بيان نوع السورة راجع الهامش رقم (٤) أعلاه.

(٩) الحاكم النيسابوري: أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري. من كبار المحدّثين ومن أصحاب الصحاح. اشتهر بكتابه (المستدرك على الصحيحين) ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور. رحل إلى العراق سنة ٣٤١ هـ وحج، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وفي سنة ٣٥٩ هـ ولي قضاء=

المعنى. وقال عنه: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»[١٠].

وذكر ابن عاشور في تفسيره: «بأنَّ اسم الأنفال عرفت بين المسلمين وبه كُتبت تسميتها في المصحف حين كُتبت أسماء السور في زمن الحجاج[١١]، ولم يثبت في تسميتها حديث»[١٢]. والظاهر أن سبب تسميتها بهذا الاسم، هو افتتاح هذه السورة بآية فيها اسم الأنفال، وبسبب ذكر حكم الأنفال[١٣].

(٢) الجهاد:

وتسمى سورة الجهاد حيث إنّه من السُّنة قراءتها عند لقاء العدو، وذلك لتنشيط المؤمنين وبث الطمأنينة والسكينة في قلوبهم[١٤].

أسباب نزول سورة الأنفال:

نزلت سورة الأنفال عَقب غزوة بدر، متحدثة عن هذه الغزوة وملابساتها، ورسمت الخطة التفصيلية للقتال ... ولقد روى الإمام الواحدي والإمام السيوطي في كتابيهما أسباب النزول عن سعد بن أبى

= نيسابور، ولُقِّبَ بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف.

(١٠) انظر [المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: ـ ٢٧ كتاب التفسير ـ ٨ باب تفسير سورة الأنفال رقم ٣٢٥٩ /٣٧٦ (٣٥٦/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ سنة١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المستدرك)].

(١١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) عام ٤٠هـ ـ ٦٦٠م ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة والطائف بعد قتله لعبد الله بن الزبير ثم أضاف إليها العراق، وهو أول من ضرب درهماً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، مات بواسط عام ٩٥هـ ـ ٧١٤م. انظر [الأعلام (١٦٨/٢)، معجم البلدان (٤٠٣/٥)، وفيات الأعيان (٢٩/٢ ـ ٥٤)].

(١٢) التحرير والتنوير (٢٤٥/٨).

(١٣) انظر [المرجع السابق (٢٤٥/٨)، في رحاب التفسير (٩ /١٤٣٧)].

(١٤) انظر [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ): خرج أحاديثة عبد الرازق غالب المهدي (١٨١/٣ ـ ١٨٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ سنة ٤١٥هـ ـ١٩٩٥م، (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي نظم الدرر)].

وقاص قال: «لما كان يوم بدر، قُتل أخي عمير، فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيْت به النبي ﷺ فقال: (اذهب فاطرحه في القَبَض)[(١٥)] بفتح القاف والباء وتعني المقبوض، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، فما جاوزت إلا يسيراً، حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي النبي ﷺ: (اذهب فخذ سيفك)»[(١٦)].

فضل سورة الأنفال:

ذكر علماء السِّير، أنَّ العلماء المجاهدين كانوا يحرِّضون الجيش الإسلامي على الجهاد، ويقرأون عليهم سورة الأنفال، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عند سرده عن موقعة القادسية، أنَّ القراء في الموقعة قرأوا آيات الجهاد وسوره[(١٧)].

مناسبة السورة لما قبلها «سورة الأعراف»:

ذكر كثير من المفسرين أنَّ: سورة الأعراف جاءت في بيان أحوال الرُّسل مع أقوامهم، وسورة الأنفال مبينة لحال الرسول ﷺ مع قومه[(١٨)].

---

(١٥) يقصد به الغنيمة قبل أن تقسم انظر [تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٥٠/٨) الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب ـ القاهرة ـ تحقيق عبد العظيم محمود، لسان العرب (٢١٤/٧) مادة قبض، منجد الطلاب في اللغة والأعلام ص ٥٧٠ ـ نظر فيه وقف على ضبطة فؤاد إفرام البستاني ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ط ٣٨ سنة ١٩٩١، لسان العرب (٢١٤/٧)].

(١٦) انظر [أسباب النزول: للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ) ـ تحقيق أيمن صالح شعبان ـ ص١٧٦ ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، أسباب النزول: للإمام السيوطي ـ دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر ـ ص١٩٣ ـ دار الفجر للتراث ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م. والحديث أخرجه ابن كثير في تفسيرة (٢٨٣/٢)، والترمذي في كتاب (التفسير) (٣٠٧٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»].

(١٧) انظر [البداية والنهاية (٤١/٧)].

(١٨) انظر [روح المعاني (١٤٧/٨)، تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي (١٦١/٩) ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـ ط٥ ـ سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير المراغي)].

مناسبة السورة لما بعدها (التوبة):

١ ـ سورة الأنفال تتحدث عن غزوة بدر وهي أول غزوة حدثت بين المسلمين والمشركين . . . وسورة التوبة تتحدث عن آخر غزوة حدثت بين المسلمين والمشركين وتحدد:

١ ـ العلاقات النهائية بين المسلمين وغيرهم حيث حدَّدت:

أ ـ العلاقات النهائية بين المسلمين والمشركين.

ب ـ العلاقة النهائية مع أهل الكتاب.

٢ ـ في الأنفال بيان العهود والوفاء بها وتقديسها، وفي براءة نبذ العهود.

٣ ـ ذُكر في السورتين صدُّ المشركين عن المسجد الحرام، والترغيب في إنفاق المال في سبيل الله، وتفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب، وبيان أوضاع المنافقين[١٩].

مقاصد سورة الأنفال:

١ ـ المقصد الأساسي من السورة هو بيان أنَّ الأمر أعظم وأكبر من الغنائم والأموال، وأنَّ غاية الأمر هي أن تكون كلمة الله هي العليا.

٢ ـ بيان أنَّ النصر كله من عند الله تعالى تمثَّل في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ. . . وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ. . .﴾، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

(١٩) انظر [التفسير المنير (١٠/٩٢)].

٣ ـ بيَّن الله تعالى في هذه السورة، أنَّ الأمور كلَّها بيد الله والاعتصام كذلك، فحثهم على التبرؤ من الحَوْل والقوة، وعلى التسليم لأمر الله، فأتى بقصة الأنفال التي اختلفوا في أمرها، فمنعهم الله منها، وأعطاه لنبيه ﷺ ثم لما صار الأمر له ﷺ رده فيهم، منَّةً عليهم وإحساناً لهم[٢٠] وقد قال عَبادة بن الصامت عن سورة الأنفال: «فينا يوم بدر نزلت، وكان الناس على ثلاثة منازل: ثلثٌ يقاتل العدو، وثلثٌ يجمع المتاع ويأخذ الأسرى، وثلثٌ عند الخيمة، يحرس رسول الله ﷺ، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه، فقال الذين جمعوه وأخذوه: قد نفل رسول الله ﷺ، كل امريء منّا ما أصاب فهو لنا دونكم، فقال الذين يقاتلون العدو ويطلبونه: والله لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا القوم، وقال الحرس: والله ما أنتم بأحق به مِنّا، لقد رأينا أن نقاتل العدو حين منحنا الله أكتافهم، أن نأخذ المتاع حين لم يكن أحد يمنع دونه ولكننا خفنا غرَّة العدو على رسول الله ﷺ فأقمنا دونه، قال: فانتزعها الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله ﷺ فقسَّمه على السواء، لم يكن فيه يومئذ خُمس فكان فيه تقوى الله وطاعته وطاعة رسول الله ﷺ وصلاح ذات البين»[٢١]. من ذلك نخلص إلى أنه من أهداف سورة الأنفال، معالجة وإصلاح نفوس وأخلاق الصحابة الذين اختلفوا على توزيع الغنائم والأنفال التي غنموها في جهادهم لإعلاء كلمة الله.

٤ ـ تضمنت هذه السورة كثيراً من التشريعات وخاصة الحربية التي تتعلق بالجهاد في سبيل الله، فكانت هذه الغزوة في رمضان في السنة الثانية للهجرة هي أول غزوة كبيرة بين المسلمين والمشركين، فأرادها الله أن تكون

---

(٢٠) انظر [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (١٨١/٣) ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ خرج آياته وأحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي نظم الدرر)].

(٢١) المستدرك ٢٧ ـ كتاب التفسير ـ ٨ باب تفسير سورة الأنفال ـ رقم ٣٧٦/٣٢٥٩ (٣٥٦/٢) . وقد علق على هذا الحديث الحاكم النيسابوري وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

فرقاناً بين الحق والباطل، والكفر والإيمان، ولذلك سمى يومها ﴿ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال: ٤١].

٥ ـ أراد الله سبحانه في هذه الغزوة أن يعلّم المؤمنين عوامل النصر والهزيمة؛ لذلك تضمنت هذه السورة الكثير من دستور النصر والهزيمة، والسلم والحرب، والغنائم والأسرى والمعاهدات، وأيضاً تضمنت واجبات المجاهدين في الإعداد والاستعداد ثم ترك الأمر لله بعد ذلك ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ١٠].

٦ ـ كشفت هذه السورة عن مشاهد من الغزوة، وحركات النفوس قبل المعركة وفى ثناياها وبعدها مشاهد حيةٌ، كأن القارىء يراها، فيتجاوب معها تجاوباً عميقاً، فكان مشهدهم قبل المعركة وهم يتضرَّعون إلى الله ويستغيثون به، وخاصة الرسول ﷺ فقد أجاب الله ضراعتهم، فهيأ لهم ظروف تلك المعركة، حتى تم النصر للمؤمنين رغم قله عددهم.

٧ ـ استطراد السياق إلى جانب المعركة أحياناً إلى صور من حياة الرسول ﷺ وصحابته في مكة، وهم قليلون مستضعفون في الأرض، وذلك حتى يذكروا فضل الله عليهم عند النصر.

٨ ـ قررت هذه السورة سنة الله في الأرض، حيث ينصر أولياءه ويدمر أعداءه، فجاء بصور أخرى في هذه السورة من حياة المشركين قبل وبعد الهجرة، وأمثلة من مصائب الكافرين من قبلهم ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال: ٥٢].

٩ ـ جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين في ثنايا سرد أحداث بدر، تنادي المؤمنين ست مرات بوصف الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ حتى يصبروا ويثبُتُوا في مجاهدتهم أعداء الله، ولكي تذكرهم بأن النصر الذي نالوه سببه شدة إيمانهم، لا بكثرة السلاح والرجال ويدل على ذلك النداءات التالية:

أ ـ **النداء الأول**: في قوله تعالى: ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: ١٥].

يأمرهم الله ﷻ في هذا النداء بالثبات في الميدان، ويحذرهم من الفرار من المعركة، حيث توعد الفارّين بأشد العذاب، وغضبٍ منه سبحانه.

ب ـ **النداء الثاني**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

اشتمل هذا النداء على الأمر بطاعة الله ورسوله لأنه هو طريق النصر.

ج ـ **النداء الثالث**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

فيه الاستجابة لله وللرسول؛ لأن ما يدعوهم إليه، فيه حياتُهم وسعادتُهم في الدنيا والآخرة.

د ـ **النداء الرابع**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

فقد دعاهم إلى ترك الخيانة، والبعد عن إفشاء أسرار الأمة.

هـ ـ **النداء الخامس**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

دعاهم إلى تقواه، وبيَّن لهم ثمرة هذه التقوى، التي من أعظمها النور الرباني الذي يبصر صاحبه بالحق والعدل وطريق الهدى عن الضلال.

و ـ النداء السادس: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

ففي هذا النداء، يأمرهم الله ـ عز وجل ـ، بالصبر والثبات عند ملاقاة العدو، والإكثار من ذكر الله بألسنتهم؛ ليُستمطَروا نصرة الله وتأييده لهم[٢٢].

وقد ختمت السورة الكريمة، ببيان أنَّ المسلمين أمة واحدة، والولاية والتناصر واجبة بينهم، وأن الكافرين أمة واحدة، ولا ولاية بين الكافرين والمؤمنين.

(٢٢) انظر [الظلال (٣/١٣٦٨ ـ ١٤٦٩)، صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ـ (١/٤٩١ ـ ٤٩٢) ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ط٤ سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي صفوة التفاسير)، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن: د.عبد الله محمود شحاته ـ (١/١٠١ ـ ١٠٨) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أهداف كل سورة ومقاصدها)].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة الأنفال
المتضمنة للقراءات العشر

١ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ويعقوب (عَلَيْهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (عَلَيْهِمْ) بكسر الهاء[٢٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

لا بد أن نشير هنا إلى أن ضم الهاء من لغة أهل الحجاز، أما غيرهم فيكسرها، جاء في «شرح الكافية»: «وحركة هاء المذكر ضمة، إلا أن يكون

(٢٣) انظر [في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة: فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه وإشراف محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية. ـ ص١٧٧ ـ دار المهاجر للنشر والتوزيع ـ ط٤ ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة)، اتحاف فضلاء البشر (٢/٧٦)].

قبلها ياء أو كسرة؛ فإن كان قبلها إحداهما، فأهل الحجاز يبقون ضمتها ويقولون: (بِهُو) و(لَدَيْهُو) وغيرُهم يكسرونها»[٢٤].

ويذكر أنَّ العلّة في كسر الهاء أنّه حرفٌ خفيف، حيث إنه حاجزٌ غير حصين، فكأن الواو الساكنة وَليت الكسرة أو الياء، فقلبت ياء ولأجل الياء بعد الهاء كُسرت الهاء[٢٥]. وأما الضم فجاء الشارح في تعليل ما قرأ به عن حمزة[٢٦] أنَّ ذلك؛ لكون الياء فيها بدلاً من الألف، فأعطى الياء حكم أصلها، وقد جاء عَلَاه، وإلاَه، ولَدَاه على الأصل (عليهم ـ إليهم ـ لديهم) كان حمزة يخصهم بالضم. ولم يرتض الشارح هذا التعليل، واختار تعليلاً غيره بقوله: «ولعل ذلك لاتباع الأثر»[٢٧].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

في هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى المؤمنين بثلاث صفات، تدل على وجوب التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله التي ذكر في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١] فلمّا أمر ونهى هيج وألهب فقال: مبيناً كون الإيمان، مستلزماً للطاعة (إن كنتم مؤمنين) أي صادقين في دعوى الإيمان، فلا يكون مدعي الشيء صادقاً في دعواه، حتى يحصل البيان بالامتحان، لذلك جاء في الآية التي

---

(٢٤) شرح الرّضِيّ على الكافية: رضي الدين الإستراباذى ـ (٢/٤٢١) ـ كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م. تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي شرح الرّضيّ).

(٢٥) انظر [المرجع السابق (٢/٤٢١)].

(٢٦) حمزة الزَيَّات: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التَّيْميّ، وُلد سنة ثمانين، وأدرك الصحابة بالسن ويحتمل أن يكون رأى بعضهم، كان إماماً حجةً، قيماً بكتاب الله تعالى، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية، وفي السنن الأربعة انتهت إليه إمامة الإقراء في الكوفة بعد عاصم والأعمش، توفي ـ رحمه الله ـ بحلوان سنة ست وخمس ومائة.

(٢٧) انظر [شرح الرضيّ (٢/٤٢٣)].

تليها بالتأكيد (إنما المؤمنون) أي المؤمنون حقاً المخلصون، الصادقون في دعوى الإيمان، والكاملوا الإيمان هم الذين اجتمعت فيهم هذه الخصال[28]. قال أبو حيان[29]: «أخبر عنهم بموصول وصل بثلاث مقامات عظيمة: مقام الخوف ـ من الله سبحانه ـ، ومقام الزيادة في الإيمان، ومقام التوكل على الرحمن»[30]. ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الذين إذا ذكر اسم الله نُزعت قلوبهم وفَرِقت، ورهِبَت لمجرد ذكره، استعظاماً لشأنه، وتهيباً منه ـ ﷻ ـ[31] قال الزَّجاج[32]:

«إذا ذكرت عظمة الله وقدرته، وما خوف به من عصاه، وجِلَت قلوبُهم أي فزعت»[33]. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي إذا تليت عليهم آيات القرآن الكريم يزداد يقينهم وتصديقهم بالله[34] فوجْهُ ذلك: أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم؛ لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن التدبر من أعمال

(٢٨) انظر [نظم الدر (١٨٤/٣)، تفسير المراغي (١٦٤/٩)].

(٢٩) أبو حيان الأندلسي: أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي النفْزي، (ونفزة بلد في المغرب)، الأندلسي، عالم دين مسلم من أهل السنة والجماعة الأشاعرة، وهو من علماء التفسير، وله من المؤلفات في هذا المجال: «البحر المحيط» والذي اختصره في «النهر الماد»، وهو أيضا من علماء النحو والصرف، وله كتاب «ارتشاف الضرب من لسان العرب». ولد في غرناطة أواخر شوال سنة ٦٥٤ هـ ١٢٥٦م، وتوفي في القاهرة سنة ٧٤٥ هـ.

(٣٠) انظر [تفسير البحر المحيط (٤٥٧/٤)].

(٣١) انظر [صفوة التفاسير (٤٩٤/١)].

(٣٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السُّرى بن سهل، لقّب بالزجّاج، لأنه كان يحترف خراطة الزجاج، عاش في بغداد، وأخذ عن ثعلب والمبرد، وولد عام ٢١٤هـ وتوفي عام ٣١١هـ . انظر [البداية والنهاية (١٥٨/١١)، طبقات النحويّين واللغويّين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ) ص١١١ ـ ١١٢ ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ط٢ ـ تحقيق: محمد أبو الفضل، الأعلام (٤٠/١)].

(٣٣) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت سنة ٣١١هـ) (٤٠٠/٢) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٥٨٨م ـ شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبدو شلبي.

(٣٤) انظر [صفوة التفاسير (٤٩٤/١)].

القلوب[٣٥]. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ عليه وحده لا شريك له يعتمدون، فهم لا يرجون غير الله، ولا يرهبون سواه فلا تكمل أعمالهم إلا بالتوكل على الله[٣٦].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

رغم أنَّ هذه القراءات هي لغات إلا أنه يمكن تفسيرها، لقد اتفق علماء اللغة قديماً وحديثاً على حقيقة لُغوية، وهي أنَّ الضمة أثقل الحركات وأقواها، ثم تليها الكسرة، ثم تليها الفتحة. ولعل السبب في ثقل وقوة الضم، أن النطق به يحتاج إلى جهد عضلي، حيث إن الضم ينشأ من ضم الشفتين أولاً، ثم رفعهما ثانياً ولا تحتاج الفتحة والكسرة إلى ذلك، فالكسر ينشأ من انحدار اللحي الأسفل إلى أسفل انحداراً قوياً، أما الفتح فينشأ من مجرد فتح الفم[٣٧] قال ابن جني[٣٨]: «فجعلوا الضمة لقوتها فيما يكثر حجمه، والكسر لضعفها فيما يقل بل يعدم ارتفاعه»[٣٩]. وعلى هذه الحقيقة أستطيع أن أفسر قراءة الضم (عَلَيْهِمْ) بأن المؤمنين وصفهم الله في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره، وحصول الزيادة والقوة في الإيمان عند سماعهم لتلك الآيات وذلك يتناسب مع ثقل حركة الضم بثقل وعظمة وقوة الإيمان في قلوبهم، وعِظم الخوف من الله، فيقينُهُم لا يتطرق إليه شك. لذلك لم

---

(٣٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ (٢٩٤/٩) ـ مكتبة الصفا ـ مطابع دار البيان الحديثة ـ ط١ ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م ـ قدم له محمد بن صالح العثيمين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير السعدي).

(٣٦) انظر [المرجع السابق (٢٩٤/٩ ـ ٢٩٥)، صفوة التفاسير (٤٩٤/١)].

(٣٧) انظر [شرح التصريح على التوضيح: للشيخ الإمام خالد بن عبد الله الأزهري (٥٩/١) ـ دار إحياء الكتب العربية].

(٣٨) أبو الفتح عثمان بن جني المشهور بابن جني: عالم نحوي كبير، ولد بالموصل عام ٣٢٢ هـ، ونشأ وتعلم النحو فيها على يد أحمد بن محمد الموصلي الأخفش ويذكر ابن خلكان أن ابن جني قرأ الأدب في صباه على يد أبي علي الفارسي حيث توثقت الصلات بينهما، حتى نبغ ابن جني بسبب صحبته، بلغ ابن جني في علوم اللغة العربية من الجلالة ما لم يبلغه الا القليل ويبدو ذلك واضحا في كتبه وأبحاثه. اشتهر ببلاغته. أشهر كتبه الخصائص الذي يتحدث فيه عن بنية اللغة وفقهها. وكانت وفاته سنة ٣٩٢ هـ.

(٣٩) المحتسب (١٩/٢).

يستخدم رب العزة في هذه الآية طريقة (النفي والإثبات) التي تستعمل في الأمور المجهولة، التي فيها مجال للشك والإنكار، بل استخدم (إنما) التي تستعمل في الأمور المعلومة التي لا يتطرق إليها الشك أو الإنكار، حيث إنّ المخاطبين هم المؤمنون، لذلك لا ينكرون هذه الحقائق(٤٠). فإيمانهم يزيد بانشراح الصدر وطمأنينة القلب وانثلاج الخاطر(٤١) أثناء تلاوة آيات الله(٤٢) وأيضاً مما يتناسب مع ثقل الضم لفظ (وجلت قلوبهم) أي خافت وفزعت(٤٣) يقول سيد قطب في هذا المعنى: «إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يُذكَّر بالله في أمر أو نهي، فيغشاه جلالُه(٤٤)، وتنتفض(٤٥) فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته»(٤٦). أما بالنسبة لقراءة (عَلَيْهِمْ) بالكسر. يقول كشك: «إنهم إذا قرأوه وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، نظر الله تعالى إليهم في جوف الليل وأصلابهم منحنية على أجزاء القرآن، إذا مر أحدهم بآية تبشر بالجنَّة بكى شوقاً إليها، وإذا مر بآية تنذر من عذاب النار، شهق شهقةً كأنَّ زفير جهنم بين أذنية»(٤٧). فتدبرُ

---

(٤٠) انظر [من بلاغة القرآن: د.محمد شعبان علوان ـ د.نعمان شعبان علوان ـ ص١٢١ ـ الدار العربية للنشر ـ ط٢ ـ سنة ١٩٩٨م].

(٤١) ثلجت بما خبرتني: أي استيقنت به وسكن قلبي إليه انظر [لسان العرب (٢٢٢/٢) مادة ثلج]

(٤٢) انظر [فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) بصنعاء (٣٥٨/٩) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م ـ اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغُرش (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فتح القدير)].

(٤٣) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثني التَّيميّ (ت سنة ٢١٠هـ) (٢٤٠/١) ـ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ علق عليه د.محمد فؤاد سزكين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مجاز القرآن).

(٤٤) يغشاة: يغطيه الخوف انظر [منجد الطلاب في اللغة والأعلام نظر فيه ووقف عليه فؤاد إفرام البُستاني ص٥٢٠ مادة غشي ـ دار الشرق ـ بيروت ـ ط٣٨ ـ ١٥ نيسان ١٩٩١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي منجد الطلاب)].

(٤٥) تنتفض من النفض الذي من التحريك انظر [لسان العرب (٢٤٠/٧ ـ ٢٤١) مادة نفض].

(٤٦) الظلال (١٤٧٥/٩).

(٤٧) في رحاب التفسير (١٤٤١/٩).

آيات الله وتلاوتُها، تضفي سكينة ووقاراً واطمئناناً في قلب ونفس المؤمن، فتكون هذه السكينة والاطمئنان مع انحناء المؤمن وهو يتلو آيات الله وإنكسار قلبه وخشوعه يتناسب مع إنكسار الحركة في (عَلَيْهِمْ).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنه يوجد انسجام بينهما كبير، فالمؤمن عندما يتلو آيات الله بتدبر وخشوع وإنكسار يطمئن قلبه بالإيمان فتتنزل عليه السكينة من الله سبحانه فيزداد يقيناً ورهبة من الله وقوة في الإيمان به سبحانه.

٢ ـ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: ٩].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) ويعقوب (**مُرْدَفين**) بفتح الدال على أنه اسم مفعول.

٢. وقرأ الباقون (**مُرْدِفِينَ**) بكسر الدال على أنه اسم فاعل(٤٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ردف: الراء والدال والفاء أصل واحد مطّرِد، يدل على اتباع الشيء.

فالترادف: التتابع، مرادف الشيء: تَبع بعضُه بعضاً، وهذا أمرٌ ليس له ردف أي ليس له تبعة(٤٩). قال الزجاج(٥٠): «ردِفت الرجل: إذا ركبت خلفه، وأردفته إذا أركبته خلفي، ويقال: هذه دابة لا تردِف ولا ترادِف ـ أي لا تلحقها دابة أخرى، فتكون خلفها ـ ولا يقال لا تُردَف»(٥١). وقال أبو

(٤٨) انظر [النشر (٢/٢٠٧)، تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ـ ص ١٩٨ ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤ م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تقريب النشر)].

(٤٩) انظر [لسان العرب (٩/١١٤) مادة ردف، معجم مقاييس اللغة: ص٤٤٨ ـ ٤٤٩].

(٥٠) سبقت ترجمة له ص٢٠.

(٥١) معاني القرآن وإعرابه: للزجاج (٢/٤٠٢).

عبيدة[٥٢]: «مردِفين من أردَفوا أي جاءوا بعد قوم قبلهم، وبعضهم يقول: ردَفني أي جاء بعدي وهما لغتان، ومن قرأها بفتح الدال وضعها موضع مفعولين من أردفهم الله من بعد من قِبَلهم وقدامهم»[٥٣].

ثالثاً: سبب نزول الآية:

روى الإمام مسلم في صحيحه حديثاً، فيه ذكر استغاثة الرسول ﷺ بربه يوم بدر. عن ابن عباس قال: «حدثني عمر بن الخطاب قال: لمَّا كان يومُ بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاثمائة وتسعةَ عَشَر رجلاً، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ثم مدَّ يديْه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجزْ لي ما وعدتنى، اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تُهلك هذه العِصَابةَ من أهل الإسلام لا تُعبَدْ في الأرض) فما زال يهتفُ بربِّه مادًّا يديه مُستقبلَ القبلة حتى سقط رداؤُهُ عن منكبيه، فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءَهُ، فألقاه على منكبيه ثم التزقه من ورائه وقال: يا نبيَّ الله كفاكَ مناشدتُكَ ربَّك، فإنَّه سينجزُ لك ما وَعَدَكَ فأنزل الله ﷻ:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ فأمده الله بالملائكة»[٥٤] وفى شأن حضور الملائكة يوم بدر، فقد روى مسلم عن ابن عباس قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أَثَر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسَّوط فوقه وصوتَ الفارس يقول: أقدم حيزوم فنظر إلى المشرك أمامه فخرَّ مستلقياً، فنظر إليه، فإذا قد خُطِمَ أنفُهُ وشُقَّ وجهُهُ كضربة السَّوط، فاخضرّ ذلك أجْمَعُ، فجاء

(٥٢) هو معمر بن المثني التيمي، بالولاه البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم والأدب واللغة ولد سنة ١١٠هـ ـ ٧٢٨م وتوفي سنة ٢٠٩هـ ـ ٨٢٤م ومولده ووفاته بالبصرة انظر [الأعلام (٢٧٢/٧)، مقدمة كتابه: مجاز القرآن (٩/١ ـ ١٥)].

(٥٣) مجاز القرآن (٢٤١/١).

(٥٤) صحيح مسلم بشرح النووي ـ باب (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم (٨٤/١٢ ـ ٨٥) ـ المطبعة المصرية ومكتباتها، وأيضاً رواه الترمذي في كتابه الجامع الصحيح ـ تحقيق: إبراهيم عطوة ـ ٤٨ كتاب تفسير القرآن ـ ٩ باب (من سورة الأنفال) رقم ٣٠٨١ ـ (٢٦٩/٥ ـ ٢٧٠) ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي ـ ط٢ ـ سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م. وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

الأنصاريُّ فحدَّث بذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «صدقتَ ذلك من مددِ السماءِ الثالثة «فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين»(٥٥).

رابعاً: التفسير الإجمالي للآية:

في غزوة بدر كان المشركون يتفوقون على المسلمين في العدد والعدة، لذلك لجأ الرسول ﷺ والمسلمون إلى الله تعالى يطلبون الغوث والنصرة والعون، فاستجاب الله لهم، وأمدهم بألف من الملائكة يقاتلون مع المسلمين، حتى تم النصر للمسلمين؛ وذلك لأن جند الله هم الغالبون(٥٦).

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

(**مُرْدِفِينَ**) من قرأ بكسر الدال، جعل الفعل للملائكة، فأتى باسم الفاعل من أردف، وأسنده إلى الملائكة بمعنى جائين فرقة بعد فرقة، أو بمعنى مردفين خلفهم غيرهم أو أمثالهم، فحذف المفعول، وحَذْفُ المفعول كثيرٌ في كلام العرب، أو بمعنى متتابعين أو بمعنى متبعين، وكلا مفعوليه محذوف، أي متبعين أنفسهم المؤمنين، أو ملائكة آخرين وموضع (**مُرْدِفِينَ**) جر على النعت لألف.

أما (**مُرْدَفِينَ**) من قرأ بفتح الدال، جعل الفعل لله ـ ﷻ ـ، فأتى باسم المفعول من أردف، وأسنده إلى المستكن فيه بمعنى أردف الله المؤمنين بهم، أي فُعِلَ ذلك بهم، ومحله الجر أيضاً على النعت لألف تقديره: يمدكم مُتبعين بألف، أو النصب على الحال من الضمير المنصوب في (ممدكم) أي حالاً من الكاف والميم في «ممدُّكم»(٥٧). فإن قلت: «الضمير

---

(٥٥) صحيح مسلم بشرح النووي نفس الباب السابق ذكره ـ (١٢/٨٥ ـ ٨٦).

(٥٦) انظر [جامع البيان (٩/٨٩)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٣٢٢ ـ ٣٢٣)].

(٥٧) انظر [زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ ـ (٢/١٩١ ـ ١٩٢) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ تحقيق: عبد الرزاق المهدي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي زاد المسير)، حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ ص٣٠٧ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ تحقيق سعيد الأفغاني (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الحجة: ابن زنجلة)، الفريد في إعراب القرآن=

مجرور بإضافة ممد إليها، فكيف قلت: أو النصب من الضمير المنصوب؟ قلت: هو مجرور في اللفظ منصوب في المعنى؛ لأنَّ اسم الفاعل بمعنى الاستقبال، كقوله: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ) [آل عمران: ١٨٥][٥٨].

وقد رجَّح الطبري قراءة الكسر على قراءة الفتح، وقال: إنَّ قراءة الكسر هي الصواب واحتج لها[٥٩].

وهذا الترجيح منه - رَحِمَهُ اللَّهُ - وغفر له لا نسلِّم له به لأسباب منها:

١ - كلتا القراءتين من حيث الرواية صحيح متواتر.

كما أن كلتا القراءتين قرآن، يصح أن نقرأ به ونصلي، فلا يجوز ترجيح قراءة على أخرى.

٢ - من حيث اللغة فلكل قراءة معنى صحيح، ولا تناقض بينهما ولا تعارض بين هذين المعنيين وما جاء عن أهل التأويل في معنى الآية، وذلك لأن (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال: أن الله أردفهم بمعنى بعثهم على آثار من تقدمهم، أي جعل بعضهم تابعاً لبعض و(مُرْدِفِينَ) بكسر الدال بمعنى: أردف بعضهم بعضاً، أي جعلوا بعضهم تابعاً لبعض وحاصل هذين المعنيين واحد، فهو منسجم مع الآية وسياقها تمام الانسجام[٦٠].

٣ - ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

أولاً: القراءات:

= المجيد للمنتخب حسين بن أبي العز الهَمَذ (ت سنة ٦٣٤هـ) - (٤٠٨/٢) - دار الثقافة - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م - تحقيق: د. فهمي حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الفريد)].

(٥٨) الفريد (٤٠٨/٢).

(٥٩) انظر [جامع البيان: (١٩٢/٩)].

(٦٠) انظر [حجة القراءات: ابن زنجلة - ص٣٠٧ - ٣٠٨، منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره ص٢٣١، فتح القدير (٣٦٤/٢)].

١ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (**يَغْشَاكُم**) بفتح الياء والشين وألف بعدها، (**النُّعاسُ**) بالرفع.

٢ ـ وقرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) (**يُغْشِيكُم**) بضم الياء، وسكون الغين، وكسر الشين، وياء بعدها ونصب (**النُّعاسَ**).

٣ ـ وقرأ الباقون كذلك إلا أنهم فتحوا العين وشددوا الشين (**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**)(٦١).

٤ ـ (ويُنْزِل) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ الباقون بفتح النون وتشديد الزاي (**وَيُنَزِّلُ**)(٦٢).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (غشي ـ غشاوة) الأمر: غطّاه أي ستره، غشّى الشيء: أي غطّاه ويقال أن الغشي: يعطِّل القوى المحركة، والأوردة لضعف القلب؛ بسبب وجع شديد، أو برد، أو جوع مفرط، وقيل الغشي: هو الإغماء(٦٣). ومنه (**يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ**) النوم يغطي العقل(٦٤).

٢ ـ (النُّعَاسُ) بالضم: الوسن (أو فترة في الحواس) أو مقاربة النوم(٦٥). وأول النوم هو النعاس وهو أن يحتاج الإنسان إلى النوم، ثم

(٦١) انظر [النشر (٢/٢٠٧)، تقريب النشر ص١٩٨ ـ ١٩٩].

(٦٢) انظر [غيث النفع في القراءات السبع: ولي الله سيدي عليّ النوري الصفاقسي ـ ص١٢٣ ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م ـ ضبطه: محمد عبد القادر شاهين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي غيث النفع)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر: تحرير وجمع محمد إبراهيم محمد سالم (٢/٧٣١) ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فريدة الدهر)].

(٦٣) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص ٦٠٧، المصباح المنير (٢/١٠٠ ـ ١٠١)].

(٦٤) انظر [التحرير والتنوير (٥/٢٧٨)].

(٦٥) انظر [تهذيب اللغة (٢/١٠٥)، منجد الطلاب ـ ص٨٠٩ ـ مادة غشي].

الوسن، وهو ثقل النعاس، ثم الترنيق، وهو مخالطة النعاس للعين، ثم الكرى والغمض، وهو أن يكون الإنسان بين النائم واليقظان ثم العفق، وهو النوم وأنت تسمع كلام القوم، ثم الهجود والهجوع(٦٦) وقيل النعاس: لين الرأي والحسم، وضَعْفُهما(٦٧).

وقيل النعاس في قوله تعالى (نعاساً) [آل عمران: ١٥٤] عبارة عن السكون والهُدُوِّ(٦٨).

٣ ـ (نزل) نزولاً: من علوٍّ إلى أسفل: انحدار (نزّله) جعله ينزل ـ (نزّل الشيء) رتّبه، وقد جاء في لسان العرب أن تنزّله، ونزّله، وأنْزَله بمعنى، وذلك نقلاً عن سيبويه: «أنه كان أبو عمرو يفرق بين نزّلت وأنزلت ولم يذكر وجه الفَرْق، ونُقل عن أبي الحسن أنَّ الفرق بين نَزَّلت وأنزلت صيغة التكثير في نزَّلت(٦٩) نزل: سريع السيل والنَّزَل: المطر(٧٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لـمّا ذكر الله سبحانه وتعالى البشرى والطمأنينة بإمداد المؤمنين بالملائكة، أتبع القول الفعل، فألقى في قلوب المؤمنين الطمأنينة والسكينة، فكان هذا نصر الله لهم واستجابته لدعائهم، لذلك أنزل عليهم نعاساً يغشيهم، فيُذهب ما في قلوبهم من الخوف والوجل الذي حصل لهم من قلة

(٦٦) انظر [المصباح المنير (٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣)].

(٦٧) انظر [القاموس المحيط ص ٧٤٥].

(٦٨) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٨١٤].

(٦٩) انظر [لسان العرب مادة نزل ص٧٨٢ ـ ٧٨٦، كتاب سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت سنة ١٨٠هـ)، (٤/٥٥ ـ ٥٦) ـ دار الجيل ـ بيروت تحقيق: عبد السّلام محمد هارون (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي كتاب سيبويه)].

(٧٠) منجد الطلاب ص٧٧٨.

عددهم، وكثرة عدد الأعداء وعدَّتهم، وفي ذلك معجزة للرسول ﷺ وذلك أنَّ النَّوم غشيهم في وقت الخوف(٧١).

قال ابن كثير: «فكأن ذلك كان للمؤمنين من شدة البأس، لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله»(٧٢) فكان النوم (أَمَنَة) لهم وعلامة على النصر والطمأنينة، ومن ذلك أنه أنزل عليهم من السماء ماءً، ليطهرهم به من الحدث والخبث، وأيضاً يطهرهم من وساوس الشيطان.

لطيفة: وصف النعاس (أمن) مهم جداً وذلك لتهدئة أعماق المؤمنين في الأجواء المحيطة بهم، حيث كثرة عدد العدو وكثرة العدة، وهم في نفس الوقت بلا عتاد وعَدَد قليل، لذلك جعل الله سبحانه من هذا النعاس آيةً، حيث إنه غشي الجيش كله، فلو غلبهم النوم العميق، لمال عليهم أعداء الله ميلة واحدة، ولكنَّ الله طمأنهم وأَمَّنَهم بهذا النعاس وأزال خوفهم(٧٣).

﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ والرجز هنا يسمى كيد الشيطان لأنه سبب العذاب(٧٤). ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي يثبتها، فإنَّ ثبات القلب هو ثبات البدن ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ لأنَّ الأرض كانت سهلة رملية، فجاء المطر بحيث لا تغوص أرجلهم فيه، فاستطاعوا المشي عليه، وقيل يثبت بالربط الأقدام، لأن العبد إذا تمكن من القلب ثبتت الأقدام في مواطن القتال،

(٧١) انظر [نظم الدرر (١٩٢/٣)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الإمام فخر الدين الرازي (١٠٦/٨) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مفاتيح الغيب)].

(٧٢) تفسير القرآن العظيم (٢٩١/٢).

(٧٣) انظر [تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (٤٥٩٦/٨ ـ ٤٥٩٧) أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير الشعراوي)].

(٧٤) انظر [تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ـ ص٤٧١ ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تأويل مشكل القرآن)].

وكل ذلك لمن دخل في غزوة بدر وهذه الآية بمثابة تذكير للذين يقاتلون في سبيل الله، بأنَّ الله معهم وينصرهم، فيكون دافعاً قوياً للقتال في سبيل الله والتوكل عليه(٧٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (**يَغْشاكُمُ النُّعَاسُ**) فهو من «غشي يغشى» والنعاسُ رفعاً؛ لأن الفعل له، فيكون المعنى يغشاكم النّعاس (أمنةً) والأمنة بمعنى الأمان فهو منصوب على الحال بيغشاكم باعتبار المعنى فإنه في حكم تنعسون. أو على أنه مصدر لفعل ترتب عليه يغشاكم النعاس فتأمنون أمناً فيكون فاعل يغشاكم هو النعاس والمُأَمِّن هو الله.

وأما قراءة (**إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ**) من الإغشاء بمعنى التغشية مضارع «أغشى يغشي»، والنعاس بالنصب مفعول به، وفاعل «يُغشيكم» ضمير مستتر، يعود على الله تعالى، المتقدم ذكره في قوله تعالى: ﴿**وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾**﴾ [الأنفال: ١٠] وإسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله؛ لأنه هو الذي قدَّر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، فهو نوم منحهم الله لفائدتهم(٧٦).

فيكون المعنى أنَّ الله يجعل النعاس غاشياً لكم ومحيطاً بكم، وهو بدل من (إذ يعدكم) لإظهار نعمة أخرى.

وقد خطَّأ أبو حيان من قال إنَّ (إذ يغشيكم) منصوب بالنصر، أو بما في (عند الله) من معنى الفعل أو بما جعله الله أو بإظهار (اذكر)(٧٧).

---

(٧٥) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢٩١/٢)، تفسير السعدي (٢٩٦/٩)، الأساس في التفسير، سعيد حوى ـ (٢١٣٢/٤) ـ دار السلام ـ ط٢ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الأساس)].

(٧٦) انظر [التحرير والتنوير (٢٧٨/٩)].

(٧٧) انظر [البحر المحيط (٤٦٧/٤ ـ ٤٦٨)].

وقراءة (يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ) مضارع «غشَّى يُغشِّي» بالتشديد يفيد المبالغة[٧٨] لأنه على وزن فَعَّلَ، والنعاس بالنصب مفعول به، والفاعل أيضاً ضمير يعود على الله تعالى.

علماً بأن التخفيف والتشديد في يغشي لغتان بمعنى: فمن التّخفيف قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ٩]، ومن التّشديد قوله تعالى: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: ٥٤][٧٩].

ويكون المعنى: الله يغشيكم النعاس وحجتهم، «أن الفعل أتى عقيب ذلك مسنداً إلى الله وهو قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأنفال: ١١]، فكان الأولى بما قبله أن يكون خبراً عن الله أنه هو الفاعل له لينتظم الكلام على سياق واحد[٨٠].

٢ ـ أما قراءة ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم﴾ [الأنفال: ١١] ينزل: تقرأ بالتشديد والتخفيف وهما لغتان[٨١]. «والحجة لمن شدد (يُنَزِّلُ) أنه أخذه من نزَّل، يُنزِّل . . . والحجّة لهما في ذلك تكرار النزول،

---

(٧٨) انظر [معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي ص٣٢ ـ جامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني الأبنية)].

(٧٩) انظر [المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير: د. محمد سالم محيسن (١/٢١٠) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المستنير)].

(٨٠) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٠٨].

(٨١) انظر [الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥هـ ـ ٤٣٧هـ) (١/٣٥٥) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م ـ تحقيق: د. محي الدين رمضان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الكشف)].

ومداومته شيئاً بعد شيء»[٨٢]. والتشديد يفيد المبالغة فدلت هذه القراءة على أنَّ:

١ ـ أن المطر كان على مراحل.
٢ ـ وأن المطر أكثر من مرة.

في حين أن قراءة التخفيف (يُنْزِل) فحجة من خَفَّف أنه أخذه من أنزل، يُنزل فدلت هذه القراءة على أنَّ:

١ ـ أن المطر نزل دفعة واحدة.

٢ ـ وكان المطر مرة واحدة.

وعلى كلا المعنيين فيه التثبيت لقلوب المؤمنين، وإسناد هذا الإنزال إلى الله تعالى للتنبيه على أنه أكرمهم به، وذلك لأنه نزل في وقت احتياجهم إلى الماء، ولعله كان في غير الوقت الذي اعتادوا فيه نزول الأمطار في بلدهم[٨٣].

خامساً: الجمع بين القراءات:

يتبين لنا أنَّ إسناد الإغشاء أو التغشية إلى الله تعالى إسناد مخصوص، فهو نعاسٌ واردٌ من الجانب القدسي، فيه لطف وسكينة ورحمة ربانية. وإسناد الغشي إلى النعاس حقيقة على المتعارف، وقد عُلم أنه من تقدير الله، ويكون وصف الأمنة، بأنّها منه سارٍ إلى الغشي، فيُعلم أنه غشي خاص قدسي، وليس مثل سائر غشيان النعاس فهو خارق للعادة، كان كرامة لهم، وهذا الذي حصل يوم بدر. والقصد هو طمأنة القلوب، وإدخال السَّكينة فيها.

---

(٨٢) الحجة في القراءات: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ـ ص٣٥ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ منشورات محمد علي بيضون ـ ط١ ـ سنة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ تحقيق: أحمد زيد المزيدي ـ قدم له: د. فتحى حجازي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الحجة: ابن خالويه).

(٨٣) انظر [التحرير والتنوير (٢٧٩/٩)].

وقراءة التشديد (**يُغَشِّيكُمُ**) فيه زيادة في التوكيد ومبالغة، تدل على أنها شَمِلت جميع أفراد المقاتلين(٨٤).

وأما في قراءة (**ويُنْزِل**) بالتخفيف، فهي تناسب النعاس فالمقصود أنهم ناموا نوماً خفيفاً لا ثِقَل فيه، ولا عُمْق، فهو النّوم الظاهر الذي لُبِّس على المرء، فلا يكاد يغشاه حتى ينجلي عنه، فناسب الفعل ينزل من الفعل الثّلاثي، نزل للتعبير عن هذه الإلمامة(٨٥).

فى حين أرى أن قراءة (يُنَزِّلُ) بالتشديد، أفادت زيادة في تكثير نزول المطر فكان للشرب وللإغتسال وللوضوء، وعلى فترات متكررة، وذلك فيه كرمٌ كبيرٌ من الله سبحانه لهم فناسبت هذه القراءة قراءة التشديد في (**يُغَشِّيكُمُ**) والله أعلم.

٤ ـ ﴿**إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾**﴾ [الأنفال: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (**الرُّعُب**) بضم العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة وخلف) (**الرُّعْب**) بإسكان العين(٨٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الرُّعْبَ و **الرُّعُبَ** هما لغتان، معناهما: الفزع والخوف يقال: رَعَبَه ويَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً فهو مرعوب، ويجوز أن يكون الرعْب مصدراً، والرُّعُب

(٨٤) انظر [تفسير التحرير والتنوير (٩/٢٧٩) بتصرف].

(٨٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: تأليف د.عبد الصبور شاهين ـ ص٤٣١ ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي).

(٨٦) انظر [النشر (٢/١٦٢)، تقريب النشر ص ١٧٣]

الاسم، وأصل الرعب من المَلء، ويقال رَعَبَ الحوض مَلأَه، ويقال سيل راعب: يملأ الوادي[87].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

إذ ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ يُذكِّرُ الله المؤمنين بنعمته عليهم في غزوة بدر، حيث أوحى الله سبحانه إلى الملائكة، بأنَّه معهم ينصرهم، وأمرهم بتثبيت المؤمنين وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء كما أمرهم بالضرب فوق أعناقهم، والضرب على أطراف الأصابع، وهذا كلُّه من أعظم النعم عليهم[88]. ولمَّا ذكر الوحي إلى الملائكة أتى بخطاب الرسول ﷺ وحده ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ﴾ ففي ذلك تشريفٌ بمواجهة الرسول ﷺ بالخطاب وحده أي مربيك والناظر في مصلحتك[89]. ﴿أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ ذكر الزجاج: «جائز أن يكون أنهم يثبتونهم بأشياء يلقونها في قلوبهم تقوى بها قلوبهم، وجائز أنْ يكونوا يرونهم مدداً، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا»[90].

﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ أي سأقذف في قلوب الكافرين الفزع والخوف فينهزموا فهذا تفسير لقوله تعالى (أَنّي مَعَكُمْ) بإلقاء الرعب في قلوبهم. ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ أي اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل[91]. ويرى أبو عبيدة أنَّ (فوق) بمعنى (على)، أي اضربوا على

---

(٨٧) انظر [لسان العرب (٤٩٠/١) ـ مادة رعب، منجد الطلاب ص٢٥٠، الجامع لأحكام القرآن (٥٨٢/٤)].

(٨٨) انظر [البحر المحيط (٤٦٩/٤)].

(٨٩) انظر [المرجع السابق (٤٧٠/٤)].

(٩٠) معاني القرآن: الزجاج (٤٠٤/٢).

(٩١) انظر [معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) (٤٠٥/٢) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن: الفراء)].

الأعناق، في حين أن الأخفش[٩٢] يرى أن كلمة (فوق) زائدة فيكون المعنى (اضربوا الأعناق) كما تقول رأيت نفس زيد، تريد زيداً[٩٣] ـ وكلام الأخفش بالزيادة في كلام الله لا نوافق عليه لأنه لا زوائد في القرآن ـ فالظاهر أنَّهم أبيح لهم أن يضربوهم على كل حال. ﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ أي قطِّعوا الأيدي ذات البنان، والبنان أطراف الأصابع، والواحدة بنانة؛ لأن الأيدي هو أداة التصرف في الضرب[٩٤] ويقول الزجاج: «وإنما اشتقاق البنان من قولهم أبَنَّ بالمكان إذا أقام به، فالبناء به يحتمل كلَّ ما يكون للإقامة والحياة»[٩٥]. واختصاص الأعناق والبنان بالضرب، لأن الضرب بالأعناق فيه إتلاف لأجساد الكفار، وما فوق العنق أشرف الأعضاء وهو الرأس، أما ضرب البَنَان؛ فلأن الذي يُقطع بنانُه، يعجز عن أخذ السيوف وسائر الأسلحة، فتبطل صلاحيته للقتال، كما أنَّ البَنَان أضعف الأعضاء، فذكر أشرف وأخس الأعضاء حتى ينبه على كل الأعضاء. وقيل: إما ضرب فوق الأعناق أو ضرب قطع البنان[٩٦]. وقول الإمام الرازي بأنَّ البَنَان أخس الأعضاء لا أرى

(٩٢) هو سعيد بن مسعدة، أبو الحسن، البلخي ثم البصري، لزم سيبويه حتى برع، توفي سنة ٢١٥هـ [انظر سير أعلام النبلاء (٢٠٦/١٠)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ) (٣٨٠/٢) دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ـ إعداد وداد القاضي، عز الدّين أحمد موسى، إشراف د. إحسان عباس (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي وفيات الأعيان)، الأعلام (١٠١/٣)].

(٩٣) انظر [معاني القرآن: الأخفش سعيد بن مَسْعِدَة البَلخي المجاشعي (٥٤١/١ ـ ٥٤٢) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن: الأخفش)، مجاز القرآن (٢٤٢/١)].

(٩٤) انظر [معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) (٤٢٠/١) ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن: النحاس)، تفسير المراغي (١٧٦/٩ ـ ١٧٧)].

(٩٥) معاني القرآن: الزجاج (٤٠٥/٢).

(٩٦) انظر [مفاتيح الغيب (١٠٩/٨)، التحرير والتنوير (٢٨٣/٩)].

أن نسلّم به؛ لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]. ولا ننسى أنَّ المصافحة والإشارة والأخذ والعطاء والبيع والشراء إنّما يكون بالأصابع.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الاختلاف في قراءة (**الرُعْبَ**) بين السُكون والرَّفع تظهر من خلال تعقب معاني الكلمتين، فقد رأيت أنَّ عامة المفسرين، ذكروا أنَّهما لغتان بمعنى الخوف والرُعب[97]. ولكني رأيت في التحرير والتنوير ما أميل إليه من معنى يناسب التخفيف والسكون، وذلك لأنَّ الساكن أخف من المتحرك في قراءة (**الرُعْبَ**) وهو أنَّ الله خفَّف من عمل الملائكة تخفيفاً دل عليه إجمالاً - قوله تعالى - ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ وذلك لأنَّ الرُعب خاطر شيطاني ذميم، فجعله الله في قلوب الذين كفروا بواسطة أخرى غير الملائكة، والملائكة المخاطبون كانوا ملائكة نصر وتأييد، فلا يليق بقواهم إلقاء الرُعب، لذلك لم يقل - سبحانه وتعالى - سنلقي لئلا يُتَوهم أنَّ الملائكة المخاطبين، سبباً في إلقاء الرُعب في قلوب الذين كفروا، وأيضاً فيه تخفيف على المؤمنين، وذلك أنَّ الله خفَّفَ عليهم في الذي كلَّفهم الله به، بأنَّ الله كفاهم تخذيل الكافرين بعمل آخر غير الذي كَلَّف الملائكة بعمله[98].

١ - أما قراءة (**الرُعُبَ**) بالضم، فلأنَّ الضمة من أثقل الحركات وأقواها، وقوتها فيما يكثر حجمه[99] نجد أنَّ هذا الرُعب رعبٌ شديدٌ قدَّره الله على كيفية خارقة للعادة، وذلك لأن أسبابَ ضدِّهِ قائمة، وهي وفرة عَددهم وعُددهم، وإقدامهم على الخروج إلى المسلمين، وحرصهم على حماية أموالهم، التي جاءت بها العير[100].

---

(٩٧) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٥٨٢/٤)].

(٩٨) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٢/٩ - ٢٨٣)].

(٩٩) راجع ص٢١.

(١٠٠) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٢/٩)].

٢ ـ وأيضاً نفهم أنَّ هذا الرعب قد ملأ قلوب الكفار جميعاً، ولم يستثنِ منهم أحداً.

٣ ـ وأيضاً نفهم من ذلك، عظم الفائدة التي عادت على المسلمين من هذا الإلقاء الشديد فهو مبارك على المسلمين أيضاً.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من دِلالة قراءة الضم (**الرُّعُبَ**) نستشعر ثِقَل وعِظَم الرُّعب الذي ملأ قلوب الكفار ومن دِلالة قراءة السكون (**الرُّعْبَ**) نفهم أنَّ هذا الرُّعب الذي ملأ قلوب الكفار، جعلهم يسكنون أماكنهم من شدّة الخوف، مما أدى إلى هزيمتهم بالإضافة إلى قتال الملائكة لهم والله أعلم.

٥ ـ ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (**إِلَى فِيَةٍ**) بالتسهيل.

ب ـ وقرأ الباقون (**إِلَى فِئَةٍ**) بالهمز[١٠١].

٢ ـ أ ـ قرأ السوسي وأبو جعفر (**وَمَاوَاهُ**) بدون همز.

ب ـ وقرأ الباقون (**وَمَأْوَاهُ**) بالهمز.

٣ ـ أ ـ قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر (**وَبِيسَ**) بدون همز.

ب ـ وقرأ الباقون (**وَبِئْسَ**) بالهمز[١٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (**فئة**): الفئة: الطائفة، والهاء عوض من الياء التي نقصت من

(١٠١) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(١٠٢) انظر [النشر (١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤)، فريدة الدهر (٧٣٤/٢)].

وسطه، وأصله من فيء، وهي من فأوت أي فرقت، لأنَّ الفئة كالفرقة[١٠٣] والفئة: الجماعة المتظاهرة التي يرجع بعضهم إلى بعض في التّعاضد[١٠٤] يقول سيبويه:[١٠٥]

«واعلم أنَّ كلَّ همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور، فإنك تبدِّل مكانها ياء في التخفيف»[١٠٦].

٢ ـ (مأواه) مصدر أوى يأوي أوياً ومأوىً تقول أوى إلى كذا: انضم إليه، وآواه غير يؤيه إيواء[١٠٧].

(والمأوى والمأواة) المكان الذي تأوي إليه[١٠٨].

يقول سيبويه: «وإذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تخفف أبدلت مكانها ألفاً»[١٠٩].

٣ ـ (**بئس**) كلمة تستخدم في جميع المذام، ويرفع بعدها ما فيه الألف واللام أو المضاف إلى ما فيه الألف واللام نحو: بئس الرجل زيد، بئس غلام الرجل زيد وينصبان النكرة، نحو بئس رجلاً، وأصل بِئْسَ: بَئِسَ وهو من البؤس[١١٠]. ولا يكون منه فعلٌ لغير هذا المعنى[١١١].

---

(١٠٣) انظر [لسان العرب (١/١٥٥ ـ ١٥٦) مادة فيأ].

(١٠٤) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٦٥٠ ـ مادة فيء].

(١٠٥) هو عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، إمام النحاة لزم الخليل بن أحمد فَفَاقَهُ، ولد سنه (١٤٨هـ ـ ٧٦٥م)، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، توفي شاباً واختلف في سنة وفاته وقيل أنه توفي في (١٨٠هـ ـ ٧٩٦م) انظر [الأعلام (٥/٨١)].

(١٠٦) انظر [كتاب سيبوية (٣/٥٤٣)].

(١٠٧) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٣].

(١٠٨) انظر [الوافي معجم وسيط اللغة العربية: الشيخ عبد الله البستاني ـ ص٢٤ ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٠م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الوافي)، منجد الطلاب ص ١١٨].

(١٠٩) انظر [كتاب سيبويه (٣/٥٤٣)].

(١١٠) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص١٥٤].

(١١١) انظر [كتاب سيبويه (٢/١٧٥ ـ ١٧٩)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

كي يتضح لنا معنى هذه الآية لا بد من استحضار الآية التي تسبق هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: ١٥].

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا (زحفاً) أي متدانيين متقاربين متواجهين؛ فلا تفرُّوا عنهم، إلا أنْ يكون ذلك مكيدة حرب، حيث تختارون موقعاً أحسن، أو تدبرون خطة أحكم؛ أو أنْ يكون ذلك انضماماً إلى فئة أخرى من المسلمين، أو إلى قواعد المسلمين، لتعاودوا القتال. وأنَّ من تولى، وأعطى العدو دُبُرَه يوم الزحف، فقد استحق ذلك العقاب، غضباً من الله سبحانه، ومأوىً في جهنّم(١١٢).

ويقول ابن كثير «فأما إن كان الفرار لا عن سببٍ من هذه الأسباب، فإنَّه حرام وكبيرة من الكبائر»(١١٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قال الشارح(١١٤): «اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع»(١١٥).

فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف، وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لِثقل الهمزة، وتحقيق الهمزة لغة تميم وقيس إذ قالوا: «إن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف وتخفيفها يكون ـ كما ذكر ـ بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين أي بين الهمز

(١١٢) الظلال (١٤٨٧/٩).

(١١٣) تفسير القرآن العظيم (٢٩٤/٢).

(١١٤) شرح المفصل للشيخ العالم (العلامة جامع الفوائد موفق الدين) يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) (١٠٧/٩) ـ عالم الكتب ـ بيروت والقاهرة.

(١١٥) التهوع: التكلف انظر [المصباح المنير ص٣٨٢].

وحركته بأي حركة تحرك»[116].

وأيضاً قال ابن سيبويه في كتابه: «واعلم أنَّ الهمزة إنّما فَعَل بها هذا من لم يخففها؛ لأنه بَعُدَ مَخرجُها، ولأنّها نبرةٌ في الصّدر، تُخرَج باجتهاد فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوّع»[117].

أيضاً الهمزة من صفاتها الجهر والشدة. والجهر: هو قوة التصويت مع امتناع جريان النفس عند النطق بالحرف لقوة الاعتماد على مخرجه، والشدة: انحباس جريان الصوت عند النطق بالحرف[118] فمن ذلك جاء الثقل وهو سبب لخروج الحرف مضطرباً كباقي حروف القلقلة. والألف الهاوي هو حرف اتسع لهواء الصوت، مُخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك بالواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك[119]. والواو والياء من حروف اللين. وهذه الثلاثة حروف (و - ي - ا) أخفى الحروف لاتساع مخرجها وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً: الألف، ثم الياء، ثم الواو[120]. وعلى هذا يكون مَنْ قرأ الثلاثة مواضع بالهمزة يتناسب ثقلها مع ثقل الموقف الذي يكون أثناء اللقاء أمام العدو، وأنَّ هذا اللقاء في قتال الأعداء يحتاج إلى أنْ يكون قلب المؤمن راسخاً ثابتاً لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده[121].

---

(١١٦) انظر [النشر (٣٣٢/١)].

(١١٧) كتاب سيبوية (٥٤٨/٣).

(١١٨) انظر [بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص من طريق الشاطبية: محمد بن شحادة الغول - ص١٣٦ - ١٣٧ - دار ابن القيم - المملكة العربية السعودية - ط٤ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م].

(١١٩) انظر [كتاب ابن سيبوية (٤٣٥/٤)].

(١٢٠) انظر [المرجع السابق (٤٣٦/٤)].

(١٢١) انظر [الظلال (١٤٨٩/٩)].

يقول فاضل السامرّائي[١٢٢]: «فاستَعْمَل الهمزة؛ لثقلها للحالات الثقيلة النادرة»[١٢٣] وقوة الهمزة تتناسب مع قوة الإيمان وشدته في المؤمن، فهو يمتاز بأنه موصول بالقوة الكبرى التي لا غالب لها، فهو إلى الله حياً، وإلى الله إنْ كُتبت له الشّهادة، ففي كلِّ حالة هو أقوى من خصمه الذي يواجهه[١٢٤].

كما أنَّ ثقل الهمزة يتناسب مع الزحف، وهو ثقل في الحركة وتقارب في الخطو كزحف صغار الجراد[١٢٥]. لذلك من يتولَّ يوم الزحف ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فهو رجع مُلابساً لغضب الله تعالى عليه، وذلك بسبب البَوْء الذي باءه. وهذا غضب الله عليه في الدنيا المستحق الذم وغيره مما عسى أن يحرمه عناية الله في الدنيا، وبالتالي يترتب عليه المصير إلى عذاب جهنم، وهذا يدل على أن توليه الظهر عن المشركين كبيرة عظيمة[١٢٦].

وقد قال رسول الله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات[١٢٧] الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حَرَّم الله إلا بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكلَ مالِ اليتيم، والتّولِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذْفَ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمنات)[١٢٨].

(١٢٢) فاضل صالح مهدى السامرائي ولد عام (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م) نحوي، لغوي، باحث ولد في سامراء بالعراق حصل على شهادات إلى أن ترقى إلى درجة استاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد. انظر [معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢: كامل سلمان الجبوري (٤/٤١٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣ م].

(١٢٣) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرَّائي ـ ص٥٧ ـ دار عمار عمان ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(١٢٤) انظر [الظلال (٩/١٤٩٠)].

(١٢٥) انظر [تفسير المراغي (٩/١٧٨)].

(١٢٦) انظر [التحرير والتنوير (٩/٢٩١)].

(١٢٧) الموبقات: المهالك والمعاصى انظر [المصباح المنير ص٣٨٤ من مادة وبق، منجد الطلاب ص٨٩٨].

(١٢٨) انظر [زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المسمّى فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم: للحافظ سيدي محمد حبيب الله المشهور بمايأبي الجكني ثم اليوسفي نسباً المالكي مذهباً المتوفى بمصر سنة ١٣٦٣هـ (١/١٣) ـ دار الفكر ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م].

يقول سيد قطب ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «ذلك أنَّ التَّولي يوم الزحف على إطلاقه، يستحق هذا التشديد؛ لضخامة آثاره الحركية من ناحية، ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحية»[١٢٩]. فلثقل الهمزة صار فيها التحقيق والتخفيف بين بين، والبدل والحذف، وليس ذلك لشيء من الحروف غيرها[١٣٠].

وأما من قرأ بتخفيف الهمز، فهي لغة من لغات العرب وتخفيف الهمز لم يكن مقصوراً على منطقة دون أخرى، وإنَّما كان فاشياً في كثير من المناطق العربية، وإنْ تفاوتت صوره ودرجاته[١٣١]. فقراءة التخفيف تدل على الاستهزاء بالذين يفرون عند ملاقاة العدو.

٦ ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف **(وَلَـكِنِ اللّهُ قَتَلَهُمْ)**، **(ولكنِ اللّهُ رَمَى)**، بتخفيف النون من **(وَلَـكِنَّ)** وإسكانها وكسرها، تخلصاً من التقاء الساكنين، ورفع الاسم بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون **(وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ)**، **(وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى)** بفتح النون المشددة من **(وَلَـكِنَّ)** ونصب اسم الجلالة بعدها[١٣٢].

---

(١٢٩) الظلال: سيد قطب (١٤٨٩/٩).

(١٣٠) انظر [التحديد في الاتقان والتجويد: تاليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي دراسة وتحقيق: غانم قدوري حمد ـ ص١٢٠ ـ دار الأنبار ـ العراق ـ ط ١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التحديد)].

(١٣١) انظر [من أصول اللهجات العربية في السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة وآثارها في السودان: الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ص٣٤ ـ دار المعرفة الجامعية ـ الأسكندرية ـ ط سنة ١٩٨٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي من أصول اللهجات العربية في السودان)].

(١٣٢) انظر [النشر (١٦٥/٢)، وغيث النفع ص١٢٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ (وَلَـكِنَّ): مشددة النون: حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر، ومعناه الاستدراك، وفُسِّر: بأن تَنسب لما بعدها حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها أو مناقضاً لها، وقد ترد للتوكيد مجرداً عن الاستدراك، واختار ابن عصفور(١٣٣) أنهما لهما معاً، وهو المختار، كما أنَّ (كأنَّ) للتشبية المؤكد، ولهذا قال بعضهم: إنَّها مركَّبة من (لكنْ أنَّ) فطرحت الهمزة للتخفيف، ونون (لكن) للساكنين(١٣٤).

وقال جمهور الكوفيين: «هى مركَّبة من: «لا»، و«أن»، و«الكاف» الزائدة لا للتشبية، وحذفت الهمزة تخفيفاً»(١٣٥). وأيضاً «لكنَّ» المثقلة في جميع الكلام بمنزلة إنَّ(١٣٦) للتأكيد.

٢ ـ (وَلَـكِنْ) مخففة النون(١٣٧)، ولها ضربان:

أحدهما: مخففة من الثقيلة، وهي حرف ابتداء لا يعمل، فقط تفيد الاستدراك، وليست عاطفة، لاقترانها بالعاطف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن

---

(١٣٣) هو علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، وعرف بابن عصفور (أبو الحسن) فقيه، نحوي، صوفي، لغوي، مؤرخ وشاعر ولد عام (٥٩٧هـ ـ ١٢٠١م) . وتوفي بتونس عام (٦٦٣هـ ـ ١٢٦٥م) انظر [معجم المؤلفين (٢٥١/٧)].

(١٣٤) انظر [الاتقان (٥٤٨/١)].

(١٣٥) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرى (ت٧٦١هـ) (٢٩٠/١ ـ ٢٩١) المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مغني اللبيب).

(١٣٦) انظر [كتاب سيبويه (١٤٥/٢)].

(١٣٧) انظر [الجَنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المُرادي ص ٥٨٦ ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٢ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الجَنى الداني)].

كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ [الزخرف: ٧٦].

الثاني: عاطفة إذا تلاها مفرد، وهي أيضاً للاستدراك(١٣٨) مثل:

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦]، ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ [التوبة: ٨٨]. يقول سيبويه: «وأمّا (**ولكن**) خفيفة وثقيلة فتوجب بها بعد نفي»(١٣٩). ونقل عن «يونس بن حبيب»(١٤٠). و«سعيد بن مسعدة»(١٤١). جواز أعمال (**لكن**) إذا خففت، والصحيح المنع، وإن وليها كلام، فهي ابتداء لمجرد إفادة الاستدراك وليست عاطفة(١٤٢).

ثالثاً: أسباب النزول:

أكثر أهل التّفسير قالوا: إنَّ الآية نزلت في رمي النبي ﷺ القبضة من حصباء الوادي يوم بدر(١٤٣). وكذا قال السّيوطي بأنَّ هذا الرأيَ هو المشهور(١٤٤). وأيضاً ذكر هذا القول الواحدي(١٤٥) في

---

(١٣٨) انظر [الاتقان (٥٤٨/١)].

(١٣٩) كتاب سيبويه (٢٣٢/٤).

(١٤٠) يونس بن حبيب الضبي بالولاء أبو عبد الرحمن ولد عام (٩٤هـ ـ ٧١٣م) إمام النحو بالبصرة من قرية جَبُّل على دجلة بين بغداد وواسط، أعجمي الأصل توفي (١٨٢هـ ـ ٧٩٨ م) انظر [الاعلام (٢٦١/٨)].

(١٤١) سبقت ترجمة له ص٣٥.

(١٤٢) انظر [مغني اللبيب (٢٩٢/١)].

(١٤٣) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٣٣٠/٧ ـ ٣٣١)، تفسير القرآن العظيم (٢٩٥/٢ ـ ٢٩٦)، التفسير القيم لابن القيم (٦٩١هـ ـ ٧٥١هـ) جمعه محمد أويس الندّوي ـ ص٢٨٧ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ حققه: محمد حامد الفقي، جامع البيان (٢٠٤/٩ ـ ٢٠٥)].

(١٤٤) انظر [باب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) : تحقيق: أ.د حمزة النشرقي ـ الشيخ عبد الحميد فرغلي ـ ص٢٠٥ (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي باب النقول في أسباب النزول)].

(١٤٥) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن مَتُّويه، أبو الحسن الواحدي، مفسر عالم، أصله من ساوة (بين الري وهمدان)، مولده ووفاته بنيسابور، توفي عام ٤٦٨هـ ـ ١٠٧٦م، والواحدي نسبة إلى الواحد بن الديل بن مهرة انظر [الأعلام (٢٥٥/٤)].

كتابه[١٤٦]. وقد ذكرت كتب السيرة: إنَّ رسول الله ﷺ أخذ حِفْنَةً من الحصباء فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: شاهت الوجوه! ثم نفحهم بها وأمر أصحابه فقال: (شُدُّوا) فكانت الهزيمة، فقتل الله ما قتل من صناديد قريش[١٤٧].

رابعاً: المعنى الإجمالي للآية:

بيَّن تعالى أنَّه خالق أفعال العباد، وأنَّه المحمود على جميع ما صدر منهم من خير؛ لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم، ولهذا قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[١٤٨] يقول الزمخشري: «الفاء جوابُ شرطٍ محذوفٍ تقديره إنِ افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ لأنه هو الذي أنزل الملائكة، وألقى الرُّعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر، وقوَّى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع»[١٤٩].

أما قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ فيه وجوه:

الأول: أنَّ قتل الكفار إنما تيسر بمعونة الله ونصره وتأييده، فصحَّت هذه الإضافة.

الثاني: أنَّ الجرح كان إليهم، وإخراج الروح كان إلى الله تعالى، والتقدير: فلم تُميتوهم ولكنَّ الله أماتهم[١٥٠]. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ قوله

(١٤٦) انظر [أسباب النزول: الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ) ـ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ تحقيق أيمن صالح شعبان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أسباب النزول: الواحدي)].

(١٤٧) انظر [السيرة النبوية ابن جرير الطبري ص ١١٦ ـ الدار المصرية البنانية ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م ـ تحقيق: جمال بدران].

(١٤٨) تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٥).

(١٤٩) الكشاف (٢/١٤٩).

(١٥٠) انظر [مفاتيح الغيب (٨/١١٢)].

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ نفي ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ إثبات فاحتيج إلى تأويل أن يغاير بين الرميين، فالمنفي الإصابة والظفر، والمثبت الإرسال. وقيل: متعلق المنفي الرُعب، ومتعلق المثبت الحصيات، أي وما رميت الرُعب في قلوبهم إذ رميت الحصيات(١٥١). فأراد بالرمي المنفي آخر أجزاء الرمي التي وصل التراب به إلى أعينهم، وبالرمي المثبت شروعه في الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب إلى أعينهم، إذ شرعت في الرمي وأخذت منه(١٥٢). ويقول الزمخشري «فأثبت الرمية لرسول الله ﷺ لأن صورتها وجدت منه، ونفاها عنه؛ لأنَّ أثرها الذي لا يُطيقه البشر، فِعلُ الله ﷻ، فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة، وكأنَّها لم توجد من الرسول ﷺ أصلاً»(١٥٣). ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ أي لِيعرِّف المؤمنين نعمته عليهم من نصرهم على عدوِّهم بالرغم من كثرة عدوِّهم وقلة عددهم، فيعرفوا بذلك حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويشكروه(١٥٤). ويعني بالبلاء الحسن: النعمة الحسنة الجميلة، وهي ما وصفت، وما في معناه(١٥٥) وختم بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لكلامكم عليم بأحوال قلوبكم، وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب، لئلا يغتر العبد بظواهر الأمور، ويعلم أنَّ الخالق تعالى، مطلعٌ على كل ما في الضمائر والقلوب(١٥٦).

(١٥١) انظر [البحر المحيط (٤/٤٧٧)].

(١٥٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في عالم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن: للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي، الشهير بابن النقيب المتوفي سنة ٦٩٢هـ والمطبوع خطأ، بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن قيم الجوزية ـ ص٢٦ ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م ـ كشف عنها وعلق حواشيها د. زكريا سعيد علي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مقدمة تفسير ابن النقيب).

(١٥٣) الكشاف (٢/١٥٠).

(١٥٤) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩٦)].

(١٥٥) انظر [جامع البيان (٩/٢٠٦)].

(١٥٦) انظر [مفاتيح الغيب (١٥/١١٣)].

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ لقد أفادت قراءة التشديد، التأكيد على أنَّ القاتل والرامي الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى. حيث إنَّ المسلمين لمَّا قالوا هذا قتلت، وهذا قتلت! ولماّ حصبهم رسول الله ﷺ في وجوههم (أي رمى المشركين بالحصباء). أكَّدَ سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾(١٥٧) [الأنفال: ١٧].

وأضاف الله قتلهم إليه، لأنّه هو الذي تولّى نصرهم، وأظهر في ذلك الآيات المعجزات(١٥٨).

أما بالنسبة لرمي النبى ﷺ فلم ينفه، ولكنَّ العرب خوطبت بما تَعقِل(١٥٩) وفى هذا المعنى يتكلم البقاعي(١٦٠) كلاماً جميلاً حيث يقول: «لما افتخر بعضهم بقتل من قتل، نفاه سبحانه عنهم مطلقاً؛ لأن مباشرتهم لقتل من قتل في جنب ما أعد لهم من الأسباب وأيدهم به من الجنود عدم، وأما النبي ﷺ فإنه فعل ما أُمر به، من رمي الرمل ولم يعد فعله ولا ذكره، فأثبته سبحانه له مع نفي تأثيره عنه وإثباته لمن إليه ترجع الأمور تأديباً منه سبحانه لهذه الأمة، أي لا ينظر أحد إلى شيء من طاعته، فإنا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكمل الخلق، مع أنّه عالمٌ مقرٌّ بأنّه منّا، فليحذر الذي يرى له فعلاً من عظيم سطواتنا، ولكن لينسب جميع أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمي إليه بقوله: (وَلَـٰكِنَّ اللّهَ)»(١٦١).

مما سبق نلاحظ أنَّ قراءة التشديد، تفيد مع الاستدراك التأكيد على

(١٥٧) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢١/١)].

(١٥٨) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٤٠٦/٢)].

(١٥٩) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(١٦٠) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرُبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين، ولد عام (٨٠٩هـ ـ ١٤٠٦م) وهو مؤرخ أديب أصله من سوريا توفي عام (٨٨٥هـ ـ ١٤٨٠م) انظر [الأعلام (٥٦/١)].

(١٦١) نظم [الدرر (١٩٧/٣)].

نفي السابق وإثبات اللاحق والمبالغة في الأمر. قال القرطبي: «(وَلَـكِنَّ) كلمة لها معنيان: نفي الخبر الماضي وإثبات الخبر المستقبل»[١٦٢]. وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (ولـكِنَّ) أنَّه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لـكِنَّ) لأنها من أخوات إنّ فشدَّدَها على أصلهما، وحاول في ذلك معنى التأكيد، الذي فيه معنى الاستدراك[١٦٣].

٢ ـ أما بالنسبة لقراءة (وَلَـكِنِ اللّهُ قَتَلَهُمْ)، (وَلَـكِنِ اللّهُ رَمَى) بتخفيف النون ورفع اسم الجلالة على الابتداء، فهي تفيد الاستدراك فقط.

وذكرت سابقاً تفسيراً للاستدراك[١٦٤]، ومنهم من فسَّره برفع ما يُتوهم ثبوته[١٦٥].

سادساً: الجمع بين القراءات:

لقد خاطب الله ﷻ في كتابه الجليل العظيم جميع أصناف البشر، منهم المؤمن المتيقن، ومنهم المُنكر والمتشكك.

لذلك نجده سبحانه استخدم التأكيد في حالاتٍ خاصة للمنكرين، ولم يستخدمه في الأخرى.

فقراءة (**لكن**) بالتخفيف هي لا تفيد إلا الاستدراك كما ذكرت سابقاً، ولا تفيد التأكيد والأصل فيها التشديد، فقد تعامل سبحانه وتعالى مع المخاطب على أنّه مسلمٌ موقن بهذا الخبر فهو لا يحتاج على تأكيد.

فى حين أنَّ القراءة الأخرى (**لَـكِنَّ**) بالتشديد نجد أنَّه أنزل المخاطب منزلة المتشكك، فجاء التشديد ليؤكد الخبر، وهذا من باب تلوين الأسلوب وهو من أعظم أساليب القرآن الكريم[١٦٦].

---

(١٦٢) الجامع لأحكام القرآن (٤٦٤/٢).
(١٦٣) الكشف (٢٥٧/١).
(١٦٤) راجع ص٨٨، ٨٩.
(١٦٥) انظر [مغني اللبيب (٢٩١/١)].
(١٦٦) انظر [تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر: عبد الله الملاحي ص٢٣٢].

٧ ـ ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨].

أولاً القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن كثير وأبو عمرو (**مُوهِّنٌ كَيْدَ**) بتشديد الهاء والتنوين ونصب (**كَيْدَ**).

٢ ـ قراءة حفص (**مُوهِنُ كَيْدِ**) بالتخفيف من غير تنوين وخفض (**كَيْدِ**) على الإضافة.

٣ ـ وقرأ الباقون (**مُوهِنٌ كَيْدَ**) بالتخفيف وبالتنوين ونصب (**كَيْدَ**)[١٦٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(وهِنَ) يهن وهناً من باب وعد بمعنى: ضَعَف فهو واهن في الأمر والعمل والبدن[١٦٨].

١ ـ قراءة (مُوهِنٌ كَيْدَ) اسم فاعل من «أوهن يوهن فهو موهن» أي جعلته واهناً بمعنى أضعفته، ومن نصب (**كَيْدَ**) فلأنه مفعول به[١٦٩].

٢ ـ قراءة (مُوهِنُ كَيْدِ) اسم فاعل من (أوهن) الرباعي وحذف التنوين للإضافة والتخفيف، و(**كَيْدِ**) بالخفض على الإضافة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣][١٧٠].

---

(١٦٧) انظر [النشر (٢/٢٠٧)].

(١٦٨) انظر [المصباح المنير ص٤٠١].

(١٦٩) انظر [كتاب معاني القراءات: تصنيف العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت سنة ٣٧٠هـ) ـ ص١٩٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. حققه وعلق عليه: الشيخ أحمد فريد المزيدي ـ تقديم: فتحي عبد الرحمن حجازي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القراءات)، منجد الطلاب ص٩٤٥].

(١٧٠) انظر [المغني في توجيه القراءات العشر: د.محمد سالم محيسن (٢/١٨٨) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط٢ ـ سنة ١٤٠٨هـ (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المغني في توجيه القراءات)].

٣ ـ أما قراءة (مُوهِّنٌ كَيْدَ) فهي اسم فاعل من «وهَّن» مضعف العين نحو (قتّل يقتّل فهو مقتّل) ووهّنه: ضعّفه، و(كَيْدَ) بالنصب مفعول به[(١٧١)] و(مُوهِنُ) و(مُوَهِّنٌ) بمعنى واحد، يقال وهَّنتُ الشيء وأوهنتهُ إذا فعلته واهناً ضعيفاً[(١٧٢)].

٤ ـ (الكَيْد) من (كاده) كيداً من باب باع بمعنى: خَدَعه ومَكَر به[(١٧٣)] والكيد ضرب من الاحتيال، وقد يكون مذموماً وممدوحاً وإن كان يُستعمل في المذموم أكثر، وكذلك الاستدراج والمكر ويكون بعض ذلك محموداً[(١٧٤)].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

لقد ارتبطت هذه الآية ارتباطاً وثيقاً بما قبلها، ولهذا يحسُن أن نذكرها حتى يكتمل السياق، يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

(ذَلِكُمْ) إشارة إلى البلاء الحسن[(١٧٥)]. قال الزجاج[(١٧٦)]: «موضع (ذلكم) رفع، المعنى: الأمر (ذلكم وأنّ الله)، والأمر (أَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ)»[(١٧٧)]. وقال غيره: (ذَلِكُمْ): إشارة إلى القتل والرّمي والبلاء

---

(١٧١) انظر [المنجد ص٩٤٥، المغني (١٨١/٢)].

(١٧٢) انظر [كتاب معاني القراءات ص١٩٩].

(١٧٣) انظر [المصباح المنير ص٣٢٤].

(١٧٤) انظر [المفردات ص٧٢٨].

(١٧٥) تفسير النسفي المسمّى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (٣٩٩/٢) ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ـ مكة ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م ـ تحقيق: سيد زكريا (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مدارك التنزيل).

(١٧٦) سبقت ترجمة له ص ٢٠.

(١٧٧) معاني القرآن: الزجاج (٤٠٧/٢).

الحسن[178] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾ معطوف على ﴿وَلِيُبْلِيَ﴾ يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين[179] فالله سبحانه وتعالى، مضعِّفٌ مكر الراسخين في الكفر جميعاً، إضعافاً شديداً أبداً حتى يذِلُّوا، وينقادوا إلى الحق ويهلكوا[180] فكلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، وذلك لأنّ الله يريد أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (مُوهِنُ كَيْدِ) خفِّفت لحجته أنه جعله اسمَ فاعلٍ من أوهن يوهن وحَذف التنوين ايذاناً بثلاثة أشياء: الإضافة والتخفيف والدِلالة على الماضي[181]، وجاز لمن لم ينوِّن أن يريد الماضي والاستقبال[182] وعليه فيكون التفسير: أي أن الله وحده، هو الذي دمَّر كيد الكافرين في كلِّ غزوة.

وحيثما وأينما التقى الجمعان، جمع الكفر وجمع الإيمان[183].

٢ ـ من قرأ (مُوهِنٌ كَيْدَ) بتنوين اسم فاعل فهو الأصل في اسم الفاعل فنوّنَهُ على أصله، وذلك يحدث إيذاناً بثلاثة أشياء: تمام الكلمة، وإعمال اسم الفاعل عمل الفعل لهذا يكون ما بعده منصوباً على المفعولية، والدلالة على الحال والاستقبال[184]. وفائدة التنوين تكثير اللفظ[185]. وعلى هذا

---

(١٧٨) انظر [جامع البيان (٢٠٦/٩)، المحرر الوجيز (٥١٢/٢)].

(١٧٩) البحر المحيط (٤٧٨/٤).

(١٨٠) انظر [جامع البيان (٢٠٦/٩)، نظم الدرر (١٩٨/٣)].

(١٨١) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٠، الكشف (٤٩٠/١)].

(١٨٢) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٠].

(١٨٣) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم: د. صبري المتولي ص٢٠٤ ـ دار غريب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٨م. (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التوجية اللغوي: د. صبري)].

(١٨٤) انظر [الكشف (٤٩٠/١)].

(١٨٥) انظر [الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) (١٤٠/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الأشباه والنظائر)].

يكون التفسير: أي أنّ الله وحده هو الذي يدمّر وسوف يدمّر كيد الكافرين، إذا رفع أهل الإيمان راية الجهاد المقدَّس لقتال أهل الشرك والإلحاد، ولقتال اليهود والصليبيين، وإذا اعتصموا بحبل الله، ثم لم يستعينوا بغير الله(١٨٦).

٣ ـ أمّا من قرأ (موهِّنٌ كيدَ) بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، وحجته في ذلك أنَّه جعله اسم فاعل من «من وهَّنَ» أي ضعّف، ووهَّن وأوهن لغتان بمعنى واحد كما ذكرنا سابقاً في المعنى اللغوي إلاّ أنَّ في التشديد معنى التكرير والمبالغة، فهو توهين بعد توهين، وذلك أنَّ التشديد، وقع لتكرار الفعل، وذلك ما ذكره الله ـ سبحانه ـ من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم، وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، فذلك منه شيء بعد شيء، وحال بعد حال، وفي وقت بعد وقت فكان الأولى بالفعل أن يشدّد لتردد هذه الأفعال، فكأنه أوقع (الوهن) بكيد الكافرين مرّة بعد مرّة(١٨٧) وفي هذا المعني يُعجب الطبريُّ فيقول ما نصُّه: «والتشديد في ذلك أعجب إليّ، لأنَّ الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله ﷺ وأصحابه عِقْداً بعد عِقْد، وشيئاً بعد شيء، وإن كان الآخر وجهاً صحيحاً»(١٨٨).

خامساً: الجمع بين القراءات:

فى قراءة (**مُوهِنُ كَيْدِ**) فهمت منها أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ دمَّرَ كيد الكافرين في الماضي، ومن قراءة (**مُوهِنٌ كَيْدَ**) فهمت أنَّه سبحانه، سوف يدمِّرَ كيد الكافرين في المستقبل والحاضر، ومن قراءة التشديد أرى أن هذا التدمير سوف يكون تدميراً شديداً من الله للكفَّار، وسوف يتكرر في كل حال وفي كل مكان وزمان، ومن التنوين أرى كثرة هذا التدمير إذا أصر الكفَّار على كفرهم وعنادهم.

---

(١٨٦) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٢٠٤].

(١٨٧) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٠٩].

(١٨٨) جامع البيان (٢٠٦/٩).

٨ ـ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر **(فِيَتكُم)**: بتخفيف الهمزة.

ب ـ وقرأ الباقون **(فِئَتُكُمْ)** بالهمز[١٨٩].

٢ ـ أ ـ قرأ «نافع وابن عامر، وحفص وأبو جعفر» **(وَأَنَّ اللّهَ)**: بفتح همزة أنّ.

ب ـ وقرأ الباقون **(وَإِنَّ اللّهَ)** بكسر الهمزة[١٩٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

١ ـ فئة: ذكرت المعنى اللغوي لها سابقاً[١٩١].

٢ ـ إنّ: حرف لتأكيد الخبر وتقريره، ينصب الاسم ويرفع الخبر ومن أحكامها أنها قد تخفف[١٩٢].

ثالثاً: أسباب النزول:

ذكر الواحدي[١٩٣] عن سبب نزول هذه الآية[١٩٤]: «كان المستفتح أبا جهل، وإنه قال حين التقى بالقوم: اللهم أيُنا كان أقطع للرحم، وأتانا بما لم نعرف، فافتح له الغداة، وكان ذلك استفتاحه، فأنزل الله تعالى: ﴿إن

---

(١٨٩) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(١٩٠) انظر [المغني (١٨٩/٢ ـ ١٩٠)، إتحاف فضلاء البشر (٧٨/٢)].

(١٩١) راجع ص٣٧.

(١٩٢) انظر [شرح قطر الندى وبلّ الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ص١٤٨ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ط١١ ـ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ أغسطس ١٩٦٣م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي شرح قطر الندى)، الجنى الداني ص ٣٩٣].

(١٩٣) سبقت له ترجمة ص ٤٥.

(١٩٤) انظر [أسباب النزول: الواحدي ص ١٧٨].

تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩](١٩٥).

رابعاً: المعنى الإجمالي للآية:

ذُكر في الآية السابقة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٨] ووعدهم بالإهانة، فجاء في هذه الآية بتفصيل هذه الإهانة لهم. وأكثر المفسرين(١٩٦) قالوا: أنَّ هذا الخطاب للكفار، والذي يعضد هذا القول، هو سبب نزول الآية التي ذكرناها سابقاً. وعليه يكون المعنى (إن تستنصروا)(١٩٧) أي تطلبوا النصر والفتح من الله لأهدى الفئتين، فقد جاءكم النصر، ونَصَر الله أهداهما، وسّمى إهلاكهم نصراً على سبيل التهكم؛ لأنَّه قد جاءهم الهلاك والذلة، وإن تنتهوا عن الكفر وعن معاداة النبي ﷺ، وعن قتاله، فالانتهاء خيرٌ لكم لِمَا فيه من السَّلامة ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ إلى نصرته عليكم، ولن تدفع عنكم (فئتكم) جماعتكم شيئاً من بأس الله وشدة نِقمته ولو كَثُرت في العدد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ بنصره ومعونته وتوفيقه، وذلك لأنَّ من سنَّة الله ﷻ نصرَ المؤمنين، وخذلان الكافرين(١٩٨).

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ القراءة الأولى:

من قرأ بالهمز (فِئَتُكُمْ) ناسب ثقل الهمزة وشدتها وندرتها، ثقل هذه

---

(١٩٥) المستدرك (٣٥٨/٢) ـ ٢٧ كتاب التفسير ـ تفسير سورة الأنفال ـ ح رقم ٣٢٦٤/٣٨١ ـ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١٩٦) انظر [جامع البيان (٢٠٨/٩ ـ ٢٠٩)، الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/٩)، تفسير القرآن العظيم (٢٩٦/٢)، تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت١٠٢هـ) (٣٥٣/١) ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ـ تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير الإمام مجاهد)، مدارك التنزيل (٣٩٩/٢)، الكشاف (١٥٠/٢)].

(١٩٧) انظر [مجاز القرآن (٢٤٥/١)].

(١٩٨) انظر [مراجع الهامش رقم (٢) بنفس الصفحات].

الفئة وقوتها وندرتها، وعلى هذا يكون المعنى: لن تكون كثرتكم وقوتكم وشدة جيشكم وكثرة عددكم وعدّتكم وسيلة من وسائل النصر، أمام قلة عدد جيش المسلمين؛ وذلك لأنهم يمتلكون القوة العظمى وهي الإيمان بالله العظيم. فبالرغم من القوة الظاهرة لجماعتكم وجيشكم أيُّها الكفار لن يغني عنكم شيئاً!

وأمّا من قرأ بتخفيف الهمز (فِيتُكُمْ) فأبدلها بالياء وذكرت سابقاً أنَّ الياء من صفاتها الِّلين وهو من حروف الخفاء وفيها ضعفٌ، فناسب ذلك هذه الفئة الضالّة، حيث إنّها مهما كثرت وقويت فهي بجانب فئة المؤمنين المتصلة والقوية بالله، قليلة وضعيفة، مهما كَثُرت في العدد والعدة فهي واهنة كوَهَن بيت العنكبوت.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١].

سادساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أنَّ فريق الكفار مهما بلغ من قوة، ومهما أُعطي من أسبابها، ومهما بلغ في العدة والعتاد والكثرة، فهو في حقيقة الأمر ضعيف واهن.

فالباطل ينتفش وينتفش، ولكنه أوهن وأضعف من بيت العنكبوت، فلن تكون يوماً الكثرة، وسيلةً من وسائل النصر أمام القلة، إذا كانت القلة مع الله؛ لأنه هو الذي بيده النصر والقوة.

٢ ـ القراءة الثانية:

١ ـ (أَنّ) بفتح الهمزة وما بعدها من اسمها وخبرها، منزلتها منزلة اسم واحد، كما تكون أنْ المخففة وما بعدها من الفعل الذي تنصبه بمنزلة المصدر، بمعنى أنها تُؤول مع اسمها وخبرها بالمصدر يقول سيبويه[(١٩٩)]:

(١٩٩) سبقت ترجمة له ص٣٨.

«أمّا (أنْ) فهي اسم وما عملت فيه صلة لها، كما أنَّ الفعل صلةٌ؛ لـ (أنْ) الخفيفة وتكون (أنْ) اسماً . . . ونظير ذلك في أنَّه، وما عمل فيه بمنزلة اسم واحد لا في غير ذلك»[٢٠٠]. كما أنه يَقْبُح الابتداء بأنّ المفتوحة وذلك لسببين:

أ ـ حتى لا يشبّهونها بالأسماء التي تعمل فيها (إنّ).

ب ـ حتى لا يشبّهونها بـ (أنْ) الخفيفة، لأنَّ (أنْ) الخفيفة والفعل الذي يأتي بعدها بمنزلة مصدر[٢٠١]. وتكون (أنّ) حرف تأكيد وهي فرع من المكسورة[٢٠٢]. من خلال ما سبق ومن خلال أقوال المفسرين والقّراء أرى عدة أوجه في التفسير لمن قرأ (أنّ) بفتح الهمز.

حذف حرف الجر قبل (أنّ): والتقدير: ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً؛ لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين، وذلك بسبب عطف (أنّ) على موضع ولو كثرت، كأنّه قال لكثرتها، ولأن الله مع المؤمنين، فيكون موضع (أنّ) في محل النصب عندما حُذفت اللام. وحجَّتُهم في ذلك أنها مردودة على قوله قبلها ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾ [الأنفال: ١٨] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩] فيكون الكلام واحداً يتبع بعضُه بعضاً[٢٠٣].

إنَّ المصدر من (أنّ) واسمها في موضع رفع على أنه خبر المبتدأ محذوف فيكون التقدير على ذلك: والأمر أنّ الله مع المؤمنين[٢٠٤].

٢ ـ إنّ: بكسر الهمز يقول سيبوية: «وأماً (إنَّ)، فإنّما هي بمنزلة الفعل لا يعمل فيها ما يعمل في (أنَّ) . . . ولا تكون (إنَّ) إلا مبتدأةً»[٢٠٥].

(٢٠٠) كتاب سيبوية (١١٩/٣ ـ ١٢٠).
(٢٠١) انظر [كتاب سيبويه (١٢٤/٣)].
(٢٠٢) انظر [الإتقان (٤٩٤/١)، مغنى اللبيب (٣٩/١)].
(٢٠٣) انظر [جامع البيان (٢١٠/٩)، الحجة: ابن زنجلة ص٣١٠، الكشف (٤٩١/١)].
(٢٠٤) انظر [المحرر الوجيز (٥١٣/٢)، الدر المصون (٥٨٨/٥)].
(٢٠٥) كتاب سيبويه (١٢٠/٣).

و(إنّ) بالكسر والتشديد، حرفٌ معناه التوكيد والتحقيق؛ لتأكيد الخبر وتقديره، وهو الغالب، والتأكيد به أقوى من التأكيد باللام، وقد تأتي (إنَّ) للتعليل أو بمعنى نعم[٢٠٦] وقد نقل ابن زكريا[٢٠٧] عن الفرّاء[٢٠٨] قوله: «(إنّ) مُقَدَّرَةٌ لقَسَم متروك استُغني بها عنه، والتقدير: والله إنّ زيداً عالمٌ»[٢٠٩].

وبناءً على ما سبق قرأ باقي القرّاء بكسر (إنَّ) على الابتداء والاستئناف والقطع. ففي هذا يكون معنى التوكيد على نصرة الله - ﷻ - للمؤمنين، وذلك لأن (إنّ) إنّما تُكسر في الابتداء؛ لتأكيد ما بعدها من خبر وتقرير، وحجةُ مَنْ كسر همزة (إنّ) قراءة عبد الله بن مسعود بدون (أنّ)، فقرأ **(والله مع المؤمنين)**[٢١٠].

الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أنَّ كلتيهما معناهما التوكيد، فنقول: «إنّ» زيداً قائمٌ، وكذلك «أنّ» إلا أنّها لا بد أن يسبقها كلام[٢١١].

---

(٢٠٦) انظر [مغني اللبيب (٣٧/١)، الإتقان (٤٩٤/١)، شرح قطر الندى ص١٤٨].

(٢٠٧) هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب، له تصانيف منها معجم مقاييس اللغة وغيرها من الكتب، ولد عام ٣٢٩هـ - ٩٤١م، وتوفي عام ٣٩٥هـ - ١٠٠٤م انظر [الأعلام (١٩٣/١)].

(٢٠٨) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا المعروف بالفراء ولد عام ١٤٤هـ - ٧٦١ م، وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وتوفي عام ٢٠٧هـ - ٨٢٢م. انظر [تذكره الحفاظ (٣٧٢/١)، الأعلام (١٤٥/٨)].

(٢٠٩) الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - ص١٧٥ - عيسى البابي وشركاه - القاهرة - تحقيق أحمد صقر (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الصاحبي).

(٢١٠) انظر [جامع البيان (٢١٠/٩)، الكشف (٤٩١/١)، إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي (٢٢٣/١) مكتبة الخانجي - القاهرة - ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - حققه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي إعراب القراءات السبع) . وقراءة عبد الله بن مسعود في البحر المحيط (٤٧٩/٤)].

(٢١١) انظر [شرح قطر الندي ص١٤٨].

وقد ذكر سِيْبَوِيْه أنَّ المكسورة والمفتوحة معناها سواء، ولكن يَقْبُح الابتداء بالثقيلة المفتوحة[٢١٢].

أرى أن القراءتين هما بمعنى واحد، وهذا نوعٌ من أنواع أساليب القرآن الكريم البيانية، أيضاً من قراءة الفتح تبيَّن لنا: أنَّ القرآن يتبع فيه الكلام بعضُه بعضاً، فهو كعقد اللؤلؤ، فالكلام مترابط بعضه ببعض، حيث ناسبت (أنَّ) بالفتح ما قبلها من الآيات، وقراءة الكسر أعطتنا أسلوباً آخر، وهو الفصل والابتداء، وهذا من باب تلوين الأسلوب في القرآن، الذي ينمّ عن جمال ورقة ورونقٍ فيه.

٩ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ٢٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ البزّي مع المد المشبع (**وَلا- تَّوَلَّوْا**) وشدد التاء وصلاً بخُلفه.

٢ - وقرأ الباقون (**وَلاَ تَوَلَّوْا**) بدون مد[٢١٣].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

لاَ: هنا في هذا الموضع حرف يستخدم في النهي، وذلك كقولك «لا تفعل» وإنّما هي بمنزلة «لم» فهي لطلب الترك، وهي تدخل على الأفعال، فتجزمها، فتقتضى جزم المضارع واستقباله، ولا تعمل في الأسماء[٢١٤].

تَوَلَّوْا: من الفعل (**ولّى**) وتولية كل من ولي أمر أحد فهو وليُّه، وولى ظهره جعله وراءه، ووليت عنه: أعرضت عنه وتركته[٢١٥].

---

(٢١٢) انظر [كتاب سيبويه (٣/١٢٤)].

(٢١٣) انظر [النشر (٢/١٧٥)، اتحاف فضلاء البشر (٢/٧٨)، فريدة الدهر (٢/٧٣٧)].

(٢١٤) انظر [كتاب سيبويه (٣/٧ - ٨)، الإتقان (١/٥٤٥)، المصباح المنير ص٤٠٢].

(٢١٥) انظر [المصباح المنير ص٤٠٠، منجد الطلاب ص٩٤١].

ويقول أبو عبيدة[216] في معنى (وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ) أي: «ولا تُدْبروا عنه، ولا تُعْرضوا عنه فتدعوا أمره»[217].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

بعد أن هدَّد الله المشركين بقوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

قفّى على ذلك بتأديب المؤمنين وذلك بأمرهم بطاعة الله ورسوله فخاطبهم بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وفي هذا تخصيص لهم بطاعة الله ورسوله إجلالاً لقدرهم، ويدخل غيرهم فيه على طريق التَّبع.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ وأصلها لا تتولّوا، وحذف أحد التاءين تخفيفاً، والضمير في (عنه) إما أن يعود على:

١ ـ الرسول ﷺ لأن طاعة الرسول من طاعة الله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]

٢ ـ وإما أن يعود على «الله» سبحانه وهذا كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

٣ ـ ويحتمل أن يعود على الأمر بالطاعة أو على الجهاد[218].

﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ وهي جملةٌ حالية حتى يؤكِّد وجوب الانتهاء عن التولّي مطلقاً، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] أي لا تتولّوا عنه، والحال أنكم تسمعون في

---

(٢١٦) سبقت ترجمة له ص ٢٣.

(٢١٧) مجاز القرآن (٢٤٥/١).

(٢١٨) انظر [مدارك التنزيل (٣٩٩/٢)، فتح القدير (٣٧٤٤/٢)، تفسير البيضاوي (٢٥٤/٩)، الأساس (٢١٤٦/٤)].

القرآن الكريم بطاعته وعدم مخالفتة، فهو سماع فهم وإذعان، وسماع تصديق بما يسمع، فهذا شأن المؤمنين الذين من دأبهم السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ(٢١٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ **(وَلاَ تَوَلَّوْا)** بدون مد مشبع، جاء على أصل الفعل تتولوا؛ لأنَّ الفعل دخلت عليه تاء المخاطب بالفعل المستقبل فحذفت الواحدة وذلك للتخفيف، والمحذوفة هي تاء تفعل، والباقية هي تاء العلامة، لأن الحاجة إليها هنا أمس ليبقى الفعل مستقبلاً(٢٢٠).

فحذف الحدث للدِّلالة على:

ـ قلة تولّي المؤمنين بشكل عام.

ـ إنَّ التولّي إنْ حصل من المؤمنين، حصل مرة واحدة؛ لأنّه ليس من عادة المؤمنين، التولّي عن الله ورسوله، أو عن أوامره سبحانه.

ـ تخفيف المد وتخفيف التاء، توحي بالمدَّة القصيرة في التولّي، حيث إنّ الله سبحانه وتعالى يأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، وعدم التولّي في حياة الرسول ﷺ.

٢ ـ من قرأ (وَلا- تَّوَلَّوْا) بالمد المشبع مع تشديد التاء وصلاً. يقول سيبويه(٢٢١): «وإذا التقى الحرفان المِثْلان، اللذان هما سواء متحركين وقبل

---

(٢١٩) انظر [روح المعاني (١٧٥/٥ ـ ١٧٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود (القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت ٩٨٢) (٣١٢/٣) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م، وخرج أحاديثة: الشيخ محمد صبحي حسن حلان (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي إرشاد العقل السليم)، تفسير المراغي (١٨٤/٩)].

(٢٢٠) انظر [المحرر الوجيز (٥١٣/٢)].

(٢٢١) سبقت ترجمة له ص ٣٨.

الأول حرف مدّ، فإن الإدغام حَسَنٌ، لأنَّ حرف المد بمنزلة متحرك في الإدغام»[٢٢٢].

والمد فيه إطالة زمن وهذا يدل على:

ـ أنَّ الله سبحانه وتعالى ينهاهم عن تكرار التولى عن حيثيات الإسلام.

ـ والإدغام فيه ثِقَل وهذا الثقل يوحي بِعِظَم جُرْم التولي عن الله ورسوله، أو عن أوامر الله وزواجره، وذلك لأنَّ العصيان مع توفر أسباب الطاعة أشد.

ـ أيضاً يوحي بالتزام الطاعة بعد وفاة النبي ﷺ على المدى البعيد فتكون الطاعة بالتزام كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومن ثم طاعة الأمراء فى الله، وبدون هذه الطاعة لا يقوم قتالٌ ولا جهاد رباني[٢٢٣].

ـ ويدل أيضاً على أنه مهما طال زمن عمر الإنسان لا يجوز له التولي.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، يتبين أنَّ القراءتين هما لغتان من لغات العرب، ولكن مع ذلك، فإنني أرى أن كلَّ قراءةٍ أوحت بمفهوم أثْرت في معنى وتفسير الآية. فقراءة عدم المد المشبع في الكلمة أوحت بعدم التولّي عن الرسول ﷺ، وقراءة المد زادت في تشويه التولّي عن الرسول ﷺ.

أيضاً أرى أنَّ قراءة عدم المد المشبع أكَّدت على عدم التولّي عن (الله ورسوله) في حال سماع المؤمنين القرآن الناطق بطاعته والمواعظ الزاجرة عند مخالفتة، وقراءة المد أكَّدت على استمرار عدم التولّي، واستمرار الطاعة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى يوم القيامة والله أعلم.

١٠ ـ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

---

(٢٢٢) كتاب سيبويه (٤/٤٣٧).

(٢٢٣) انظر [الأساس (٤/٢١٤٦)].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (فِيهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فِيهِمْ) بكسر الهاء(٢٢٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(في) حرف جر له عدة معانٍ أشهرها الظرفية مكاناً أو زماناً، حقيقة أو مجازاً، وهنا (في) للظرفية المجازية التي هي في معنى الملابسة، ومن لطائفها هنا أنها تعبِّر عن ملابسةٍ باطنية(٢٢٥).

ويقول سيبويه في معنى هذا الحرف:

«وأمّا (في)، فهي للوعاء نقول في الجراب وفي الكيس . . . لأنّه جعله إذا أدخلته فيه كالوعاء له»(٢٢٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لو علم الله في هؤلاء الصُّمِّ البكم الذين ورد ذكرهم في الآية السابقة شيئاً من الميل إلى الخير، أو أنَّ فيهم استعداداً للإيمان والهداية ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ بتوفيقه، سَمَاعَ تدبرٍ وفَهْم ولآمنوا بالرسول وأطاعوه، ولكنّه قد عَلِمَ أنَّه لا خير فيهم، فلم يُسمعهم لعدم الفائدة، فهُم من الذين خَتَمَ الله على قلوبهم وأحاطت بهم خطاياهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ سماعَ تدبرٍ وتفهم؛ لتولّوا ولم ينتفعوا به، وارتدّوا بعد التصديق، وهم معرضون عن قبوله عناداً(٢٢٧).

(٢٢٤) انظر [إتحاف فضلاء البشر (٧٩/٢)، فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر تحرير وجمع الفقير: محمد إبراهيم محمد سالم (٧٣٧/٢) ط سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي فريدة الدهر)].

(٢٢٥) انظر [التحرير والتنوير (٣٠٧/٥)].

(٢٢٦) كتاب سيبويه (٢٢٦/٤)

(٢٢٧) انظر [روح المعاني (١٧٦/٥ ـ ١٧٧)، المحرر الوجيز (٥١٣/٢ ـ ٥١٤)، مدارك التنزيل (٤٠٠/٢)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٣٠/٢)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

يقول ابن مجاهد[٢٢٨]: «كل هذا الاختلاف في كسر الهاء وضمها، إنمّا هو في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة، فإذا جاوزت هذين لم يكن في الهاء إلاّ الضم»[٢٢٩].

ويقول أيضاً: «وأما من كسر الهاء وأسكن الميم . . . فإنهم أمنوا الْلبس، إذ كانت الألف في الثنية قد دلت على الاثنين، ولا ميم في الواحد، فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم؛ طلباً للتخفيف إذ كان لا يُشْكل، وأما الضمة في الهاء. . . فهي أصل الهاء، لأنها إذا ابتدأت كانت مضمومة كقولك هُم، فتركت على حالها»[٢٣٠].

وقد ذكرت سابقاً بأن الضمة لقوتها، جُعلت فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفهما فيما يقل بل يعدم ارتفاعه[٢٣١] فيكون المعنى عند القراءة بالكسر (فِيهِمْ) لو علم الله فيهم شيئاً من جنس الخير ـ وذلك لانعدام الخير فيهم ـ لأسمعهم سماع تفهم وتدبر، ولكن لم يعلم الله فيهم شيئاً من ذلك؛ لخلوّهم عنه بالمرة فلم يُسمعهم ولو أسمعهم سماعَ تفهم وَهُمْ على هذه الحالة العارية من الخير بالكلية؛ لتولّوا عما سمعوه من الحق، وصاروا كأن لم يسمعوه أصلا[٢٣٢] فكلُّ مَنْ لم يؤمن من المشركين حتى مات على الشرك فقد انتفت مخالطة الخير نفسه[٢٣٣].

أما القراءة بالضم في (فِيهُمْ) فثقل وقوة الضم يتناسب مع ثقل وقوة

---

(٢٢٨) ابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، المعروف بابن مجاهد، أبو بكر: مقرىء، محدث، نحوي، ولد في سنة ٢٤٥هـ ـ ٨٥٩م، وتوفي في سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٦م، له من الكتب: القراءات الكبير، وكتاب الياآت. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء ٦٦/١٠، السبكي، طبقات الشافعية ١٠٢/٢ ـ ١٠٣، كحالة، معجم المؤلفين ١٨٨/٢، الزركلي، الأعلام ٢٦١/١.

(٢٢٩) كتاب السبعة في القراءات ص١٠٩.

(٢٣٠) المرجع السابق ص١١٠.

(٢٣١) راجع ص٢١.

(٢٣٢) انظر [تفسير أبي السعود (٣١٢/٣ ـ ٣١٣)].

(٢٣٣) انظر [التحرير والتنوير (٣٠٨/٩)].

علم الله بعدم وجود الخير فيهم، لذلك لم يسمعهم سماع تفهم وتدبر. أيضاً يتناسب مع قوة وتمكن إعراض المشركين فهو إعراض لا قبول بعده فيكون المعنى: أنهم يتولَّون حتى في حالة ما لو سمّعهم الله الإسماع المخصوص، وهو إسماع الإفهام، فكيف إذا لم يسمعوه، وصوغ الجملة ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ بصيغة الجملة الإسمية يدل على إعراضهم الشديد الذي لا قبول بعده(٢٣٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنه لا تناقض بينهما، بل يوجد انسجام كبير بينهما، فقراءة الكسر أفادت انعدام الخير فيهم، وقراءة الضم أفادت قوة علم الله بانعدام الخير فيهم، وقوة إعراضهم عن الحق.

فلانعدام الخير فيهم، كان موقفهم الإعراض الشديد عن الحق، وبالتالي استحقوا العذاب الشديد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ والله أعلم.

١١ ـ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وابن عامر وحفص (**وَأَنَّ**) بفتح الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون (**وَإِنَّ**) بكسر الهمزة(٢٣٥).

ثانياً: المعنى الإجمالي للآية:

لمَّا كان سبب الإقدام على الخيانة هو حب الأموال والأولاد، نبَّه تعالى على أنَّه يجب على العاقل أنْ ينتبه لمضمار ذلك الحب، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾(٢٣٦).

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ هي كلمة ينبه بها السامع على أنَّ ما بعدها مهم جداً

---

(٢٣٤) انظر [التحرير والتنوير (٩/٣١١)].

(٢٣٥) انظر [النشر (٢/٢٠٧)].

(٢٣٦) انظر [التفسير المنير (٩/٢٩٨)].

و﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي أنَّ الأموال والأولاد ابتلاء من الله؛ ليبلوكم فيهم، فلا يحملنّكم حبهم على الخيانة. والفتنة المراد بها هنا: الابتداء والامتحان الذي يُظهر ما في النَّفس من اتباع الهوى، ولعل الفتنة في المال أكثر منها في الولد لذا قُدّمت الأموال على الأولاد؛ لأنّها مَظِنة الحمل على الخيانة في هذا المقام. ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لمن آثر رضى الله على الأموال والأولاد، فهذا تنبيهٌ على أنَّ نعيم الآخرة خيرٌ من نعيم الدنيا؛ لأنّها أعظم في الشرف والفوز والمسرَّة[٢٣٧].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ بفتح همزة (إن) على تقدير حرف الجر وتقديرها (وَبأَنَّ اللّهَ عِندَهُ) معطوفة على ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ وكما ذكرنا سابقاً بأنَّ ما بعد (اعلموا) مهم جداً، فالمقصود الإخبار بأنَّ الأموال والأولاد فتنةٌ لهم.

أيضاً الإخبار بأنَّ الله عنده أجر عظيم مهم جداً، حيث إنَّ الأجر العظيم من الله تعالى أهمُّ من الأموال والأولاد؛ لأنّه أعظم من الأموال والأولاد، فهو يبقى بقاء لا نهاية له، لذلك وصف الله تعالى الأجر بالعظيم لأنّه خيرٌ من الدنيا وما فيها.

وأمّا من قرأ بكسر همزة (إنّ) فهي على سبيل الاستئناف والقطع[٢٣٨]، ففي هذا يكون معنى التوكيد على أنَّ ما عند الله هو الباقي، وأنَّ على

(٢٣٧) انظر [زاد المسير (٢/٢٠٤)، حاشيته الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي - (٤/٤٦٣) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي حاشية الشهابي)، المقتطف من عيون التفاسير: مطصفى الحسن المنصوري (٢/٣٣٣) دار السلام - القاهرة - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م - تحقيق محمد علي الصابوني (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المقتطف من عيون التفاسير)].

(٢٣٨) راجع ص٥٥ - ٥٦ - ٥٧.

الإنسان أن يَزهَدَ في الدنيا، ولا يحرص على جمع المال وحب الولد، فينشغل قلبه بالدنيا ويندفع إلى عمل يوقعه في المصائب والمهالك.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

سبق الجمع بين القراءتين(٢٣٩).

١٢ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، ويعقوب (**عَلَيْهُمْ**) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (**عَلَيْهِمْ**) بكسر الهاء(٢٤٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

بينت سابقاً معنى (عليهم) يمكن الرجوع إليه(٢٤١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

يقول الله تعالى ذكره: وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله قالوا: جهلاً منهم، وعناداً للحق، وهم يعلمون أنهم كاذبون ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ الذي تلي علينا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي إنَّ هذا القرآن الذي تتلوه علينا ما هو ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أي أباطيل(٢٤٢) وما هو إلا ما سطَّره الأولون، وكتبوه من أخبار الأمم، فهم ينكرون بأن الله أوحى هذا القرآن إلى محمد ﷺ(٢٤٣).

---

(٢٣٩) راجع ص٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧.

(٢٤٠) انظر [في هامش القرآن الكريم للقراءات العشر المتواترة ص١٨٠].

(٢٤١) راجع ص ١٨.

(٢٤٢) انظر [لسان العرب (٣٦٣/٤) مادة سطر، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوى المتوفى سنة ١٠٩٤هـ ـ ص٧٣٧ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ سوريا ـ ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م].

(٢٤٣) انظر [جامع البيان (٢٣١/٩)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الضم التي هي أثقل الحركات أرى أنها تتناسب مع ثقل الآيات وقوة تأثيرها على من سمعها، حتى الجماد يتأثر بسماعها يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١].

فكيف بالإنسان! لذلك عدل في التعبير من الكسر إلى أقوى الحركات وهي الضمة؛ للإشارة إلى ندرة هذا الموقف، من قوة عناد الكفار وشدة إنكارهم بأن هذا القرآن لم يوحَ إلى محمد ﷺ.

أمّا من قرأ بالكسر فلضعفها وخفتها[٢٤٤] توحي بأنَّه بالرغم من ثِقَل الآيات وعَظَمَتِها، إلاّ أنهم لم يشعروا بهذا الثقل فكانت خفيفه على أسماعهم وقلوبهم، فلم يتدبروا معانيها فكان سماعهم لها سماعاً سطحياً لا سماع تدبر وتفهم والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنَّ كل قراءة قد أثرت معناً جديداً، فالقرآن الكريم بآياته القوية لم يؤثّر على قلوب الكافرين، وذلك بسبب قوة كفرهم وعنادهم، وذلك لأن قلوبهم مقفلة عن سماع الحق والهدى والله أعلم.

١٣ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (فِيهُمْ) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (فِيهِمْ) بكسر الهاء[٢٤٥].

---

(٢٤٤) راجع ص٢١ ـ ٢٢.

(٢٤٥) انظر [اتحاف فضلاء البشر (٧٩/٢)].

ثانياً: المعنى الإجمالي للآية:

بعد أن بيَّنت الآيات السابقة أنَّ الكفار قد استعجلوا وقوع العذاب بهم من باب الاستهزاء والاستخفاف، ذكر الله هنا أنَّ عدم وقوع العذاب بهم هو وجود الرسول ﷺ واستغفار المؤمنين، وهما عنصر الأمان للمجتمع، والمعنى: ما كان الله ليعذبهم عذاب استئصال والنبي بين أظهرهم؛ لأن ذلك خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه[٢٤٦] والدليل على أنَّه عذابُ استئصالٍ، أنّه وَقَع عليهم العذاب والنبي ﷺ فيهم، كالقحط. فعلِم أنَّ المراد به عذاب استئصال، أي يعمهم بهلاكه، ويأخذهم من أصلهم[٢٤٧] وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إمّا أن يكون:

١ ـ المراد باستغفارهم استغفار من بقي فيهم من المؤمنين.

٢ ـ أو قولهم (الكفار) اللهم غفرانك.

٣ ـ أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا[٢٤٨].

ويميل الطبري إلى التفسير الثالث[٢٤٩] وإليه أشار الزمخشري[٢٥٠].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة (فِيهُمْ) بالضم تُفَسَّر على أنَّ وجود النبي ﷺ كصمام أمان لقومه من عذاب الله يمثل عظمة الرسول ﷺ عبد خالقه تعالى وعند أمته وهذا يتناسب مع ثقل وقوة الضمة[٢٥١].

في حين أنَّ قراءة (فِيهِمْ) بالكسر، تمثل عدم تقدير مكانة النبي ﷺ

---

(٢٤٦) انظر [روح المعاني (١٨٧/٩)].

(٢٤٧) انظر [حاشية الشهاب (٤٦٨/٤)].

(٢٤٨) انظر [تفسير البيضاوي (٢٥٧/٩)].

(٢٤٩) انظر [جامع البيان (٢٣٨/٩)].

(٢٥٠) انظر [الكشاف (١٥٦/٢)].

(٢٥١) راجع ص٢١.

عند غير المؤمنين وأيضاً لخفة الكسرة وضعفها[٢٥٢] فهي توحي بخفة وزن القوم الكافرين فلولا وجود النبي وثقل وزنه بينكم أيها الكافرون، لعذبكم الله العذاب الشديد الذي تستحقونه؛ وذلك لأنكم بكفركم لا وزن لكم عند الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أجد أنَّ كلَّ قراءة أعطت معنى يعضد المعنى الآخر. فقراءة الضَّم أوحت بِثِقل عظمة النبي ﷺ عند الله سبحانه وتعالى وأنَّ عادة الله وسنته جرت بأن لا يعذب قوماً وبينهم نبيهم، إكراماً لنبيه، جرياً على عادته تعالى مع مكذبي أنبيائه أنْ لا يعذبهم وأنبياؤهم مقيمون فيهم عذاباً يستأصلهم فيه[٢٥٣].

وأرى أن قراءة الكسر أوحت بالمفهوم الآخر وهو عدم تقدير مكانة النبي ﷺ عند غير المؤمنين، وبأن الكفار لا وزن لهم عند الله سبحانه وتعالى، وذلك بسبب كفرهم والله أعلم.

١٤ ـ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ورويس، وخلف (وتصدية) بإشمام صوت الزاي.

٢ ـ وقرأ الباقون (وتصدية) بالصاد الخالصة[٢٥٤].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تصدية من صدى بيده: أي صفق وهو ضرب اليد على اليد، والصدى

(٢٥٢) راجع ص٢١.

(٢٥٣) انظر [البحر المحيط (٤/٤٨٩)].

(٢٥٤) انظر [اتحاف فضلاء البشر (٢/٧٩)، فريدة الدهر (٢/٧٤٠)].

ما يردُّه الجبل أو غيره إلى المصوِّت مثل صوته[٢٥٥] والتصدية: كل صوت يجري مجْرى الصدى الذي لا غناء فيه[٢٥٦].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

نفى الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة عن الكفار استحقاقهم أن يكونوا ولاة البيت الحرام، فكان مناسباً أن يذكر هنا السبب وهو أنهم يصدون عن المسجد الحرام، ثم ذكر سبباً آخر لاستحقاقهم العذاب، فذكر من فعلهم القبيح الذي هو غاية في الجهل ما يؤكد ذلك، وأنَّ من كانت صلاته ما ذكر لا يستأهل أن يكونوا أولياءه[٢٥٧]. وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ صلاة الكفار عند البيت الحرام ما هي إلا صفيرٌ وتصفيق. وعن مجاهد[٢٥٨]: «أنَّ التصدية هي الصفير بالفم، وقد يكون بالأصابع والكفّ في الفم» يريدون بذلك أن يشغلوا الرسول ﷺ عن الصلاة. فمن كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له، فكان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم[٢٥٩]. والمكاء والتصدية لا يُعدَّان كفراً، إلا إذا كانا صادرين للسخرية بالنبي ﷺ وبالدين[٢٦٠]. ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي القتل والأسر يوم بدر، وقيل عذاب الآخرة، وقيل العذاب المعهود ـ لأن ال التعريف هي ال العهد ـ في قوله سبحانه ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٦١] وذلك بسبب كفركم وضلالكم، اعتقاداً وعملاً[٢٦٢].

---

(٢٥٥) انظر [المفردات في غريب القرآن ص٧٩٠، منجد الطلاب ص٣٩٩. مادة صدى].

(٢٥٦) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٤٨١ مادة صدى].

(٢٥٧) انظر [نظم الدرر (٢١٣/٣)، التحرير والتنوير (٣٣٨/٩)].

(٢٥٨) تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت ١٠٢هـ) ـ ص٣٥٤ ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢٥٩) انظر [البحر المحيط (٤٩١/٤ ـ ٤٩٢)، زاد المسير (١٠٨/٢ ـ ١٠٩)، مفاتيح الغيب (١٢٨/٨)].

(٢٦٠) انظر [التحرير والتنوير (٣٣٩/٩)].

(٢٦١) انظر [إرشاد العقل السليم (٣١٩/٣)].

(٢٦٢) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٣٣٧/٢)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

ألاحظ عند من قرأ بالصاد الخالصة، أنَّ الصاد من صفاتها الإستعلاء والإطباق والصفير وهي من صفات القوة، وهو الصوت القوي(٢٦٣) فيكون تفسير الآية أنَّ صلاة الكفار كانت عند البيت مكاء أي صفيراً وتصدية أي تصفيقاً بصوت عالٍ، وعلى معنى من قال أنَّها صفير، يكون التصفير بصوت عالٍ، وفي ذلك إيذاء للنبي ﷺ أشد أمّا من قرأ بإشمام صوت الزاي، فالإشمام هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير صوت وذلك بأن تجعل صورة النطق بالضمة دون التلفظ بها ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف(٢٦٤).

فيكون التفسير: بأن صلاة الكفار كانت صفيراً وتصفيقاً بصوت خفي.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أجد أنَّ كل قراءة أثرت في معنى الآية فالقراءة الأولى أفادت بأنَّ الصفير أو التصفيق كان بصوت مرتفع وعال، والقراءة الثانية أفادت بأنَّه كان بصوت خافت، وعلى ذلك يكون الصفير والتصفيق أحياناً بصوت خافت، وأحياناً بصوت مرتفع، أو أنَّه كان في البداية بصوت خافت ثم ارتفع شيئاً فشيئاً والله أعلم.

١٥ ـ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف العاشر (لِيُمَيِّز) بضم

(٢٦٣) انظر [النشر (١/١٦٠)].

(٢٦٤) انظر [المرجع السابق (٢/٩)، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسينات) : د. محمد التونجي، راجي الأسمر ص١٢٨ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ـ راجعه د. إميل يعقوب (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المعجم المفسر)].

الياء الأولى، وفتح الميم، وكسر الياء الثانية مشددة، مضارع «ميّز يميّز» مثل «كرّم يكرّم» مضعف العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (لِيَمِيْزَ) بفتح الياء الأولى، وكسر الميم، وسكون الياء الثانية مخففة مضارع «ماز يميز»[٢٦٥] معتل العين.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ماز (يميز ميزاً) يقال ماز الشيء، عزلَه وفرزه عن غيره، فضَّله على سواه. **تميّز** انفصل عن غيره وانعزل، ميّزت الأشياء، إذا فرّقتها بعد المعرفة بها أي فرقت بينها والتثقيل مبالغة[٢٦٦].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

لمّا ذكر الله ـ تعالى ـ حَشْرَ الكافرين في جهنم في الآية السابقة لتلك الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال: ٣٦]، ذَكَر العلة في ذلك فقال معلقاً بـ (يحشرون): ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ﴾[٢٦٧] وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدهما: ليميِّز أهل السعادة من أهل الشقاء أو يميز المؤمن من الكافر.

والثاني: ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث.

والثالث: ليميِّز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان[٢٦٨].

---

(٢٦٥) انظر [النشر (٢/١٨٤)].

(٢٦٦) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٣، المصباح المنير ـ ص٣٣٩ كتاب الميم مادة ميز، منجد الطلاب ص٧٥٦ مادة ماز].

(٢٦٧) انظر [نظم الدرر (٣/٢١٦)].

(٢٦٨) انظر [زاد المسير (٢/٢١٠)].

فمن ذلك نفهم أنَّ المعنى عامٌّ في كل شيء من الأعمال والنفقات وغير ذلك(٢٦٩).

وقوله تعالى ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يجمع بعضه فوق بعض، فمن قال أنَّ الخبيث: الكفار، أي يجعل الكفار بعضهم فوق بعض، ومن قال الخبيث: أموالهم فله قولان:

أحدهما: أنها أُلقيت في النار؛ ليعذَّب بها أربابها كما قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

والثاني: أنهم لمّا عظَّمُوها في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تُلقى الشمس والقمر في النار؛ ليرى من عبدهما دونه(٢٧٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

ذهب بعض العلماء إلى أن القراءتين من باب اللغات، إلا أنَّ قراءة التشديد، تفيد التكثير.

قال مكي بن أبي طالب(٢٧١): «هما لغتان ... وفي التشديد معنى التكثير»(٢٧٢). وقال ابن زنجلة(٢٧٣): «والتشديد إنمّا يدخل في الكلام للتكثير»(٢٧٤) لذلك نجد أنَّ في اختلاف القراءتين بياناً لأنواع التمييز. ومن قال بأن قراءة التخفيف بمعنى فرز، وقراءة التشديد بمعنى إذا محّص الفرز(٢٧٥) فتكون قراءة التشديد ليميّز من التمييز، وهو أبلغ من الميز لزيادة

(٢٦٩) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٤٤)].

(٢٧٠) انظر [معاني القرآن: النحاس (١/٤٢٦)، زاد المسير (٢/٢١٠)].

(٢٧١) مكي بن أبي طالب: هو مكي بن أبي طالب حموشي بن مختار القيسي، أبو محمد القيرواني ثم الأندلسي، كان إماماً في القراءات، أستاذ القراء والمجوِّدين، توفي سنة ٤٣٧هـ.

(٢٧٢) الكشف (١/٣٦٩).

(٢٧٣) عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرىء، أبو زرعة، فقيه مالكي، ترك عدة مؤلفات منها: كتابه الشهير حجة القراءات انظر [ترجمتة في مقدمة تحقيق كتاب الحجة ـ سعيد الأفغاني ص ٢٥، الأعلام (٣/٣٢٥)].

(٢٧٤) الحجة: ابن زنجلة ص١٨٢.

(٢٧٥) انظر [التحرير والتنوير (٩/٣٤٣)].

حروفه[٢٧٦] فهناك حالات يكون التمييز فيها واضحاً بين الإيمان والكفر، أو بين الأموال التي تنفق في سبيل الله والأموال التي تنفق في سبيل الشيطان، وهذه تناسبها قراءة التخفيف. وهناك حالات تحتاج إلى دقة وشدة في التمييز كتمييز المنافقين عن الصادقين المؤمنين، والدليل على ذلك أنَّه جمع الخبيث وإن اختلفت أصنافه في مجمع واحد، وذلك لزيادة تمييزه عن الطيب، ولتشهير من كانوا يُسِرُّون الكفر ويظهرون الإيمان[٢٧٧].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى أن المعنى يصبح: إذا كان يوم القيامةِ، سيجعل الله كل طائفة متفقةً في العقيدة والعمل مع بعضها، فيجعل المتقين في جنات النعيم، ويجعل الكفار في الجحيم، والمنافقين في الدرك الأسفل من النار، وذلك ليفصل الله بين الخبيث الكافر، والطيب المؤمن، ثم يجمع الخبيث (الكفار والمنافقين والأموال الخبيثة) فيجعل بعضهم على بعض ثم يقذف بهم في نار جهنم، وفي ذلك زيادة في التمييز لهم عن الطيب وأولئك هم الخاسرون والله أعلم.

١٦ ـ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس (**بِمَا تعْمَلُونَ**) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ الباقون (**بِمَا يَعْمَلُونَ**) بالغيب[٢٧٨].

(٢٧٦) انظر [روح المعاني (١٩٢/٥)].

(٢٧٧) انظر [التحرير والتنوير (٣٤٣/٩)].

(٢٧٨) انظر [النشر (٢٠٧/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ - يَعْمَلُونَ مشتق من الفعل عمل عملاً أي صنع ومهن[٢٧٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ﴾ عطف على ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] في الآية السابقة، وأمَّا في هذه الآية عَمَّ الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال؛ لتحقيق ما يتضمنه قوله سبحانه: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨] من الوعيد ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتى لا يوجد فيهم شرك أو لا يوجد فيهم مشرك، والفتنة بمعنى الكفر والضلال والابتلاء والمحنة[٢٨٠]. ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وتضمحل الأديان الباطلة كلّها، إمّا بهلاك أهلها جميعاً، أو برجوعهم عنها خشية القتل ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ عن الكفر بقتالكم وانتهوا بمعنى كفُّوا[٢٨١] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي أنَّ الله يجازيهم على انتهائهم عنه، وإسلامهم بحسب علمه[٢٨٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ - من قرأ (**تعْمَلُونَ**) بتاء الخطاب

أ - يتناسب مع قوله تعالى في صدر الآية ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ ومع قوله تعالى بعد: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٠].

---

(٢٧٩) انظر [مختار الصحاح: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ص٤٥٥ - دار الفكر - طرابلس - بيروت راجعه لجنه من علماء العربية (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي مختار الصحاح)، منجد الطلاب ص٤٩٩ مادة عمل، المصباح المنير ص٢٥٥ كتاب العين، مادة عمل].

(٢٨٠) انظر [مختار الصحاح ص٤٩٠، منجد الطلاب - ص٥٣٥ - ٥٣٦ مادة فتن، المصباح المنير ص٢٧٤ كتاب الفاء مادة فتن].

(٢٨١) انظر [مختار الصحاح ص ٦٨٣، منجد الطلاب ص٨٤٦ من مادة نهى].

(٢٨٢) انظر [روح المعاني (١٩٤/٩)، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٣٩/٢)].

ب ـ أن يكون الخطاب على الالتفات من الغَيْبة إلى الخطاب، والالتفات ضربٌ من ضروب البلاغة[٢٨٣] فيكون تفسير الآية على أنَّه خطاب للمسلمين المجاهدين، أي أنَّ الله بصيرٌ بما تعلمون من الجهاد المخرج لهم إلى الإسلام، فهي دعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام حتى يجازيكم عليه أحسن الجزاء وتعليق الجزاء بانتهائهم للدلالة على أنهم يثابون بالسببية، كما يُثاب المباشرون بالمباشرة[٢٨٤].

٢ ـ من قرأ (يَعْمَلُونَ) بياء الغيب يتناسب مع قوله تعالى قبل: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾[٢٨٥] ويكون تفسير الآية إن انتهوا عن الكفر بقتالكم لهم، فإن الله يجازيهم على انتهائهم عنه وإسلامهم[٢٨٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يكون تفسير الآية، بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ بصيرٌ بأحوال الكفار ومجازيهم على عملهم، وكذلك بصير بما تعملون أيها المسلمون من جهادهم وحربهم وذلك بإخراجهم من الكفر إلى الإسلام بالجهاد والمقاتلة، فأسلوب الالتفات إلى الخطاب أفاد معنى أعم وأشمل، ودلّ على الاهتمام بشأن المخاطبين بحيث إنه أدخل الجميع في المخاطبة، وهذا يدل على إعجاز القرآن.

١٧ ـ ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

(٢٨٣) انظر [المغني في توجيه القراءات (١٩٠/٢)].

(٢٨٤) انظر [روح المعاني (١٩٤/٩)، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٣)، الكشاف (١٥٧/٢)، البحر المحيط: (٤٩٥/٤)].

(٢٨٥) انظر [المغني في توجيه القراءات (١٩١/٢)].

(٢٨٦) انظر [روح المعاني (١٩٤/٩)، إرشاد العقل السليم (٣٢١/٣)].

أولاً: القراءات:

اختلف القراء في **(بالعدوة) في الموضعين:**

١ ـ أ ـ فقرأ: ابن كثير والبصريان (أبو عمر، ويعقوب) (بالعِدْوَة) بكسر العين فيهما.

ب ـ وقرأ الباقون (**بِالْعُدْوَةِ**) بضم العين فيهما.

٢ ـ أ ـ قرأ المدنيان (نافع، وأبو جعفر) ويعقوب وخلف والبزي وأبو بكر (**حيِي**) بياءين ظاهرتين، الأولى مكسورة والثانية مفتوحة.

ب ـ وقرأ الباقون (قنبل، أبو عمرو، ابن عامر، حفص، حمزة، الكسائي) (**حَيَّ**) بياء واحدة مشدَّدة[٢٨٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ «**الْعُدْوَةِ**» مشتقة من الفعل عدا ومنه (**العُدَى**) الأماكن المرتفعة و(**الْعُدْوَةِ**) المكان المتباعد و(**الْعَدْوَةِ**) شاطىء الوادي وجانبه، وقُرىء بضم العين، فعليه يكون الجمع **عُدى**، وهو اسم جمع للعدو، وقرىء بكسر العين (**الْعِدْوَةِ**) فعليه يكون الجمعُ عِدى، مثل لحية ولحى و(**العِدى**) أي الأعداء جمع عدو، المتباعدون الغرباء. شاطىء الوادي[٢٨٨].

(**والْعُدْوَةِ**)، (**والْعِدْوَةِ**) لغتان مشهورتان: فالضم لغة تميم وقيس، والكسر لغة الحجاز وقريش[٢٨٩] وسميت بذلك؛ لأنها عدت ما في الوادي

(٢٨٧) انظر [النشر (٢/٢٠٧ ـ ٢٠٨)].

(٢٨٨) انظر [مختار الصحاح ص٤١٩، منجد الطلاب ص٤٦٤ مادة عدا، المصباح المنير، مادة عدا ص٢٣٧، والجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٨٢)].

(٢٨٩) انظر [المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٢/٢٧٧) ـ دار الفكر شرحه وعلق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، تشيم رابين، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ ـ دار الفارس ـ الأردن ـ ط١ ـ ٢٠٠٢م، اللهجات العربية في القراءات القرآنية: د. عبده الراجحي ص٢٥١ ـ مكتبه المعارف ـ الرياض ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م].

من ماء ونحوه أن يتجاوزها أي منعته[(٢٩٠)].

٢ ـ **(حيي)** حياةً ضد مات ويقال فيه: حيَّ يحيُّ بالإدغام والحياة نقيض الموت، وحيَّ: فعل بمعنى أقبل وعجل[(٢٩١)] والفك والإدغام لغتان مشهورتان[(٢٩٢)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الحديث ما يزال عن وقعة بدر، فالله تعالى بعد أن بيَّن حكم قسمة الغنائم، بدأ بوصف حالة الجيشين، ومواقع الصَّفين، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه المشاهد من يوم الفرقان (بدر)؛ لتذكير المؤمنين بنعمه العظمى التي أنعم بها عليهم بالرغم من قلَّة عددهم وعدّتهم وضعفهم أمام المشركين، وقوة شأنهم وتكامل عدتهم فقد نصرهم الله نصراً كبيراً[(٢٩٣)] ليبيِّن لهم في هذه الحال أنَّ النصر ليس إلا من عند الله. والله سبحانه ذيَّل الآية السابقة ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١] فَمِن آثار قدرته جلَّ شأنه ما شاهدتموه يوم التقى الجمعان[(٢٩٤)].

فقال: اذكروا أيها المؤمنون ذلك اللقاء الحاسم بينكم وبين المشركين، واشكروه على نصره لكم، عندما كنتم في مواجهةٍ رهيبةٍ مع الأعداء، إذ كنتم نازلين بجانب الوادي الأقرب إلى المدينة، **(وَهُم)** أي المشركون ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾.

---

(٢٩٠) انظر [البحر المحيط (٤/٤٩٩)، الدر المصون (٥/٦٠٩)].

(٢٩١) انظر [مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ (١/٢٥٨) ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م تحقيق عبد المحسن سلطان، منجد الطلاب ص١٥١ مادة حيي، المصباح المنير ص٩٦ كتاب الحاء مادة حيي].

(٢٩٢) راجع القراءة في قوله (وحيي) في البحر المحيط (٤/٥٠١)، والمحرر الوجيز (٢/٥٣٤).

(٢٩٣) انظر [نظم الدرر (٣/٢٢٠)، التفسير المنير (٣/١٦)].

(٢٩٤) انظر [روح المعاني (١٠/٢٠٣)].

﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾: تأنيث الأقصى بمعنى الأبعد، أي في جانب الوادي، الأخرى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة، ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ أي العير الذي فيه أبو سفيان وأصحابه ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ في مكان أسفل من مكانكم - يعني ساحل البحر - أي أسفل الوادي بثلاثة أميال. وقد ذكر المفسرون فائدة ذلك؛ للدلالة على قوة العدو، واستظهارهم بالركب. أي تقويتهم بهم، لقربه منهم. فهم يدافعون عنه دفاع المستميت، مما يقوي روحهم المعنوية، وإظهار ضعف شأن المسلمين معلوم من الواقع، لقلة عددهم واستبعاد غلبتهم، ولذا ذكر مراكز الفريقين ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ﴾ أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال، ثم علمتم حالكم وحالهم، لاختلفتم في الميعاد ﴿وَلَـٰكِن﴾ جمع بينكم بلا ميعاد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي ليقضي الله أمراً مفعولاً، وهو نصر أوليائه، وقهر أعدائه ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ والبينة: الحجة الظاهرة، أي ليموت من يموت عن بيّنة، ويعيش من يعيش عن بيّنة، لئلا يبقى لأحد على الله حجة بعد ما رأى من الآيات والعبر، أو ليصدر كُفْر من كَفَر وإيمانُ من آمنَ عن وضوح وبينة، على أن الهلاك كناية عن الكفر، والحياة كناية عن الإيمان والإسلام، فقد جعل المهتدي بمنزلة الحي، وجعل الضال بمنزلة الهالك(٢٩٥).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأقوال وأفعال المؤمنين والكافرين، وقد ختم بهاتين الصفتين؛ لأن الكفر والإيمان يستلزمان النطق اللساني والاعتقاد القلبي فهو سميع لأقوالكم عليم بنياتكم، ولا تخفى عليه خافيةٌ من باطن أو ظاهر(٢٩٦).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

---

(٢٩٥) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢٨/١)].

(٢٩٦) انظر [جامع البيان (١٠/١٠ - ١٢)، مدارك التنزيل (٤٠٤/٢ - ٤٠٥)، البحر المحيط (٥٠١/٤)، حاشية الشهاب (٤٧٨/٤ - ٤٨١)، فتح القدير (٣٩٠/١٠ - ٣٩١)، روح المعاني (٢٠٤/١٠ - ٢٠٥)، التفسير المنير (١٦/١٠ - ١٧)].

القراءة الأولى:

١ ـ لقد ذهب بعض أهل اللغة والتفسير إلى أنَّ القراءتين ترجعان إلى معنى واحد وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد[٢٩٧]. فالحجة لمن ضم أو كسر أنهما لغتان معناهما جانب الوادي[٢٩٨] ولكن لأنَّ الضم لا يُنطق إلا بانضمام الشفتين وارتفاعهما ولثقل وقوة الضم[٢٩٩] فإنه يتناسب مع قراءة **(الْعُدْوَةِ)** بالضم، فنفهم من هذه القراءة بأن مكان **(الْعُدْوَةِ)** كان مرتفعاً سواء الدنيا أو القصوى، وهذا ـ في ظني ـ يتناسب مع المعنى اللغوي لهذه القراءة. في حين أنَّ قراءة الكسر **(الْعِدْوَةِ)** أفادت بأنَّ المسافة بين العدوتين كانت بعيدة والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبَّين لنا أنَّ المكانين اللذين نزل بهما الجيشان وهما العدوة الدنيا والعدوة القصوى كانا مرتفعين عن سطح الماء (شاطىء وادي بدر) وأنَّ المسافة بينهما بعيدة.

فكانت العدوة الدنيا أي العدوة التي من جهة المدينة، أقرب لجيش المسلمين من العدوة التي من جهة مكة، والعدوة القصوى هي التي مما يلي مكة وهي قصوى أي بعيدة بالنسبة لموقع بلد المسلمين[٣٠٠].

قال الشعراوي: «والعدوة شاطىء الوادي وجانبه ـ وهي جبل مرتفع؛ لأن الجبال إذا كان بينهما فضاء يسمى هذا الفضاء وادياً، فيكون الوادي هو

(٢٩٧) انظر [معاني القرآن: علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ص١٥٣ دار قباء للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٩٨م تقديم د. عيسى شحادة عيسى (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي معاني القرآن الكسائي)، مجاز القرآن (١/١٤٦)، معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٤٦)، جامع البيان (١٠/١٠)، روح المعاني (١٠/٢٠٤)].

(٢٩٨) انظر [الحجة: ابن خالويه (٩٤)].

(٢٩٩) راجع ص٢١.

(٣٠٠) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٦)].

الفضاء بين جبلين، ويكون المكان العالي الذي على يمين الوادي وعلى شماله عدوة»[٣٠١].

القراءة الثانية:

١ ـ مَنْ اختار الإظهار فقرأ (حَيِيَ) بياءين فالحجة في ذلك أنَّه أتى به على الأصل[٣٠٢] ولأن الإدغام يؤدي إلى تضعيف حرف العلة وهو ثقيل في ذاته، ولأن حركة الثاني (حَيِيَ) غير لازمة، لأنك تقول في المستقبل يحيا، فيمتنع الإدغام في المضارع وهو يحيا، فأُجري الماضي على شاكلة المستقبل، ولأن الحركتين مختلفتان في حيِيَ واختلاف الحركتين كاختلاف الحرفين لا يدغم[٣٠٣].

فتشير قراءة إظهار الياءين إلى أن (**وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ**) أي بالإسلام حياة هي في أعلى الكمال[٣٠٤]. وذلك لأن الإظهار يدل على الكمال والزيادة.

٢ ـ ومن اختار التشديد (حَيَّ) فأدغم الياءين، فالحجة له أنه استثقل اجتماع ياءين متحركتين، فأسكن الأولى وأدغمها في الثانية، ولأنَّ حركة الثانية لازمة؛ لأنها حركة بناء، ولا يضرُ زوالُها. أمّا إذا كانت حركة إعراب فالإظهارُ فقط[٣٠٥] فيكون تفسير الآية على قراءة التشديد: (**وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ**) حياة في أدنى الكمال، فهذا يتناسب مع تخفيف الياء بالإدغام[٣٠٦].

الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين يتبَّين أنَّه من يحيا بعد ذلك، فإنه يحيا حياة

---

(٣٠١) تفسير الشعراوي (٤٧١٢/٨).

(٣٠٢) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٥].

(٣٠٣) انظر [الدر المصون (٦١٤/٥)، مدارك التنزيل (٤٠٥/٢)، روح المعاني (٢٠٥/١٠)، مجمع البيان (١٥٢/١)].

(٣٠٤) انظر [نظم الدرر (٢٢١/٣)].

(٣٠٥) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٥، الدر المصون (٦١٤/٥)].

(٣٠٦) انظر [نظم الدرر: (٢٢١/٣)].

كريمة حياة بالإسلام هي في أعلى الكمال أو في أدنى الكمال حياة ناشئة عن حالة (بَيِّنَةٍ) أي: كائنة بعد البيان في كون الكافرين على باطل، والمؤمنين على حق[(٣٠٧)].

١٨ ـ ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الأنفال: ٤٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الأصحاب (حمزة، الكسائي، خلف) والبصري (يعقوب) ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ﴾ بالإمالة، وبالتقليل لورش بخُلفِه فله الفتح والتقليل.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ﴾ بالفتح بدون إمالة[(٣٠٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أراكهم: من الرؤية فهي من الفعل رأى، ومنه أراه الشيء أي جعل ينظر فيه[(٣٠٩)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

توضح الآية أنَّ الله سلّم القوم من الفشل والتنازع وذلك بما أرى نبيه محمداً ﷺ في منامه أن الأعداء قلة، فأخبر بها أصحابه، فقويت نفوسهم وتشجعوا على حرب أعدائهم فكانت الرؤيا تثبيت لهم، ولو أراه الله العدو كثيراً، لفشل الصحابة رضوان الله عليهم والنبي ﷺ، فجبنوا وخافوا، ولم يقدروا على حرب الأعداء، والله سميع لما يقول، عليم بما في القلوب، فهو يعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما

---

(٣٠٧) انظر [نظم الدرر (٣/٢٢١)].

(٣٠٨) انظر [النشر (٢/٢٠٨)، البدور الزاهرة ص١٦١].

(٣٠٩) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٣٧٣ ـ ٣٧٤، منجد الطلاب ص٢٢٥].

دبر[٣١٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية:

١ ـ الإمالة والفتح إحدى الظواهر اللغوية التي كانت متفشِّية بين القبائل العربية، والإمالة تنسب إلى القبائل التي كانت تعيش وسط الجزيرة وشرقها أمثال (تميم[٣١١]، وقيس[٣١٢]، وأسد[٣١٣]، وطيء[٣١٤]، وبكر بن وائل[٣١٥]، وعبد قيس)[٣١٦]، أما القبائل التي كانت تفتح هي التي كانت غربي الجزيرة العربية بما في ذلك قبائل الحجاز أمثال (قريش[٣١٧]، وثقيف[٣١٨]، وهوازن[٣١٩]، ....

---

(٣١٠) انظر [جامع البيان (١٢/٩ ـ ١٣)، صفوة التفاسير (٥٠١/١)، المقتطف من عيون التفاسير (٣٤٢/٢)].

(٣١١) تميم ينتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا ويرجع نسبهم إلى تميم بن مرّة انظر [الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمْعاني (ت ٥٦٢هـ) (٤٧٨/١ ـ ٤٨١) دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ـ تقديم: عبد الله عمر البارودي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الأنساب)].

(٣١٢) نسبة إلى قيس بن ثعلبة أو قيس بن مضر بن نزار انظر [الأنساب (٥٧٥/٤ ـ ٥٧٨)].

(٣١٣) وهذه نسبة الأزد فيبدلون السين من الزاي والمشهور لهذه النسبة عبد الله بن مالك بن القط انظر [الأنساب (١٣٧/١)].

(٣١٤) نسبة إلى طيء واسمه: جُلْهُمَة بن أُدَدْ بن زيد بن يشجب ويرجع نسبهم إلى سام بن نوح انظر [الأنساب (٣٥/٤ ـ ٤٠)].

(٣١٥) جماعة انتسبوا له وسمّوا البكريون منهم الأسود بن عامر البكري انظر [الأنساب (٣٨٥/١)].

(٣١٦) نسبة إلى عبد القيس بن أفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار انظر [الأنساب (١٣٥/٤)].

(٣١٧) سميت قريش بهذا الاسم لتجمّعهم على قُصَيّ بن كِلاب، وسمي قصيّ مُجَمِّعاً، والتجمع: التقرّش في بعض كلام العرب، ويقال لقصي القريشي ولم تسمّ قريش قبله انظر [الأنساب (٤٨٤/٤ ـ ٤٨٥)].

(٣١٨) نسبة إلى ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، وقيل أن اسم ثقيف قسي، ونزلت اكثر هذه القبيلة بالطائف وانتشرت بالبلاد انظر [الأنساب (٥٠٨/١ ـ ٥١١)].

(٣١٩) هوازن نسبة إلى هَوْزَن، وهو بطن من ذي الكلاع بن حمير، نزلت الشام، والهوزن في العربية الغبار، وقيل نوع من الطّير انظر [الأنساب (٦٥٦/٥)].

وكنانة[٣٢٠][٣٢١].

وهناك رأيان للعلماء في أصل الفتح والإمالة:

بعضهم يرى أنَّ كُلاً منهما أصل قائم بذاته، والبعض الآخر يرى أن الفتح أصل، والإمالة فرع عنه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن[٣٢٢].

وفائدة الإمالة: هي سهولة اللفظ وذلك أنَّ اللسان يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة. والانحدار أخفُّ على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال. وأما من فتح فإنَّه راعى الأصل[٣٢٣]. ومن أمال إشعاراً بأن الألف الممالة تكون أصلية بدلاً من ياء، فالإمالة تترك في المسموع صوتاً يؤلفه نغم من صوتي الألف والياء، لا تكاد تغلِّب أحدهما على الآخر، وهكذا فالإمالة تؤلف مع غيرها من الظواهر اللغوية في سياق التلاوة القرآنية مجموعة من الإيقاعات في المسموع الصوتي في كل اختيار من اختيارات القراء[٣٢٤]. وهذا من الإعجاز الموسيقي في القرآن، وبالإضافة إلى سهولة وعذوبة الإمالة فإنَّ الفعل أراكم نلاحظ أن فاء الفعل مفتوحة دائماً في الفعل الماضي الثلاثي وذلك حتى يحصل للمتكلم العذوبة في اللفظ ويصغي السامع إليه، لأنس السامع بالأخف[٣٢٥]. فاجتمعت الإمالة مع ما ذكرنا سابقاً فناسبت ما أراه الله لرسوله ﷺ في المنام من قلة عدد الكفار فكانت

---

(٣٢٠) وينتسب إليها عدة من القبائل منها كنانة قريش ينسبون إليها انظر [الأنساب (٥/٩٨ ـ ٩٩)].

(٣٢١) انظر [اللهجات العربية: د.إبراهيم أنيس ـ ص٦٠، النشر (٢/٢٤)].

(٣٢٢) انظر [النشر (٢/٢٥)].

(٣٢٣) انظر [المرجع السابق (٢/٢٨)].

(٣٢٤) انظر [وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: د.محي الدين رمضان ـ ص٨٨ ـ ٨٩ ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ جبل الحسين ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الإعجاز الموسيقي)].

(٣٢٥) انظر [أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: دراسات لسانية ولغوية: د.عصام نور الدين ـ ص١٩٢ ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب].

هذه الرؤيا تحمل طابع اللين والرقة والرأفة والرحمة للرسول ﷺ وللمؤمنين وذلك لأنَّ الإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق، ويتركها القارئ في موضع التهديد والإنذار(٣٢٦).

خامساً: الجمع بين القرائتين:

بالجمع بين القرائتين يتبين لنا أنَّ كل قراءة قد أثرت في معنى الآية فالإمالة قد حملت طابع اللين والرقة والرحمة من الله للمسلمين ولرسوله ﷺ والتي ظهرت أيضاً من خلال سياق التلاوة القرآنية فأعطت مجموعة من الإيقاعات والأنغام الصوتية التي تدل على الإعجاز الموسيقي في القرآن. في حين أن قراءة الفتح فيها تذكير للرسول ﷺ وللمؤمنين بنعمة الله العظيمة عليهم فكانت الرؤيا سبباً من أسباب النصر العظيم في غزوة بدر، فهي تحمل في مضمونها طابع الإنذار للمسلمين أن لا يعتقدوا أنَّ النصر من عندهم بل هو من عند الله وهذا المفهوم جاء مناسباً مع قراءة الفتح بالراء المفخمة والله أعلم.

١٩ ـ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف **(تَرْجِعُ الأمُورُ)** بفتح حرف المضارعة وكسر الجيم.

٢ ـ وقرأ الباقون **(تُرْجَعُ الأمُورُ)** بضم حرف المضارعة وفتح الجيم(٣٢٧).

ثانياً: المعنى اللّغوي للقراءات:

١ ـ **رجَع** : انصرف، عاد **(تُرْجع)** تصير، والرجوع نقيض الذهاب،

(٣٢٦) انظر [المعجزة الكبرى ص٤٩].

(٣٢٧) انظر [النشر (١٥٧/٢)، اتحاف فضلاء البشر (٨٠/٢)].

ويتعدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال: رجعته عن الشيء وإليه.

والرجوع: العود إلى ما كان منه البَدْء، والرَّجع: الإعادة والرَّجعة، والرِّجعة، في الطلاق وفي العَوْد إلى الدنيا بعد الممات(٣٢٨).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

واذكروا أيها الرسول والمؤمنون الوقت الذي يريكم الله الكفار قبل القتال عدداً قليلاً في رأي العين المجردة، وفي ذلك تصديق لما أخبركم به النبي ﷺ في رؤياه كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] ويجعلكم قلة في أعين الكفار قبل اللقاء، فيغتروا، ولا يعدّوا العُدة لكم ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي فعل ذلك حتى يمهد للحرب، فيُقتل المشركون ويُعز الدين، وفي هذا المقام إتمام النعمة على المسلمين، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي إلى الله مصير الأمور ومردّها(٣٢٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

لقد أفادت قراءة (**تُرْجَعُ الأمُورُ**) بضم التاء وفتح الجيم المبني للمفعول من رجع المتعدي أي يرجعها، راجعٌ إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والذي يرجعها هو الله فهو يرجعها إليه.

أما قراءة (**تَرْجِعُ الأمُورُ**) بفتح التاء وكسر الجيم، فهي مبنية للفاعل حيث وقع في القرآن من (رجع) اللازم، وذلك لأن (رجع) يكون لازماً ومتعدياً(٣٣٠).

فيكون التفسير أي: ترجع بنفسها إلى الله، ورجوعها هو برجوع أسبابها(٣٣١).

---

(٣٢٨) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٣٤٢، تهذيب الصحاح محمود بن أحمد الزنجاني (٤٨٨/٢) ـ دار المعارف بمصر ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ أحمد عبد الغفور عطار، المصباح المنير ص١٣٤، منجد الطلاب ص٢٣٢].

(٣٢٩) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٣٨٣/١٠)، التفسير المنير (١٨/١٠)].

(٣٣٠) انظر [النشر (١٥٧/٢)].

(٣٣١) انظر [التحرير والتنوير (٢٩/١٠)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

والمعنى: ولا عجب في ما كوّنه الله من رؤية الجيشين على خلاف حالهما في نفس الأمر، فإنّ الإراءة المعتادة ترجع إلى ما وضعه الله من الأسباب المعتادة، والإراءة غير المعتادة راجعة إلى أسباب يضعها الله عند إرادته(٣٣٢).

٢٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (فِيَةً) بإبدال الهمز ياء أي بالتسهيل.

٢ ـ وقرأ الباقون (فِئَةً) بالهمز(٣٣٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للآية:

سبق ذكره(٣٣٤).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعد أن ذكر الله سبحانه نعمه على رسوله وعلى المؤمنين يوم بدر - قفَّى على ذلك آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء. فقال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ أي إذا لقيتم فئة من أعدائكم الكفار فاثبتوا لقتالهم، ولا تولُّوهم الأدبار، ولا تحدثوا أنفسكم بالفرار ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي أكثروا من ذكر الله في أثناء القتال في قلوبكم، وبألسنتكم، وادعوا الله بالنصر عليهم، والظفر بهم. ﴿لَّعَلَّكُمْ

(٣٣٢) انظر [المرجع السابق (٢٨/١٠)].

(٣٣٣) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(٣٣٤) راجع ص٣٧.

﴿تُفْلِحُونَ﴾ لعلكم تظفرون بمرادكم من النصر، والظفر بهم والأجر والثواب عند الله(٣٣٥).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءتان عبارة عن لغات.

١ - فتحقيق الهمزة لغة تميم وقيس، وتخفيفها هو لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز والهمزة فيها ثقل(٣٣٦) وهي للحالات الثقيلة النادرة فمن قرأها بالهمز أرى أنه يتناسب ثقلها مع ثقل الفئة التي أمامه، أي إذا حاربتم أيها المؤمنون جماعة من الكفار مهما كانت قوية وثقيلة الوزن، فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا.

أما قراءة التسهيل: يكون المعنى أنَّه إذا حاربتم أيها المؤمنون جماعة من الكفار قليلة، فاثبتوا لقتالهم ايضاً ولا تستهينوا بهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين أرى المعنى أنَّ على المؤمنين الثبات أمام جماعة الكفار مهما كان عددهم، سواء كثرة أم قلة وأن لا يفرُّوا من أمامهم والله أعلم.

٢١ - ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ البزي **(وَلَا- تّنازَعُواْ)** مع المد المشبع وصلاً وتشديد التاء.

٢ - وقرأ الباقون **(وَلاَ تَنازَعُواْ)** بدون مد وبدون تشديد التاء أي بحذف أحد التاءين(٣٣٧).

---

(٣٣٥) انظر [جامع البيان (١٠/١٤)، مدارك التنزيل (٢/٤٠٦)، نظم الدرر (٣/٢٢٤)].

(٣٣٦) راجع ص٢١.

(٣٣٧) انظر [النشر (٢/١٧٥)، (٢/٢٠٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«تَنَازَعُواْ» مشتق من الفعل نزع، يقال نزع الشيء من مكانه نزعاً بمعنى قلعه و**(تنازع القوم)**: اختلفوا، تخاصموا[٣٣٨].

لاَ: في هذا الموضع حرف يُستخدم في النهي[٣٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

لما ذكر الله تعالى أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر، علَّمهم آداب الإلتقاء بالجماعة من المحاربين، أكّد على ذلك في هذه الآية بقوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فهنا أمرهم بطاعة الله فيما يأمرهم به. وطاعة رسوله فيما يرشد إليه، ثم نهاهم عن التنازع؛ وذلك لأنه يوجب أمرين:

أحدهما: ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ الفشل والضعف.

والثاني: قوله تعاليك ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ أي تذهب دولتكم وتنقطع[٣٤٠] فيقال: هبت ريح فلان: إذا دانت له الدولة، وقيل: المقصود بالريح النصر[٣٤١] أي نصركم، فتكون الريح هنا على الحقيقة، فإنَّ النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى من جانب المقاتلين في وجوه الأعداء، فيكون الريح لنصرة من يهب بجانبه، ولعدمه لمن قابله، وفي الحديث[٣٤٢] **(نُصِرت بالصِّبا وأُهلكتْ عادٌ**

(٣٣٨) انظر [كتاب المُغرِّب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الفقية الحنفي الخوارزمي ت ٦١٦هـ ـ ص ٤٤٨ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان، المنجد ص٧٨٤ مادة نزع، المصباح المنير ـ ص٣٦٥ ـ مادة نزع].

(٣٣٩) راجع ص٥٨.

(٣٤٠) انظر [مجاز القرآن (٢٤٧/١)].

(٣٤١) انظر [معاني القرآن: النحاس ص٤٢٩].

(٣٤٢) أخرجه البخاري انظر [فتح الباري (٥٢٠/٢ رقم ١٠٣٥)، (٣٠٠/٦ رقم ٣٢٠٥) و(٣٧٦/٦ رقم ٣٣٤٣) و(٣٩٩/٧ رقم ٤١٠٥) متفق عليه، من طريق مجاهد عن ابن عباس].

بالدبور)[٣٤٣] ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ على شدائد الحرب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يمدّهم بمعونته وتأييده، فمن كان الله معه فلا غالب له؛ لأنّ هذه المعيّة هي الضمان للصابرين بالفوز والفلاح[٣٤٤].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ (**وَلاَ تَنَازَعُواْ**) بدون مد مشبع، جاء على أصل الفعل تتنازعوا، ولكن حذفت تاء الفعل للتخفيف، وبقيت تاء المخاطب؛ لأن الحاجة أمسُّ؛ ليبقى الفعل مستقبلا[٣٤٥].

فحذف الحدث وعدم تشديد التاء يدل على:

أ ـ قلة تنازع المؤمنين بشكل عام.

ب ـ كما أنه نهي للمؤمنين عن التنازع عن أي أمر مهما كان قليلاً.

٢ ـ أما من قرأ بالمد المشبع مع تشديد التاء وصلاً (**وَلا- تَّنَازَعُواْ**) فالمد فيه إطالة زمن، وزيادةٌ في النهي، فهنا ينهاهم الله سبحانه وتعالى عن التنازع نهياً شاملاً يشمل التنازع في الحرب أو في غير الحرب، ويشمل التنازع فيما بينهم، ومراجعة بعضهم بعضاً. والتشديد فيه مبالغة في النهي.

والنهي عن التنازع أعمّ من الأمر بالطاعة لولاة الأمور، لأنهم إذا نهوا

---

(٣٤٣) الصبا هي ريح ويقال لها القبول لأنها تقابل باب الكعبة، إذ مهبها من شرك الشمس وضدها الدّبور وهي أشد من الصبا، وهي التي أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار انظر [فتح الباري (٥٢١/٢)، النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ص٢٩٦ ـ دار ابن الجوزي ـ ط٢ ـ ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ـ المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ الرياض ـ قدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي النهاية في غريب الحديث)].

(٣٤٤) انظر [جامع البيان (١٥/١٠)، المحرر الوجيز (٥٣٦/٢ ـ ٥٣٧)، حاشية الشهاب (٤٨٤/٤ ـ ٤٨٥)، مفاتيح الغيب (١٣٧/١٥ ـ ١٣٨)، نظم الدرر: (٢٢٤/٣)].

(٣٤٥) راجع ص٥٨.

عن التنازع بينهم. فالتنازع مع ولي الأمر أولى بالنهي[٣٤٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى أن كلاً منهما أوحت بمفهوم قد أثرى في تفسير الآية، فقراءة عدم المد المشبع، أوحت بعدم التنازع بشكل عام ومهما كان الأمر بسيطاً، وقراءة المد والتشديد أكَّدت على النهي عن التنازع وشدَّدَت في ذلك، فكان نهياً عاماً شاملاً.

٢٢ ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (**رِياء**) بإبدال الهمز ياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (**رِئَاء**) بالهمز[٣٤٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**رِئَاء**) من الفعل رأى، يرى: أي نظر بالعين أو بالعقل (البصيرة)، وأصل يرى يرأى، ولا تستعمل على أصلها إلاّ نادراً. ومنه (راءيته مراءاةً ورئاء) أي أريْته خلاف ما أنا عليه و(الرئاء) التظاهر بخير دون حقيقة[٣٤٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾ بطراً أي تكبراً[٣٤٩].

فنهاهم الله تعالى عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً

(٣٤٦) انظر [التحرير والتنوير (١٠/٣٠ ـ ٣١)].

(٣٤٧) انظر [النشر (١/٣٠٧)، (٢/٢٠٨)].

(٣٤٨) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤، منجد الطلاب ص ٢٢٥].

(٣٤٩) انظر [القاموس المحيط مادة بطر ـ ص٤٤٩].

﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ أي المفاخرة والتكبر عليهم فكان الحامل لهم على الخروج أمرين:

أولاً: من أنفسهم ﴿بَطَرًا﴾.

ثانياً: من غيرها ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ كما قال أبو جهل حين قيل له إنَّ العير قد نجا فارجعوا، فقال: «لا والله لا نرجع حتى نَرِد بدراً، فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجُزَر[٣٥٠]، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً[٣٥١]. فسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا الحُمُر، وناحت عليهم نوائح الزمان ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي وهم بخروجهم يمنعون الناس عن دين الله تعالى وهو الإسلام ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ أي والله عليم بما جاءوا لأجله، لذلك جازاهم عليها أشد الجزاء[٣٥٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من الملاحظ أن القراءتين عبارة عن لغات من لغات العرب، فتحقيق الهمز: لغة تميم وقيس، والتخفيف: لغة قريش وأكثر أهل الحجاز[٣٥٣] ولكن بالرغم من أنها لغات؛ إلاّ أنَّ لها دلالاتٍ، تفيد في إثراء المعنى، فلأن الهمزة؛ لثقلها تستعمل للحالات الثقيلة والنادرة[٣٥٤] يتضح من قراءة تحقيق الهمز أنَّ هذه الصفة (رِئَاء) متمكنة فيهم، فهم مجبولون على البطر

---

(٣٥٠) مفرد الجزور وهو ما يجزر من النوق أو الغنم أو البعير، انظر [القاموس المحيط ص٤٩٥، منجد الطلاب ص٨٢ مادة جزر]

(٣٥١) انظر [الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) (٢/ ١٨) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، تاريخ ابن خلدون المسّمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة ٨٠٨هـ) ـ (٢/٢٠) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، السيرة النبوية: ابن هشام (٢/٢٠١)].

(٣٥٢) انظر [تفسير القرآن العظيم (٢/٣٠٧)، نظم الدرر (٣/٢٢٦)].

(٣٥٣) راجع ص٣٩ ـ ٤٠.

(٣٥٤) راجع ص٤٠.

والمفاخرة والعجب، وأكد هذا المعنى كون (رِئَاء) جاءت اسماً وليس فعلاً كما في قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ حيث إنَّ الاسم يدل على التمكين والاستمرار، في حين أن الفعل يدل على التجدد والحدوث(٣٥٥) وأيضاً تدل القراءة على ندرة هذا الموقف، حيث كان الأولى لأبي جهل ومن معه أن لا يكون منهم هذا الموقف؛ لأن العير نجت من أيدي المسلمين. ولكنَّ عناد أبي جهل أبى إلا القتال.

أمَّا من قرأ بتخفيف الهمز وإبدالها ياء، فالياء من حروف اللين، وهي توحي بأن هذه الصفة ليست من صفات الرجال الأشداء، بل مَنْ تكون به هذه الصفة، يوجد به رعونة، ومما يؤكد هذا المعنى، أنه عندما عاد الرسول إلى أبي سفيان برد أبي جهل بالرفض قال أبو سفيان «واقوماه: هذا عمل عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) كره أن يرجع، لأنه ترأس على الناس فبغى، والبغي منقصة وشؤم»(٣٥٦).

أو احتمال أن يكون المعنى: أنَّ الله ينهاهم عن أدنى الرياء وذلك لخفة الياء.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أنَّ الله ينهاهم عن الرياء سواء كانت هذه الصفة متأصلة فيهم أم لا، فيمنعهم الله عن أي عمل بقصد المراءاة، والعمل الذي لا يُبتغى إرضاء الله فيه. فالمعصية مع الإنكسار أقرب إلى الإخلاص من الطاعة مع الافتخار(٣٥٧).

٢٣ - ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

(٣٥٥) انظر [مفاتيح الغيب (١٣٩/١٥)، دلائل الاعجاز ص١٣٣].

(٣٥٦) انظر [الظلال (١٥٢٩/٣) ولم أجد هذا الأثر إلا في الظلال].

(٣٥٧) انظر [مفاتيح الغيب (١٣٩/١٥)].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، ابن كثير، وأبو عمرو (**إِنِّيَ أَرَى**) (**إِنِّيَ أَخَافُ**) ياءات الإضافة بالفتح وقرأ الباقون (**إِنِّيْ- أَرَى**) (**إِنِّيَ- أَخَافُ**) بسكون ياءات الإضافة مع المد[٣٥٨].

٢ - (**بَرِيءٌ**) أ - أبدل أبو جعفر الهمزة ياء، وأدغم الياء قبلها فيها بخلف عنه وتخفيف الهمزة في الوقف مشهور عند علماء العربية - وقد اختص حمزة بذلك، حيث إنَّ قراءته اشتملت على شدة التحقيق والترتيل والمد والسكت، فناسب التسهيل في الوقف، ولذلك روى عند الوقف بتحقيق الهمز إذا قرأ بالحدر[٣٥٩].

ب - وقرأ الباقون (**بَرِي-ءٌ**) بالهمز والمد.

ج - ووقف هشام وحمزة[٣٦٠].

١ - بالإدغام مع السكون المحض.

٢ - بالإشمام[٣٦١].

٣ - بالروم[٣٦٢].

(٣٥٨) انظر [النشر (٢٠٨/٢)].
(٣٥٩) انظر [النشر (٣٣٣/١)].
(٣٦٠) انظر [المرجع السابق (٣٥٨/١ - ٣٦٨)].
(٣٦١) الإشمام: هو عبارة عن الإشارة إلى الحركة من غير صوت، بأن تجعل شفتيك على صورة النطق بالضمة دون اللفظ بها، ولا تكون الإشارة إلا بعد سكون الحرف انظر [النشر (٩٠/٢)، المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات) : د. محمد التونجي، راجى الأسمر ص٦٨١ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م مراجعة د. إميل يعقوب].
(٣٦٢) الروم: عبارة عن النطق ببعض الحركة وقيل: تضعيف الصوت بالحركة، حتى يذهب معظمها، وعند النحاة عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي انظر [النشر (٩٠/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

«إِنّي»: (إنّ) إذا كانت بكسر الألف كان كالفعل والأداة . . . معناه التثبت للخبر الذي بعده(٣٦٣).

«الياء» هي ياء الإضافة، والفرق بينها وبين ياءات الزوائد، أنَّ هذه الياءات ثابتة في المصحف وتلك محذوفة، وفي إصطلاح القراء: الياء الزائدة الدالة على المتكلم. . . تتصل بكل من «الاسم والفعل والحرف» . . . وتكون مع الحروف مجرورة المحل، ومنصوبته نحو: «لي، وإني»، والخلاف في ياءات الإضافة عند القراء دائر بين «الفتح، والاسكان» وهما لغتان فاشيتان عند العرب، والإسكان فيها هو الأصل، لأنها حرف مبني، والسكون هو الأصل في البناء، وإنّما حُركت بالفتح؛ لأنها اسمٌ على حرفٍ واحد فقوي بالحركة، وكانت فتحة لخفتها عن سائر الحركات(٣٦٤).

- **(أَخَافُ)**: من خاف - يخاف - خوفاً وخيفاً فزع ومنه «أخاف الطريق» أي أفزع(٣٦٥).

- **(أَرَى)**: من الفعل رأى، يرى رأياً: أي نظر بالعين أو بالعقل(٣٦٦).

- **(بَرِيءٌ)** «بروءاً وبراءً» من العيب أو الدَّين أي تخلَّص وسَلِم منه، وتبرأ من الذنب: تخلَّص.

(والبرىء والبريّ) الخالص والخالي، خلاف المذنب والمتّهم(٣٦٧).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: أي اذكر أيها الرسول للمؤمنين

---

(٣٦٣) انظر [الصاحبى ص٥٧]، وراجع ص٥٦.

(٣٦٤) انظر [النشر (١٢١/٢)، القراءات وأثرها في علوم العربية (١١٩/١)].

(٣٦٥) انظر [القاموس المحيط - ص١٠٤٥ مادة خوف، منجد الطلاب - ص١٨٢ مادة خاف].

(٣٦٦) انظر [منجد الطلاب - ص٢٢٤ مادة رأى].

(٣٦٧) انظر [القاموس المحيط - ص٤٢، منجد الطلاب ص٢٦ مادة برأ].

حين زين الشيطان للمشركين أعمالهم، حيث إنَّه جاءهم يوم بدر برايته وجنوده، فألقى في قلوبهم أنهم لن ينهزموا، وهم يقاتلون على دين آبائهم[٣٦٨] وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من المسلمين، ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أي معينٌ وحافظٌ لكم، وأنا جارُ لكم من بنى كنانة أن تأتيكم من ورائكم فأمنعكم منهم، ولا تخافوهم .﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ﴾ أي لما قرَّب كلٌ من الفريقين المسلم والكافر، ونظر بعضهم إلى بعض ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: رجع بخزي على قفاه هارباً ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ تبرأ منهم، وأيس من حالهم، لما رأى إمداد الله تعالى المسلمين بالملائكة، وكَذَبَ عدوّ الله، فهو لا يخاف الله؛ لأنه كافرٌ، فلو خاف الله لعبده وأطاعه، ولكنه ظنّ أنَّ الوقت الذي أُنْظر إليه قد حضر.

واحتمال أنَّه قال ذلك؛ ليبرر سبب انهزامه من المعركة ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فيجوز أن يكون من كلامه أو مستأنفاً من جهة الله ﷻ[٣٦٩].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

الفتح والإسكان في ياء الإضافة لغتان فاشيتان عند العرب، وهما من التغييرات الصوتية، وذلك أنَّ المقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن، فالمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين، قصير أو طويل، أما المقطع الساكن، فهو الذي ينتهي بصوت مغلق[٣٧٠].

فمن قرأ بفتح الياء فيدل على أن الشيطان كأنه قالها مرة واحدة وفرَّ هارباً، والفتحة تدل أيضاً على الخفة، وهذا يدل على استخفافه بالقوم، وأنَّ وعوده لهم وعود كاذبة فمجرد أن رأى المنظر نكص على عقبيه وولى هارباً متراجعاً إلى الوراء. أما من قرأ بالهمز والمد، فالمد فيه طول زمن والهمز

---

(٣٦٨) انظر [معاني القرآن: النحاس (٤٢٩/١)].

(٣٦٩) انظر [جامع البيان (٢٠/١٠)، نظم الدرر (٢٢٧/٣)، معاني القرآن وإعرابه: الزّجاج (٤٢٠/٢ ـ ٤٢١)].

(٣٧٠) انظر [علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: د.عصام نور الدين ـ ص ٩٤ ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ط١ ـ سنة ١٩٩٢م].

هو النبر، وهو الضغط، والضغط يعني الضغط على الحرف، مما يؤدي إلى ارتفاع الصوت بالكلام[٣٧١] وأرى أن هذا يدل على شدة خوف إبليس، لدرجة أنَّ الخوف أثَّر على نبرة صوته، فظَّل مستمراً في ترديده للكلام لمدة من الزمن مع ارتفاع في الصوت، وهذا إن دلَّ فيدل على الحالة المرعبة التي مّر بها والله أعلم.

أما (بَرِيءٌ) فلأن الهمزة فيها ثِقَل، والمد فيه إطالة زمن، فيدل ذلك على أن تبرأه تبرؤٌ كامل، وأيضاً يدل على أنَّه تبرأ منهم بصوت عال، واستمر في الكلام عدة مرات.

أمّا قراءة الإبدال مع الإدغام (بَرِي) فيدل على سرعة تبرؤ الشيطان من المشركين.

فبمجرد أن رأى الفئتين تبرأ منهم، والتشديد يدل على الشدة التي كان بها الشيطان. أما مَنْ وقف عليها بالسكون المحض مع الإدغام، ومَنْ وقف بالروم، ومَنْ وقف بالإشمام، فهذا كلُّه ـ في رأيي ـ يدل على شدة الخوف والذعر الذي أثر على نفس الشيطان، مما جعل كلامه ليس على نبرة واحدة، بل على نبرات مرتجفة، وهذا زاد في أصوات التلاوة للنص ألواناً من الإيقاع ذات درجات والله أعلم.

٢٤ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر (**إِذْ تتَوَفَّى**) بالتاء على التأنيث.

٢ ـ وقرأ هشام على أصله (**إِذْ تّوَفَّى**) في إدغام الذال في التاء.

٣ ـ وقرأ الباقون (**إِذْ يَتَوَفَّى**) بالياء على التذكرة[٣٧٢].

(٣٧١) انظر [المرجع السابق ص١٧٥].

(٣٧٢) انظر [النشر (٢/٢٠٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يتَوَفَّى) مضارع من توفّى، وتوفاه الله: أماته، وتوفي فلان أي قبضت روحه ومات فالله (المُتَوَفِّي)، والعبد (المُتَوَفَّى) ومنه استوفى حقه: أي أخذه تاماً وافياً. واستوفى حقه وتوفاه بمعنى واحد[٣٧٣].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

شرح الله سبحانه أحوال الكافرين في الآيات السابقة، ثم شرح أحوال موتهم في هذه الآية مخاطباً الرسول ﷺ وكل من له حظ في الخطاب فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ والمضارع هنا بمعنى الماضي أي لو رأيت ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ أي حين تستوفي الملائكة إخراج نفوس الكافرين، ممن قُتل في بدر ومن غيرهم، بعد ذلك وقبله تفيض أرواحهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر، يعني جميع أجسادهم ويقولون لهم ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ فهي بشارة لهم بعذاب الآخرة وجواب (لو) محذوف تقديره لرأيت منظراً هائلاً فظيعاً[٣٧٤]، وترك الجواب حتى يتخيل كل إنسان ما سيكون له.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (**تَتَوَفَّى**) بالتاء على تأنيث فهو لتأنيث الجماعة، أي جماعة الملائكة. وعلى هذه القراءة يكون الفاعل (الملائكة)[٣٧٥]. وعبَّر بجمع الملائكة وملك الموت واحدٌ إذ له على ذلك أعوان من الملائكة[٣٧٦] فيكون المعنى: ولو ترى يا محمد وقت قبض الملائكة لأرواح الكفار، وقد وجَّه

---

(٣٧٣) انظر [تحرير التنبية معجم لغوي: الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦م) ص ٢١٤ ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م ـ تحقيق د. فايز الداية د. محمد رضوان الداية، منجد الطلاب ص٩٣٢ مادة وفى].

(٣٧٤) انظر [مفاتيح الغيب (١٤٢/١٥ ـ ١٤٣)، التحرير والتنوير (٤٠/٩ ـ ٤١)].

(٣٧٥) انظر [المستنير (٢١٦/١)، كتاب معاني القراءات ص٢٠٠].

(٣٧٦) انظر [المحر الوجيز (٥٤٠/٢)].

النحاة قراءة ابن عامر هذه على أنَّه قد أُنِّث الفعل؛ لكون الفاعل وهو الملائكة مؤنثاً، ولعدم وجود فاصل بينهما، ولكون الفعل مؤنثاً معها في غير هذا الموضع(٣٧٧).

من قرأ (**يَتَوَفَّى**) بالياء على التذكير:

١ ـ فلأن الفاعل (الملائكة) مؤنث مجازي، يجوز تأنيث الفعل وتذكيره، وللفصل بين الفعل والفاعل فلتقديم فعل الجمع ذُكِّر هنا، فالمراد جمع الملائكة كما نقول «قال الرجال» أي جمع الرجال.

٢ ـ وقال بعض من قرأ هذه القراءة: إنَّ المعنى إذ يتوفى الله الذين كفروا.

(والملائكة) رفع بالابتداء و(**يَضْرِبُونَ**) خبره، والجملة في موضع حال(٣٧٨).

أمّا من قرأ بإدغام الذال في التاء (**إِذْ تَّوَفَّى**) فأرى أنَّ التشديد يوحي بالشدة والصعوبة التي يلاقيها الكافر، عندما تَقْبض روحَهُ الملائكة، وفيها مبالغة في العذاب على الكافر والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات، نجد أنَّه لا تعارض بين القراءات، فالله سبحانه وتعالى يأمر ملك الموت بقبض الأرواح، وملك الموت يقبض الأرواح، ومعه من يُساعده من الملائكة الآخرين.

وبالجمع بين قراءة الإدغام والإظهار:

منهم من أدغم الذال والتاء وهما حرفان متقاربان فأدغم المتقاربين،

(٣٧٧) انظر [ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي: عبد القادر الهَيْتي ـ ص١٥٠ ـ دار الكتب الوطنية ـ منشورات جامعة قانيونس ـ بنغازي ـ ط١ ـ ١٩٩٦م].

(٣٧٨) انظر [الدر المصون (٦١٨/٥ ـ ٦١٩)، المحرر الوجيز (٥٤٠/٢)، كتاب معاني القراءات ص٢٠٠].

ومعلوم أنَّ أسباب الإدغام التماثل والتقارب والتجانس، فالذال من حيث المخرج، تخرج من ظهر اللسان عند احتكاكه برؤوس الثنايا العليا، والتاء من حيث المخرج من ظهر حرف اللسان عند التصاقه بأصول الثنايا العليا، فالفريق الذي أظهر راعى الأصل وهذا لونٌ من الجمال، والفريق الذي أدغم، ظفر بميزة الإدغام، وهو طلب التيسير والتخفيف وهذا لون آخر من الجمال، حيث يصعب الانتقال من نطق المقارب إلى مقاربه مُظهراً[(٣٧٩)].

ولابن خالويه الحجة لمن أظهر، أنَّه أتى بالكلمة على أصلها، واغتنم الثواب على كل حرف منها[(٣٨٠)]، ويقتضي كلام ابن خالويه، أنَّ القارىء بالإدغام محروم من هذا الثواب، إذ إنَّ الحرف بعد إدغامه عُدِم وكأنه لم يكن. وهذا غير صحيح فالحرف في سياقه وبيئته الصوتية كائن حي، يؤثر ويتأثر ويتكيف، وهو عند إدغامه في المماثل أو المقارب أو المجانس ما فعل شيئاً، إلا أنَّه ناظر لاحقه وأصبح مثيلاً له، فهو موجودٌ بَيْد أنَّ وجوده بعد إدغامه مقترنٌ بالانسجام والتناغم والجمال[(٣٨١)].

٢٥ ـ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة ويعقوب (**إِلَيْهُمْ**) بضم الهاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (**إِلَيْهِمْ**) بكسر الهاء[(٣٨٢)].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي من بدرت منه

---

(٣٧٩) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي: د. صبري ص٣٣ ـ ٣٤].

(٣٨٠) انظر [الحجة: ابن خالوية ص٢٩].

(٣٨١) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٣٩].

(٣٨٢) انظر [فريدة الدهر (٧٤٩/٢)].

بوادر تؤذن بأنَّه سينقض العهد، فحكمه أن يطرح الرسول ﷺ إليهم عهدهم، ويعلمهم قبل حربهم أنه قد فسخ العهد بينه وبينهم بقوله لهم قد نبذت إليكم عهدكم، وأنا مقاتلكم حتى يكون هو وهم في العلم بنقض العهد سواء؛ وذلك حتى لا يتهموه بالغدر والخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ أي إنَّ الخيانة مبغوضةٌ بجميع ضروبها، ولا وسيلة لاتقاء ضررها من الكفار إذا ظهرت، إلا بنبْذ عهدهم جهرة[383].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الضم في (إِلَيْهُمْ) من لغة أهل الحجاز[384] فلثقل الضم توحي بثقل العهد المشعِر به الكلام، فكانت قوة الحركة وهي الضمة مناسبة لقوة العهد، وندرة هذه الحركة في هذا الموطن مناسبة لندرة نبذ العهد في مثل هذا الموطن[385]. والله أعلم.

أمَّا من قرأ بالكسر فهي لغة من لغات العرب، وأمّا الثِّقل يدل على استعمال القوة مع الناقضين للعهد، وذلك بسرعة النبذ القطع عليهم طريق الخيانة قبل وقوعها.

والحكمة من ذلك أنَّ الإسلام لا يبيح الخيانة مطلقاً في الآية، إيماناً بأنَّ ما أوجبه الإسلام من المحافظة على العهود مع الأعداء المخالفين في الدين، وما حرَّمه من الخيانة فيها، لم يكن عن ضعفٍ ولا عن عجز، بل عن قوة وتأييد إلهي[386].

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الكسر: تدل على عدم الاكثرات إليهم، وكأنه لا يُنبذ ولا يُرمى

---

(٣٨٣) انظر [معالم التنزيل (٢/٢١٦)، تفسير المراغي (١٠/٢٢)].
(٣٨٤) راجع ص ٢١.
(٣٨٥) انظر [ص٢١، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ص١١٩].
(٣٨٦) انظر [تفسير المراغي (١٠/٢٣)].

إلا الشيء التافه الذي لا يبالى به[٣٨٧]، وقراءة الضم تدل على: قوة العهد واستعمال القوة مع النَّاقضين، والله أعلم.

٢٦ ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩﴾ [الأنفال: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن عامر وحمزة، وحفص، وأبو جعفر وإدريس بخُلف عنه عن خلف (**وَلاَ يَحْسَبَنَّ**) بياء الغيب وفتح السين.

ب ـ وقرأ شعبه (**وَلاَ تَحْسَبَنَّ**) بتاء الخطاب وفتح السين.

ج ـ وقرأ باقي العشرة (**وَلاَ تَحْسِبَنَّ**) بتاء الخطاب وكسر السين[٣٨٨].

٢ ـ أ ـ قرأ ابن عامر (**أَنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**) بفتح الهمزة على إسقاط لام العلة أي سبقوا؛ لأنهم لا يعجزون.

ب ـ وقرأ الباقون (**إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ**) بكسر الهمزة على الاستئناف[٣٨٩].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**يَحْسَبَنَّ**) مشتق من الفعل حسب، حسبه وحسباناً وحساباً أي: عدَّه وظنه ومصدره الحُسْبان[٣٩٠].

(**يُعْجِزُونَ**) والماضي عجز، وأعجز الشيء: أي فاته ولم يقدر عليه عجَّزته تعجيزاً: أي جعلته عاجزاً[٣٩١].

---

(٣٨٧) انظر [البحر المحيط (٥٠٩/٤)].

(٣٨٨) انظر [النشر (٢٠٨/٢)، اتحاف فضلاء البشر (٨٢/٢)، الكافي ص١٠٤ ـ ١٠٥، المبسوط ص١٣٠، الجوهر المصون في رواية قالون ص١٠٦ ـ تحقيق السيد هادي بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن السَّقاف العَلَوي ابن حسن السقاف العلوي (١٢٦٦ ـ ١٣٢٩هـ) ـ دار الحاوي ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م].

(٣٨٩) انظر [مراجع الهامش (٣٨٨) بنفس الصفحات].

(٣٩٠) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٢٣٤، منجد الطلاب ص١١٩ مادة حسب].

(٣٩١) انظر [القاموس المحيط ص٦٦٣، المصباح المنير ص٢٣٥، منجد الطلاب ص٤٦٦ مادة عجز].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ۚ﴾ أي لا يظن الكفار أنفسهم سابقين، أي مفلتين وناجين من انتقامنا، وعذابنا، ويُقال: إنَّها نزلت فيمن أفلت من الكفار يوم بدر حيث ظنّوا أنهم خلصوا من القتل والأسر يوم بدر، كلاّ، فإنهم لن يفلتوا من قبضتنا ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ الله، أي لا يفوتونه ولا يعجزونه بهذا السبق في الانتقام منهم، إمّا في الدنيا بالقتل، وإمّا في الآخرة بالعذاب الشديد(٣٩٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

القراءة الأولى: قراءة ياء الغيب:

أ ـ إمّا أن يكون الفاعل مضمراً هو النبي ﷺ والمعنى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ۚ﴾ والمفعول الأول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والمفعول الثاني جملة ﴿سَبَقُوٓا۟ۚ﴾ أو الفاعل محذوف اقتضاه المقام وتقديره: «وَلاَ يَحْسَبَنَّ أحد» أو «وَلاَ يَحْسَبَنَّ حاسب» فيكون المعنى: ولا يحسبن أحدٌ الذين كفروا سبقوا.

ب ـ وإمّا أن يكون الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على إضمار (أنَّ) الثقيلة أو المخففة منها، وقيام جملة (أنّ) مقام المفعولين بعد تعليق ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ عن العمل. والمعنى: ولا يحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا. ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن مسعود: (أنهم سَبَقُواْ)(٣٩٣).

أمّا قراءة (وَلاَ تَحْسَبَنَّ) **بتاء الخطاب فهي:**

أ ـ على مخاطبة النبى ﷺ، وإعراب (الَّذِينَ كَفَرُواْ) و(سَبَقُواْ) مفعولين، والمعنى لا تحسبنَّ يا محمد ﷺ الذين كفروا سابقين، أو لا تحسبن من أفلت من هذه الحرب قد سبق إلى الحياة.

ب ـ أو الخطاب لكلِّ من يصلح له، أي لا تحسبن أيها

(٣٩٢) انظر [البحر المحيط (٤/٥١٠)، تفسير الواضح (١٠/١٢)].

(٣٩٣) انظر [مفاتيح الغيب (١٥/١٤٧)، البحر المحيط (٤/٥١٠)].

المخاطب. . .، وهذا أولى لأنه ﷺ لا يحسب ذلك ثقة في ربه[٣٩٤] وأمّا من قرأ بفتح السين وكسرها في (تَحْسَبَنَّ) فهي لغتان من لغات العرب[٣٩٥].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القراءتين بياء الغيب وتاء الخطاب، أجد أنَّ القراءتين سواء في الجمال وقوة التوجيه، فالآية خطاب للرسول ﷺ وللمخاطبين بأن لا يحسبوا الكفار سابقين، وأيضاً تهديد للكفار بأن لا يحسبنَّ أنفسهم سابقين والله أعلم.

القراءة الثانية:

معنى قراءة فتح الهمزة ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ على إضمار اللام وحذفها لا يحسبن الكفار أنفسهم سبقوا؛ لأنهم لا يعجزون: أي لا يفوتون[٣٩٦] ومعنى قراءة كسر همزة ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أن ذلك على الاستئناف والقطع، وفيه معنى التأكيد على عدم العجز. والقراءتان بمعنى مع تنوع الأسلوب فيهما[٣٩٧]. لكن مع ذلك فإن، قراءة الكسر، أفادت زيادةً في المعنى، وهو التأكيد.

٢٧ ـ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رويس (**تُرَهِّبُونَ**) بتشديد الهاء مضارع رهَّب مضعف العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (تُرْهِبُونَ) بتخفيف الهاء مضارع أرهب المزيد

---

(٣٩٤) انظر [الكشف (٤٩٣/١ ـ ٤٩٤)، التحرير والتنوير (٥٤/١٠)، القراءات وأثرها في التفسير ق١ (٥٦٥/٢)].

(٣٩٥) انظر [المستنير (٢١٧/١)].

(٣٩٦) انظر [كتاب معاني القراءات ص٢٠١، المستنير (٢١٧/١)].

(٣٩٧) انظر [القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ق٢ (٨٩٣/٢)].

بالهمز[٣٩٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(تُرْهِبُونَ) من رهب رهباً ورهبةً أي خاف ومنه الراهب: الذي اعتزل الناس إلى دير طلباً للعبادة.

والرهيب والمرهوب ما يخاف منه[٣٩٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة المؤمنين بالاستعداد للحرب، وذلك بإعداد ما استطاعوا من قوة، وروي عن عقبة بن عامر أنَّه سمع النبي ﷺ وقد تلا هذه الآية يقول: **(ألا إنَّ القوةَ الرَّمي)**[٤٠٠] وخص القوة بالرمى لأن معظم القوة وأنكاها للعدو الرمى[٤٠١].

والآية الكريمة على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن، وأيضاً من الاستعداد للحرب (رباط الخيل) يقول صاحب الكشاف: «الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله»[٤٠٢].

ثم ذكرت الآية سبب الإعداد وهدفه وهو إرهاب عدو الله وعدو المسلمين من الكفار، وإرهاب العدو الخفي الموالي لهؤلاء الأعداء، سواء أكان معلوماً لنا أم غير معلوم، بل الله يعلمهم، ولم يكن إعدادٌ ونصرٌ إلا بالمال ولا سبيل إليه إلاّ بالإنفاق كلٌّ على قدر طاقته وإن كان يسيراً ﴿يُوَفَّ

---

(٣٩٨) انظر [النشر (٢/٢٠٨)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: د. محمد سالم محيسن (٢/٢٦٩) دار الجيل - بيروت - ط١ - سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الهادي)].

(٣٩٩) انظر [القاموس المحيط ص١١٨، المنجد ص٢٦٥].

(٤٠٠) انظر [المستدرك على الصحيحين (٢/٣٥٨) حديث رقم ٣٨٤، وقال عنه الحاكم: «هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه البخاري»].

(٤٠١) انظر [البحر المحيط (٤/٥١١)].

(٤٠٢) الكشاف (٢/١٦٥).

إِلَيْكُمْ﴾ يؤدَّى بتمامه إليكم، جزاؤه في الآخرة فالحسنة بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، ولا يمكن أن تقوم أمة بهذا الإعداد الكامل، ثم تُظلم من جيرانها أبداً، وأنتم لا تظلمون كذلك في الآخرة بتضييع العمل أو نقص الثواب(٤٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

قراءة (**تُرْهِبُونَ**) بتخفيف الهاء وتشديدها فلأن رهب يرهب رهبةً يعدى تارة بالهمز وتارة بالتشديد. فالتخفيف (**تُرْهِبُونَ**) من أرهب المزيدة بالهمزه والتشديد (**تُرَهِّبُونَ**) من رهّب المضاعف والمعنى واحد(٤٠٤) إلاَّ أنَّ التشديد فيه مبالغة، وتكرار للفعل فهو ترهيب بعد ترهيب تأكيد على فائدة الإرهاب من عدة أوجه:

١ ـ باشتداد الخوف قد يلتزمون بالجزية إن لم يدخلوا في الإسلام.

٢ ـ قد يتركوا الكفر في قلوبهم ويصيروا مخلصين في الإيمان.

٣ ـ يخافهم المنافقون فيتركوا الفساد والتفريق فيما بين المسلمين، ولا يعينون سائر الكفار.

٤ ـ يخاف المسلم كل من يعاديه، مسلماً كان أو كافراً(٤٠٥).

أيضاً الكفار إذا علموا بما أعددتم للحرب من القوة ورباط الخيل، خوَّفوا من يليهم من الكفار وأرهبوهم، إذ يُعْلِمونهم ما أنتم عليه من الإعداد للحرب، فيخافون منكم، وإذا كانوا قد أخافوا من يليهم منكم، فهم أشد خوفاً لكم(٤٠٦).

---

(٤٠٣) انظر [التفسير الواضح: د. محمد محمود حجازي (١٣/١ ـ ١٤) مطبعة الاستقلال الكبرى ـ القاهرة ـ ط٦ ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي التفسير الواضح)، تفسير المراغي (٢٤/١٠ ـ ٢٦)].

(٤٠٤) انظر [معاني القراءات ص٢٠١].

(٤٠٥) انظر [مفاتيح الغيب (١٤٩/١٥)].

(٤٠٦) انظر [البحر المحيط (٥١٢/٤)].

٢٨ ـ ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١﴾ [الأنفال: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبه (أبو بكر) (**لِلسِّلْمِ**) بكسر السين.

٢ ـ وقرأ الباقون (**لِلسَّلْمِ**) بفتح السين(٤٠٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السلم: مصدر سلم، سلامة وسلاماً، وقوم سِلمٌ وسَلمٌ أي: سالمون، الصلح، السلام، الإسلام(٤٠٨).

قال أبو عبيدة بن معمر بن المثنى، والأخفش (**السِّلْم**) بالكسر: الإسلام وبالفتح الصلح(٤٠٩) وقيل (**السِّلْم**) اسم بإزاء الحرب والإسلام الدخول في السِّلم بكسر السين وهو أن يَسْلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه(٤١٠).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعدما أمر الله تعالى بإعداد العدة لإرهاب الأعداء والاستعداد التام للحرب، أمر هنا بالصلح القائم على العزة والكرامة فقال ما معناه: وإن مالوا إلى السلم ـ ميل القاصد إليه ـ وطلبوا عقد الهدنة والأمان، فأعطهم ما طلبوا، وتوكل على الله أي ثق به، وفوض الأمر إليه، والله سميع لما يقولون، عليم بما يفعلون(٤١١) وقد علَّق الزمخشري على هذه الآية قائلاً: «والصحيح أنَّ الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله

---

(٤٠٧) انظر [النشر (٢/٢٠٨)].

(٤٠٨) انظر [القاموس المحيط ص١٤٤٨، منجد الطلاب ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ مادة سلم].

(٤٠٩) انظر [معاني القرآن الأخفش (٢/٥٤٨)، مجاز القرآن (١/٢٥٠)].

(٤١٠) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٤٢٣].

(٤١١) انظر [التفسير الواضح (١/١٥)].

من حرب أو سِلْم، وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً»[٤١٢].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قراءة الفتح (**السَّلْم**) وهو الصُّلح وهي لغة لأهل الحجاز[٤١٣] فيكون المعنى إن مالوا إلى الصلح فمل إليه، وتوكل على الله.

أمّا قراءة الكسر (**السِّلْم**) وهي لغة العرب، والسِّلم بمعنى الإسلام. فمن كسر الحجة له، أنه أراد الإسلام[٤١٤] ويكون المعنى: الدين الإسلامي هو دين السلام.

وما فرض الجهاد إلاّ دفاعاً عن النفس والعقيدة، فإذا ما طلب الأعداء السلام، فعليك يا محمد أن تكف عن قتالهم، حتى ولو كانوا كاذبين في دعواهم[٤١٥] ومنهم من قال: «أنهما لغتان في الصلح»[٤١٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين، أرى أنَّ الصلح المراد به السَّلام، لأن الإسلام هو دين السلام، فيكون المعنى إن مالوا إلى الصلح، أو طلبوا السَّلام، فمِل لهم وتوكل على الله والله أعلم.

٢٩ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ **[الأنفال: ٦٥]**.

---

(٤١٢) الكشاف (٢/١٦٦).

(٤١٣) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٤٨)].

(٤١٤) انظر [الحجة في القراءات السبع: ص٤٢].

(٤١٥) انظر [المستنير (١/٢١٨)].

(٤١٦) انظر [الكشف (١/٤٩٤)].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف)، والبصريان (أبو عمرو، ويعقوب) ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ بالياء على التذكرة.

ب ـ وقرأ الباقون (نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر) (وإن تكن منكم مائة) بالتاء على التأنيث[٤١٧].

٢ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر، ووقفاً حمزة **(ميتين)** بإبدال الهمز ياء.

ب ـ وقرأ الباقون **(مائتين)** بالهمز[٤١٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(المائة) أصلها مِئْىٌ، فحذفت لام الكلمة، وعَوّض عنها الهاء، والقياس عند البصريين ثلاث مئين، ليكون جبراً لما نقص مثل عزين وسنين.

والمائة بألف خطاً لا لفظاً تعني عشر عشرات وهي مفرد مئات ومئون، والمائة هي الثالثة من أصول الأعداد، وذلك أنَّ أصولها آحاد، عشرات، مئات، آلاف[٤١٩].

---

(٤١٧) انظر [النشر (٢٠٨/٢)، المبسوط في القراءات العشر: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٢٩٥ ـ ٣٨١هـ) ص١٣٠ ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي المبسوط)، تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ص١٣٠ ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ تحقيق: أ. جمال الدين محمد شرف (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تحبير التيسير)].

(٤١٨) انظر [النشر (٣٠٨/١)، غيث النفع ص١٢٥، فريدة الدهر (٧٥٢/٢)].

(٤١٩) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٧٨٤، المصباح المنير ص٣٤٩، منجد الطلاب ص٧٠٩ مادة مأى].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ أي رغِّب المؤمنين، وخاصةً مَنْ شَهِد منهم بدراً، بسائر أسباب التحريض والترغيب، وذلك لإعلاء كلمة الله المأمور به ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ على القتال ﴿يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ﴾ من العدو ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وذلك بسبب؛ أنّهم قوم لا يفقهون حقيقة الدنيا، ويجهلون اليوم الآخر ولا يؤمنون به، ولا يثبتون عند اللقاء ثبات المؤمنين، بل قتالهم للحمية الجاهلية[٤٢٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ من قرأ بالياء؛ فلأنه أريد منه المذكَّر، بدليل قوله تعالى: ﴿يَغْلِبُوٓا۟﴾، وكذلك المائة الصابرة هم رجال[٤٢١] فاعتمدوا على معنى المائة لا على لفظها ولأن الفاعل (مائة) مجازي التأنيث، وفصل بينه وبين الفعل فيجوز تذكير الفعل ويجوز تأنيثه[٤٢٢].

أما من قرأ بتاء التأنيث (تكن) فلتأنيث لفظ مائة[٤٢٣] وهذا نوعٌ من التلوين في الأسلوب، وهو نوعٌ من إعجاز القرآن.

٢ ـ تحقيق الهمز وتسهيله: عبارة عن لغات من لغات العرب، فتحقيق الهمز لغة تميم وقيس، أمّا التخفيف فلغة قريش وأكثر أهل الحجاز[٤٢٤] واستعمال الهمز للحالات الثقيلة النادرة[٤٢٥]. فيكون المعنى لمن قرأ بالهمز: أن العشرين الصابرين المؤمنين يغلبوا مائتين من الرجال الأقوياء الأشداء في

---

(٤٢٠) انظر [مجمع البيان (١٠/١٧٥)، التفسير الواضح (١/١٥ ـ ١٦)].

(٤٢١) انظر [زاد المسير (٢/٢٢٣)].

(٤٢٢) انظر [الكشف (١/٤٩٥)].

(٤٢٣) انظر [المستنير (١/٢١٨)].

(٤٢٤) راجع ص٣٩.

(٤٢٥) راجع ص٤٠.

أجسادهم، أيضاً نُدْرَة هذه الحالة دلَّت عليها هذه القراءة، أما قراءة التخفيف دلَّت على أنَّ المائتين من الرِّجال ضعافٌ لا وزن ولا ثقل لهم أمام المؤمنين، وذلك بسبب كفرهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ كل قراءة قد أثرت في معنى الآية، فالفرد المؤمن الصابر يستطيع أن يقاتل بعشرة من الكفار الأقوياء في الجسد، ولكنهم ضِعافٌ أمام المؤمنين؛ لأنه لا حجة لهم ولا عقيدة.

٣٠ ـ ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ عاصم، وحمزة، وخلف **(ضَعْفاً)** بفتح الضاد.

ب ـ وقرأ أبو جعفر **(ضُعَفَآءَ)** بفتح العين والمد والهمز مفتوحة.

ج ـ قرأ الباقون **(ضُعْفاً)** بضم الضاد، وإسكان العين، والفاء منوناً من غير مدٍ ولا همز(٤٢٦).

٢ ـ أ ـ قرأ الكوفيون (عاصم، حمزة، والكسائي، وخلف) ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ بالياء على التذكرة.

ب ـ وقرأ الباقون **(فإن تَكُن منكم مائة) بالتاء على التأنيث**(٤٢٧).

٣ ـ أ ـ قرأ ورش، وابن وردان بخلفه **(ألان)** بنقل حركة الهمزة إلى اللام مع حذف الهمزة الثانية.

ب ـ وقرأ الباقون **(ألْآن)** بالهمز وسكون اللام(٤٢٨).

(٤٢٦) انظر [النشر (٢/٢٠٨)، الهادي (٢/٢٧١)].

(٤٢٧) انظر [النشر (٢/٢٠٨)].

(٤٢٨) انظر [النشر (١/٣٢٢)، فريدة الدهر (١٠/٧٥٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**الضَعف**) بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمها (ضُعف) في لغة قريش، خلاف القوة والصحة. والضَعف والضُعف لغتان فالمضموم مصدر: ضَعُف «بضم العين»، والمفتوح مصدر (ضعَف) «بفتح العين» ومنهم من يجعل المفتوح (ضَعف) في الرأي، والمضموم (ضُعف) في الجسد وهو ضعيف، والجمع ضعفاء وضعاف وضعف عن الشيء: أي عجز عن احتماله فهو ضعيف[٤٢٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية السابقة بيَّنت أنَّه ينبغي على المؤمن أن يقاتل بعشرة من الكفار، ولمَّا كان في ذلك مشقة على المسلمين من كثرة الجهاد والعمل، وعلم الله أنَّ فيهم ضعفاً في البدن أيضاً خفَّف الله عنهم، وجعل الفرد يقاتل باثنين، والله مع الصابرين بالمعونة والرعاية[٤٣٠].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

ضَعفاً وضُعفاً لغتان كما ذكرنا سابقاً يقول الطبري: «وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء، فهو مصيب الصواب»[٤٣١]. أمّا مَنْ قال بأنَّ قراءة (**ضُعفاً**) بالضم أي: ضعف في الجسد فيكون المعنى: أنَّ الضعف الطارىء بعد عدم القوة البدنية على الحرب؛ لأنَّه قد صار فيهم الشيخ والعاجز نحوهما، وكانوا قبل ذلك طائفة منحصرة معلومة قوتهم وجلادتهم.

---

(٤٢٩) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٥٠٦ ـ ٥٠٧، المصباح المنير ص٢١٦ مادة ضعف].

(٤٣٠) انظر [التفسير الواضح (١/١٦)].

(٤٣١) جامع البيان (١٠/٤٢).

أمّا قراءة (ضَعفاً) بالفتح أي: ضعف في الرأي والبصيرة، فيكون المعنى: أنَّ الضعف الطارىء ضعف البصيرة والاستقامة، وتفويض النصر إلى الله تعالى، إذ كان فيهم قوم حديثو عهد بالإسلام، ليس لهم ما للمتقدمين من ذلك.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

وبالجمع بين القرائتين يكون فيهم ضعفٌ في الجسد وفي البصيرة والله أعلم.

وأمّا قراءة (ضُعفآءَ) فهذا الجمع يفيد أنَّ: الكثرة هي سببٌ للضعف؛ لأنّ بها يضعف الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه سبحانه، ويقوى جانب الاعتماد على الكثرة كما في حُنين، فيكون المعنى: الآن خفَّف الله تعالى عنكم لمَّا ظهر متعلق علمه، أي: كثرتكم التي هي موجب ضعفكم، بعد ظهور قلتكم وقوتكم[٤٣٢].

القراءة الثانية:

من قرأ ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ بالياء على التذكير. فمن ذكَّر فلأن ﴿مِّاْئَةٌ﴾ وقعت على عدد مذكر، وأخرى وهي: أنَّه لمّا حجز بين الاسم والفعل بحاجز، ذكَّر الفعل لأنَّ الحاجز صار كالعِوَض عنه، ولأن تأنيث ﴿مِّاْئَةٌ﴾ مجازي فجاز التذكير[٤٣٣] ولتذكير الفعل ﴿يَغْلِبُوٓاْ﴾.

وأمّا من قرأ (فَإِن تكُن منكم مائة صابرة) بالتاء على التأنيث فلِتأنيث لفظ ﴿مِّاْئَةٌ﴾ ولأنها وصفت بصابرة[٤٣٤] وتذكير الفعل وتأنيثه من باب التلوين في الأسلوب، وهذا يدل على جمال أسلوب القرآن الكريم، وفي هذا إعجازٌ، حيث تنوَّع الأسلوب ولم يختلف المعنى.

---

(٤٣٢) انظر [روح المعاني (١٠/٢٢٧ ـ ٢٢٨)].

(٤٣٣) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٣].

(٤٣٤) انظر [المرجع السابق ص٣١٣، روح المعاني (١٠/٢٢٨)].

والمعنى: خفَّف الله عن المسلمين لمَّا كان في قتال المسلم لعشرة من الكفار مشقة، فجعل الفرد يقاتل باثنين والله مع الصابرين.

القراءة الثالثة:

من قرأ (**ألْآن**) بالهمز فهو اسم للوقت أما من قرأ (**ألان**) فهو من اللين[435]، فيكون المعنى على قراءة الهمز إن الله خفف عنكم في هذا الوقت، أما القراءة الأخرى فهي تُظهر الرحمة والرأفة من الله لهم وذلك بالتخفيف عنهم في القتال والله أعلم.

٣١ ـ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ البصريان (أبو عمرو، ويعقوب) وأبو جعفر (**أَن تكُونَ لَهُ**) بالتاء على التأنيث.

ب ـ وقرأ الباقون (**أَن يكُونَ لَهُ**) بالياء على التذكير.

٢ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (**لَهُ أُسَارَى**) بضم الهمزة وبألف بعد السين.

ب ـ وقرأ الباقون (**لَهُ أَسْرَى**) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها[436].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الأسر: الشد بالقدّ . . . وسمي الأسير بذلك، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد، وإن لم يكن مشدوداً ذلك، وقيل في جمعه: أَسارى وأُسارى،

(٤٣٥) انظر [لسان العرب (٤٢/١٣ ـ ٤٣)].

(٤٣٦) انظر [النشر (٢٠٨/٢)].

وأَسْرى[٤٣٧] وأَسَر قَتَبَهُ[٤٣٨] أي شده[٤٣٩] قال ابن منظور: «ومن قرأ أسارى وأُسارى فهو جمع الجمع، يقال أسير وأسرى ثم أسارى جمع الجمع»[٤٤٠].

ثالثاً: سبب نزول هذه الآية:

سبب نزول هذه الآية أنَّ النبي ﷺ استشار في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلِّ سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧ ـ ٦٩] قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: (كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء)[٤٤١].

رابعاً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ أي ما صح وما استقام لنبي أن يكون له أسرى ويقبل الفداء فيهم إلا بعد أن ﴿يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي يبالغ ويغالب في قتل الأعداء، أو حتى يتمكن في الأرض[٤٤٢] وذلك؛ ليوقع الرعب في قلوبهم، حتى يمتنعوا عن التعرض للمسلمين بالقتل والإيذاء. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي أتريدون أيها المؤمنون متاع وطمع الدنيا[٤٤٣] وحطامها الزائل بأخذكم الفداء؟ والله يريد لكم ثواب الآخرة، بقهركم المشركين

---

(٤٣٧) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٧٦].

(٤٣٨) القتب إكاف البعير وإكاف البعير أي بردعته انظر [لسان العرب (٧٧٥/١) مادة قتب، القاموس المحيط ص١٠٢٤، ص١٥٧]

(٤٣٩) انظر [لسان العرب (١٩/٤) مادة اسر].

(٤٤٠) لسان العرب (١٩/٤).

(٤٤١) انظر [المستدرك على الصحيحين ـ ٢٧ ك التفسير ـ ٨ تفسير سورة الأنفال (٣٥٩/٢) حديث رقم ٣٨٧/٣٢٧٠ وعلق عليه النيسابوري: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» والحديث برواية ابن عمر ﵄].

(٤٤٢) انظر [مجاز القرآن (٢٥٠/١)، معاني القرآن: الزجاج (٤٢٥/٢)].

(٤٤٣) انظر [مجاز القرآن (٢٥٠/١)].

ونصركم دين الله ـ ﷻ ـ، ولله العزة ولرسوله والمؤمنين، والله حكيم في كل أفعاله(٤٤٤).

خامساً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ «أبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب» **(تكون)** بتاء التأنيث، وذلك لتأنيث لفظ (الأسرى) بألف التأنيث المقصورة أي مراعاة لمعنى جماعة الأسرى.

ـ وقرأ الباقون **(يكون)** بياء التذكير مراعاة لمفرد الأسرى، وهو أسير أي حملاً على تذكير معنى (الأسرى) لأن المراد به «الرجال»، ولأنَّ الفعل المتقدم، قد وقع الفصل بين الفعل والفاعل وكلٌّ واحدة من هذه الثلاثة، إذا انفرد أوجب تذكير الفعل...، فإذا اجتمعت هذه الأشياء كان التذكير أولى(٤٤٥).

٢ ـ قرأ أبو جعفر **(أُسَارى)** بإثبات الألف وضم الهمز، وهو على وزن فُعالى وشبَّهَهُ بكُسالى، وذلك أنَّ الكسل أمر يدخل على الإنسان بغير شهوته، كذلك الأسر يدخل عليه بغير شهوته، فلمَّا اتفقا في المعنى امتزجا في الجمع، فجُمع كسلان على كُسالى وجُمع أسير على أُسارى(٤٤٦) ونقل الأزهري(٤٤٧) قول أبي عمرو أنه قال: «يقال لهم **(أُسارَى)** إذا شدّوا بالقِدِّ، وأما الأسرى فهم الذين أُخذوا ولم يُشَدُّوا بِقِد(٤٤٨)»(٤٤٩) وقال أيضاً: «إذا

---

(٤٤٤) انظر [التفسير الواضح (١٧/١)].

(٤٤٥) انظر [الدر المصون (٦٣٧/٥)، المستنير (٢٢٠/١)، مفاتيح الغيب (١٥٧/١٥)، الهادي (٢٧١/٢)].

(٤٤٦) انظر [الكشف (٤٩٦/١)].

(٤٤٧) هو العلامة اللغوي الأديب أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة نسبته إلى جده الأزهر، ولد في سنة اثنتين وثمانين ومائتين وتوفي في سنة سبعين وثلاثمائة انظر [ترجمته في مقدمة كتابه معاني القراءات ص٤ ـ ٧، الأعلام (٣١١/٥)].

(٤٤٨) القدّ: حديدة يقتد بها أو جلد السخلة انظر [المصباح المنير ص٢٩٣، المنجد ص٥٧٥ مادة قد].

(٤٤٩) معاني القراءات ص٢٠٣.

كان عند القتال، فأَسَرَ القوم عدوهم فهم الأسرى، فإذا ذهبت زحمة القتال فصاروا في أيديهم، فهم الأسارى»[٤٥٠]. وذكر الزَّجاج أنَّ أسارى جمع الجمع[٤٥١] فيكون التفسير على هذا المعنى: ما كان لنبي أن يحبس كافراً ويأسره ويشدّه بالقيد، بعد زحمة القتال قبل الإثخان في الأرض، أي قبل إعزاز الإسلام وإذلال الكفر.

- وقرأ الباقون (أَسرى) بطرح الألف وفتح الهمز وحجته أنه أراد جمع أسير[٤٥٢] وأسير جمعها أسرى على وزن قتيل قتلى، جريح جرحى، فلأنها كلها على وزن فعيل وأشبهتها في اللفظ، أيضاً أشبهتها في المعنى؛ لأنها كلها عِلل ابتُلوا بها وهم كارهون[٤٥٣] وبالرجوع إلى أقوال أبي عمرو السابقة، يكون تفسير الآية: ما كان لنبي أن يأسِر الكفار أثناء القتال، حتى يثخن في الأرض ويتمكن الإسلام فيها.

سادساً: الجمع بين القراءتين:

أرى من خلال القراءتين: أنَّ المسلمين قد أَسَروا من الكفار أثناء القتال وبعده فمنهم من قيدوه بسلاسل من حديد، ومنهم من لم يُقيد، وجمع الجمع (أُسارى) أيضاً فيها نوعٌ من المبالغة في الأسر، فأرى في ذلك: أنَّ المسلمين قد أسروا عدداً كبيراً من الأسرى، والدليل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس من قتل المسلمين سبعين من الكفار وأسر سبعين[٤٥٤] والله أعلم.

٣٢ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

(٤٥٠) الحجة: ابن زنجلة ص٣١٤.
(٤٥١) انظر [معاني القرآن: للزجاج (٤٢٤/٢ - ٤٢٥)].
(٤٥٢) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٦].
(٤٥٣) انظر [الكشف (٤٩٦/١)].
(٤٥٤) سبق ذكر وتخريج هذه الرواية راجع ص٢٤.

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر **(مِنَ الأُسَارَى)** بضم الهمز وبألف بعد السين.

٢ ـ وقرأ الباقون **(مِنَ الأَسْرَى)** بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها(٤٥٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تقدم ذكره فيما سبق(٤٥٦).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أنزل الله هذه الآية استمالة للأسرى، وترغيباً لهم في الدخول بالإسلام، وذلك بعدما أخذ الرسول ﷺ الفداء من الأسرى، وشق عليهم أخذ أموالهم، فبيّن لهم الله من خيري الدنيا والآخرة قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾ أي لمن في مُلككم من الأسرى الذين أخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله في قلوبكم إخلاصاً وحسن نية وصدقاً وإيماناً ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ يعني يعطيكم في الدنيا أفضل مما أخذ منكم من الفداء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الله غفور، لمَّا كان منكم من الشرك، رحيم بكم في الإسلام، فهو غفور رحيم لمن آمن وتاب، والظاهر أنَّ الآية عامة لسائر الأسرى(٤٥٧).

---

(٤٥٥) انظر [النشر (٢/٢٠٨)، البحر المحيط (٤/٥٢١)].

(٤٥٦) راجع ص١١٤.

(٤٥٧) انظر [تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) (٢/٢٧ ـ ٨) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م ـ تحقيق علي محمد مَعّوض، عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد النُوتي (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تفسير السمرقندي)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧)، تفسير المراغي (١٠/٣٨)، التفسير الواضح (١/١٨)].

رابعاً: العلاقة التفسيرية للقراءات:

قال أبو عمرو: «ما كان في الأيدي وفي السجن فإنها أسارى، وما لم يكن في الأيدى ولا في السجن فقل ما شئت، أسرى وأُسارى»(٤٥٨).

وأيضاً ذكرت في المثال السابق أن أسارى جمع الجمع(٤٥٩) فهي تفيد المبالغة وعلى هذا يكون تفسير الآية على من قرأ (الأُسارى) بضم الهمزة وألف بعد السين: يا أيها النبي: قل لمن في أيديكم من الأسرى المسجونين عندكم الذين لم يُفادوكم، أنَّ الله يحكم لكم بإسقاط الفداء عنكم، ويأمر المسلمين بتركه وإطلاقكم مجاناً، وذلك بما يعلم في قلوبكم من خير وإيمان كنتم تكتمونه(٤٦٠).

أما من قرأ (الأَسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بعدها يكون تفسير الآية: يا أيُّها النبيُّ قل لمن في مِلككم من الأسرى الذين أخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله منكم إخلاصاً وحسن نية، يؤتكم ويعوضكم خيراً ممّا أُخذ منكم في الفداء، ويغفر لكم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين لنا أن الأسرى من المشركين (أسرى بدر)

أولاً: عددهم كان كثيراً، وهذا الفهم دلَّت عليه قراءة (أُسارى) جمع الجمع.

ثانياً: أنَّ الأسرى منهم، من دفع الفداء عن نفسه وعن غيره.

٣٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ

(٤٥٨) الحجة: ابن زنجلة ص٣١٤.

(٤٥٩) راجع ص١١٤، وانظر [تفسير السمرقندي (٢٧/٢)].

(٤٦٠) انظر [نظم الدرر (٢٤٦/٣)].

﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة **(من وِلاَيَتِهِم)** بكسر الواو.

٢ ـ وقرأ الباقون **(من وَلاَيَتِهِم)** بفتح الواو[٤٦١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وَلِيَ، يَلِي وِلايةً ووَلايةً، والوَلاية والوِلاية بمعنى البلاد التي يتسلط عليها الوالي وبمعنى القرابة، وأيضاً الوَلاية بالفتح والكسر النصرة، وقال سيبويه:

«الوَلاية بالفتح: المصدر، والوِلاية بالكسر: الاسم، مثل الإمارة والنقابة».

والولاية، مصدر وليه يليه أي قام به ومَلك أمْرهُ. والولي، النصير والمعين أو: ابن العم والنسيب[٤٦٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله تعالى أصناف المؤمنين في هذه الآية وقسَّمهم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لِنصرِ الله ورسوله وإقامة دينه، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك.

القسم الثاني: الأنصار الذي آوَوْا الرسول ﷺ، ومَنْ هاجر من أصحابه في منازلهم وواسوهم في أموالهم وقاتلوا مع الرسول ﷺ فهؤلاء ﴿بَعْضُهُمْ

---

(٤٦١) انظر [النشر (٢٠٨/٢)].

(٤٦٢) انظر [مفردات ألفاظ القرآن ص٨٨٥، لسان العرب (٤٠٧/١٥) مادة ولى، المصباح المنير ص٤٠٠، المنجد ص٩٤١، الجوهر المصون في رواية قالون ص١٠٧].

﴿أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث، ولهذا آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار.

أما القسم الثالث: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ أي هؤلاء ليس لكم ولاية عليهم، وليس بينكم توارث، وإن كانوا ذوي قربى حتى يهاجروا، ولكن إن استنصركم الذين آمنوا، ولكنهم لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم، إلاّ أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم معاهدة وميثاق، فلا تنصروهم وتنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم؛ لأن الميثاق مانعٌ من ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، تحذير عن تعدي حد الشرع(٤٦٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة (**مِّن وِلاَيَتِهِم**) بكسر الواو وحجة من كسر: أنَّه جعله من «وليت الشيء» إذا توليته ولايةً فأراد ولاية الإمرة(٤٦٤).

وذكر الأخفش: «أنَّ الولاية بكسر الواو في السلطان»(٤٦٥).

ووِلاَيَتِهِم بالكسر مصدر الوالي، لأن ولاية الوالي كالصناعة كما يقال: الإمارة، والصِّرَافة، والنِّقَابة، فكلُ ما كان من جنس الصناعة فهو مكسور، ومن العرب من يجيز الوِلاية بالكسر في التناصر؛ لأنَّ في تولي القوم بعضهم بعضاً، ضرباً من الصناعة، فكأنه بتوليه صاحبه، يزاول أمراً ويباشر عملاً، ولأن الولاية تحتاج إلى تدرب فشبهت بالصناعة(٤٦٦).

---

(٤٦٣) انظر [تفسير القرآن العظيم (٣٢٨/٢ ـ ٣٢٩)، مدارك التنزيل (٤١٣/٢ ـ ٤١٤)، التفسير الواضح (٢٠/١)].

(٤٦٤) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٦، الكشف (٤٩٧/١)].

(٤٦٥) انظر [معاني االقرآن: الأخفش (٥٤٩/٢)].

(٤٦٦) انظر [معاني القراءات ص٢٠٣، الكشاف (١٧٠/٢)].

وعلى هذا تكون ولاية المؤمن للمؤمن المؤازرة والمعاونة واتصال الأيدي، ومن ذهب إلى هذا المعنى، فإنما يحمل نفي الله تعالى ولايتهم عن المسلمين في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ﴾ على أنها صفة الحال لا أنَّ الله حكم بأنْ لا ولاية بين المهاجرين وبينهم جملة، وذلك أنَّ حالهم إذا كانوا متباعدي الأقطار، يقتضي أنَّ بعضهم إن حَزَبَه حازبٌ، لا يجد الآخر ولا ينتفع به، فعلى هذه الجهة نفي الولاية[٤٦٧].

أيضاً قال الفراء[٤٦٨]: «(ما لكم من وِلاَيَتِهِم) يريد من ميراثهم، وكسر الواو في الولاية أعجب إليّ من فتحها؛ لأنها إنما يفتح أكثر من ذلك إذا كان في معنى (نصرة) قال: فكان الكسائي يفتحها ويذهب بها إلى النُّصرة، ولا أراه علم التفسير، ويختارون في (وِليته وِلاية) الكسر».

وكذلك سائر المفسِّرين تأوَّلوا الآية على أنها الميراث، وهو إنمّا يقال له: وِلاية وليس وَلاية، وجمع السُّيوطي رواياتٍ كثيرة في «الدر المنثور» تفيد أنَّ هذه الآية نزلت في توارث المسلمين بالهجرة، فكان لا يرث الأعرابيُ المسلمُ من المهاجر المسلم شيئاً حتى نُسِخ بقوله تعالى:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] ورُدّت المواريث إلى القرابات[٤٦٩] وأيضاً أخرج البخاري روايةً عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ [النساء: ٣٣] قال: ورثة ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣] كان المهاجرون؛ لما قدموا المدينة، يرث المهاجرُ الأنصاريَّ دون ذوي رحِمِه للأخوّة التي آخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ نُسخت ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من النصر

---

(٤٦٧) المحرر الوجيز (٢/٥٥٦).

(٤٦٨) معاني القرآن: الفراء (١/٤١٨).

(٤٦٩) انظر [الدر المنثور (٤/١١٧ ـ ١١٨)].

والرفادة[٤٧٠] والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصِي له[٤٧١]. ويكون تفسير الآية على أنَّ المقصود من الوِلاية الميراث، حيث إنَّه كان الذي آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل أنَّه لم يهاجر ولم ينصر، فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم، بسبب عدم الهجرة. ومعنى الآية: أنَّها حكم من الله ينفي الولاية في الموارثة لمن لم يهاجر[٤٧٢]. أماّ القراءة بالفتح فأنَّ الغالب ورودها بمعنى النصّرة وكان الكسائي يفتحها، ويذهب بها إلى النصرة[٤٧٣].

ونقل القرطبي نقلاً غير معزو لأحد: «أنه ليس في الآية نسخ، إنما هي بمعنى النصر والمعونة»[٤٧٤]. واختار أبو بكر الأصم[٤٧٥] أنَّ الآية محكمة غير منسوخة، وأن المراد بالولاية النصَرة والمظاهرة[٤٧٦].

والعرب تقول: (نحن لكم على بني فلان وَلاية) أي أنصار[٤٧٧] وعلى هذا المعنى (النُصره) يكون تفسير الآية.

لا تنصروا ولا تناسبوا الذين آمنوا ولم يهاجروا؛ إلاّ إذا استنصروكم

(٤٧٠) الرفادة: شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية، فيخرج كل إنسان مالاً بقدر طاقته، فيجمعون من ذلك مالاً عظيماً أيام الموسم، يشترون للحج الطعام والزبيب للنبيذ، فلا يزالون يطعمون الناس؛ حتى تنقضى ايام موسم الحج انظر [لسان العرب (١٨١/٣)، النهاية في غريب الحديث ص٣٦٦ ـ ٣٦٧].

(٤٧١) انظر [فتح الباري (٢٤٧/٨)، ٦٥ كتاب التفسير، ٧ باب (ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون الذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم، إن الله كان على كل شيء شهيداً) الآية].

(٤٧٢) انظر [جامع البيان (٥٢/١٠)].

(٤٧٣) انظر [معاني القرآن: الكسائي ص١٥٤].

(٤٧٤) الجامع لأحكام القرآن (٤١١/٤).

(٤٧٥) هو شيخ المعتزلة، كان ديّناً وقوراً مات سنة إحدى ومائتين، وله تفسير وكتاب خط القرآن، والرد على الملحدة انظر [سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٩)، تهذيب سير أعلام النبلاء (٣٣٥/١ ـ ٣٣٦)].

(٤٧٦) انظر [التفسير المنير: (٨٢/١٠)].

(٤٧٧) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٤].

على قوم من الكفرة، فواجب عليكم نصرهم؛ ولكن إن استنصروكم في الدين على قوم كفّار قد عاهدتموهم أنتم وواثقتموهم على ترك الحرب، فلا تنصروهم عليهم؛ لأنَّ ذلك غذر ونقض للميثاق، وترك لحفظ العهد والوفاء به[٤٧٨].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين نفهم: أنَّ الآية نَفَت عن المسلمين وجوب النصرة لمن آمن ولم يهاجر، ونَفَت عنهم أيضاً حق الإرث فيهم، فكأنما قالت: ما لهم عليكم نصرة، وما لكم فيهم من ميراث وهذان الحكمان لا يؤخذان من قراءة واحدة بل من القراءتين.

قراءة الجمهور أُحكمت (وَلايتهم) بالفتح في حين أنَّ قراءة حمزة (وِلايتهم) بالكسر نسخ حكمها بعد أن عمل بها المسلمون زمناً، حين أنزل الله توريث ذوي الأرحام[٤٧٩]. فقراءة الكسر التي تعني الميراث أنه باقٍ تلاوة منسوخ حكماً وقراءة الفتح التي تعني النُصرة باقٍ تلاوة وحكماً.

وهذا القول بأن الوِلاية بالكسر محمولة على الميراث، وهو الذي دلّ عليه السّياق، واختاره جماهير المفسرين والنحاة.

٣ ـ أظهرت ثمرة الخلاف بين القراءتين: أنَّ الله ﷻ أسقط عن المسلم الذي لم يهاجر حق النصرة، وحق الميراث، فمن جزم أنَّ الكسر يدل على الميراث وجَبَهُ قَبُول الفتح أيضاً، دليلاً على النصرة وذلك لثبوت التواتر.

وأمّا من جعلهما لغتين بمعنى واحد[٤٨٠] فإنَّ هذا يجعل الخلاف هنا بلا ثمرة.

---

(٤٧٨) انظر [المحرر الوجيز (٥٥٦/٢)].

(٤٧٩) انظر [فتح الباري (٢٤٦/٨ ـ ٢٤٩)].

(٤٨٠) انظر [روح المعانى (٢٣٣/١٠)].

٤ ـ ألزمت ثمرة الخلاف بين القراءتين الكسائي بقبول دِلالة الآية على نفي التوارث، لأنه كان يجزم بالنصب على معنى النُّصرة، فلأنَّه ثبت التواتر في قراءة الكسر وجب إلزامه بها أيضاً[(٤٨١)].

ومما سبق أجد أنَّ: الله سبحانه وتعالى حجب الولاية عن الذين آمنوا ولم يهاجروا إلى دولة الإسلام بكل أنواع الولاية سواء بالميراث أو بالنصرة والمؤازرة، وهذا الحكم منطقي مع طبيعة هذا الدين، فهؤلاء الأفراد ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم؛ لذلك لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة.

وهذه لا ترتب وحدها تبعاتٍ على المجتمع المسلم تجاه هؤلاء الأفراد، اللهم إلا أن يُعتدى عليهم في دينهم، فعلى المسلمين أن ينصروهم إذا استنصروهم، وذلك حتى لا يفتنوا عن عقيدتهم، شرط ألا يخلَّ هذا بعهد من عهود المسلمين مع معسكر آخر[(٤٨٢)] والقراءتان تفيد حض المؤمنين إلى الهجرة.

(٤٨١) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: د. محمد الحبش ص٣٣٦ ـ ٣٣٩، ص٣٤٣ ـ ٣٤٥، دار الفكر المعاصر بيروت ـ لبنان ـ ط١ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني)].

(٤٨٢) انظر [الظلال (١٥٥٩/١٠)].



الفصل الثاني
تفسير سورة التوبة من خلال القراءات القرآنية العشر



المبحث الأول
بين يدي السورة

سورة التوبة سورة مدنية نزلت في العام التاسع للهجرة عام غزوة تبوك، عدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية كوفي، ومائة وثلاثون في عدّ أهل المدينة ومكة والشام والبصرة ولها عدة أسماء، وقد كشف الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أسرار المنافقين(٤٨٣).

نوع السورة:

هي مدنية بالاتفاق(٤٨٤) قاله صاحب الإتقان(٤٨٥): واستثنى بعضهم قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

ففي صحيح البخاري أنَّ أبا طالب لمّا حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ: (يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

(٤٨٣) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤١٥)، فتح القدير (٢/٤١٥)، والتحرير والتنوير (١٠/٩٨)].
(٤٨٤) انظر [المراجع السابقة، في رحاب التفسير (١٠/١٥١٠)].
(٤٨٥) انظر [الإتقان (١/٤٤)].

ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣](٤٨٦)

وترتيب سورة التوبة حسب الرسم العثماني هي السورة التاسعة وتاريخ نزولها بعد سورة المائدة(٤٨٧).

وهي من أواخر ما نزل من القرآن، ففي صحيح البخاري، عن زيد بن ثابت قال: «آخر سورة نزلت سورة براءة»، كذا ترجمها البخاري في صحيحه، كتاب التفسير(٤٨٨).

وفي المستدرك: عن أُبيٍّ بن كعب قال: «آخر آية نزلت: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ...﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩] إلى آخر السورة(٤٨٩). وترجم لها الترمذي في كتابه باسم التوبة(٤٩٠). والتوبة وبراءة هما الاسمان المشهوران في المصاحف.

وقد اختلف العلماء في سبب سقوط البسملة من أولها على أقوال:

الأول: أخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي في المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم،

---

(٤٨٦) انظر [البخاري (٤٦٧٥) في فتح الباري (٣١٤/٨) ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ١٦ باب ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾].

(٤٨٧) انظر [تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، قدّم له: الأستاذ أحمد أمين، من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م].

(٤٨٨) أخرجه البخاري رقم (٤٦٥٤) في فتح الباري (٣١٦/٨) ـ ٦٥ كتاب التفسير، باب ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

(٤٨٩) المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة (٣٦٨/٢) حديث (٤١٣/٣٢٩٦)، وعلق عليه الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ولم يخرجاه.

(٤٩٠) انظر [صحيح سنن الترمذي (٥٤/٣) صححه محمد ناصر الألباني ـ الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ـ أشرف على طباعته زهير الشاويش ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م].

ووضعتموها في السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد قال: وكان إذا أُنزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول: (ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا)، وكانت الأنفال من أوائل ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقُبض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنَّها منها، فلم أكتب بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم»[٤٩١].

وهذا الحديث ضعيف ضعفه الألباني[٤٩٢]، وناقش هذا الحديث د. فضل حسن عباس وعلق في نهاية مناقشته له «أنَّ من غير المعقول أن يظل القرآن غير مرتب حتى يأتي عثمان رضي الله عنه»[٤٩٣].

الثاني: وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: سمعت أبي يقول: سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لِمَ لم تكتب في براءة «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ قال: لأن باسم الله أمان وبراءة نزلت بالسيف وليس فيها أمان[٤٩٤].

وقد ناقش هذا القول الشيخ الشعراوي في تفسيره وردّه[٤٩٥].

ومع هذه الآراء السابقة أميل لما ذُكر في التفسير الواضح من أنَّ البسملة آية فذة من القرآن، أُنزلت للفصل والتبرك بها، وأنه لا دخل لأحد بالمرة في إثباتها أو تركها وإنما هذا كله توقيف ووحي، ولا يُعقل أن يَتْرك ذلك النبي ﷺ ولا يصح أن يتشكك مسلم في هذا أبداً، ولا شك في عدم

---

(٤٩١) انظر [المستدرك: كتاب التفسير باب تفسير سورة التوبة حديث رقم (٣٢٧٢/٣٨٩)، (٣٦٠/٢)]، وعلق عليه الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ولم يخرجاه.

(٤٩٢) انظر [صحيح سنن الترمذي (٦٩١/٢) ـ ١٤ كتاب التفسير ـ ١٠ باب من سورة التوبة، حديث رقم (٣٠٨٦)، وقال الألباني عنه ضعيف].

(٤٩٣) إتقان البرهان: فضل حسن عباس (٤٦١/١).

(٤٩٤) انظر [المستدرك (٣٦١/٢)، حديث رقم (٣٢٧٣/٣٩٠)، ولم يعلق عليه الحاكم].

(٤٩٥) انظر [تفسير الشعراوي (٤٨٣٢/٨ ـ ٤٨٣٣)].

نزول البسملة ها هنا بالإجماع[496].

أسماء السورة:

ذكر علماء التفسير عدة أسماء لسورة التوبة وهي:

١ ـ **سورة التوبة**: لقوله فيها: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨][497].

٢ ـ **الفاضحة**: أخرج البخاري عن سعيد بن جبير[498] قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم .. حتى ظنّنا ألاّ يبقى أحد منا إلا ذُكر فيها[499].

٣ ـ **العذاب**: أخرج الحاكم في المستدرك عن حذيفة قال: تُسمّونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب[500]. لأنها تكشف ما في الصدور وأعطت لكل عدو للإسلام جزاء.

---

(٤٩٦) انظر [التفسير الواضح (٢٢/١٠)].

(٤٩٧) انظر [الإتقان (١٧٢/١)].

(٤٩٨) هو سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسّر الشهيد، أبو محمد الأسدي مولاهم الكوفي أبو عبد الله، روى عن ابن عباس كثيراً، وعن عائشة، وكثير من الصحابة، وأيضاً عن التابعين مثل أبي عبد الرحمن السّلمي، وهو من كبار العلماء انظر [سير أعلام النبلاء (٣٢١/٤ ـ ٣٤٢) ترجمة رقم ١١٦].

(٤٩٩) أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس حديث رقم (٤٨٨٢) ـ ٦٥ كتاب التفسير ـ ٥٩ باب تفسير سورة الحشر ـ ص١٠٣٤.

(٥٠٠) انظر [المستدرك (٢٧) كتاب التفسير، ٩ ـ باب تفسير سورة التوبة (٣٦١/٢) حديث رقم (٣٢٧٤/٣٩١)]، وعلق عليه الحاكم قائلاً: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

٤ ـ **المقشقشة**: لكونها تقشقش من النفاق: أي تبرئ منه.

٥ ـ **المنقّرة**: لكونها نقّرت عما في قلوب المشركين.

٦ ـ **البَحوث**: بفتح الباء وسمّيت بذلك لأنها تبحث عن أسرار المنافقين.

أخرج الحاكم عن المقداد أنه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو! قال: أتت علينا البَحوث يعني براءة . . . الحديث(٥٠١).

٧ ـ **الحافرة**: لكونها حفرت عن قلوب المنافقين.

٨ ـ **المثيرة**: لكونها تثير أسرار المنافقين وتظهر ما خفي عن العيون.

٩ ـ **المبعثرة**: لكونها بعثرت أسرار المنافقين.

١٠ ـ **المخزية**: لكونها أخزت المنافقين.

١١ ـ **المنكّلة**: لما فيها من التنكيل لهم.

١٢ ـ **المدمدمة**: لأنها تدمدم عليهم؛ ولأنها أوضحت العقاب لكل مجرم.

١٣ ـ **المشردة**(٥٠٢): لأنها تشردهم.

وكثرة أسمائها الواردة، دليل على أنها سورة مستقلة، ليست جزءاً مما قبلها(٥٠٣).

تاريخ نزول سورة التوبة:

سورة براءة من آخر ما نزل من القرآن، نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، وهي السنة التي حدثت فيها غزوة تبوك، وهي آخر غزواته ﷺ،

---

(٥٠١) انظر [المستدرك: كتاب التفسير، باب تفسير سورة التوبة (٣٦٣/٢) حديث رقم (٣٩٩/٣٢٨٢)]، وعلق عليه: «هذا حديث صحيح الإسناد» ولم يخرجاه.

(٥٠٢) انظر [الإتقان (١٧٢/١ ـ ١٧٣)، فتح القدير: (٤١٥/٢)، تفسير الشعراوي ص ٤٨٥٧].

(٥٠٣) انظر [التفسير الواضح (٢٢/١)].

خرج فيها لغزو الروم، وقت الحر الشديد، زمن العسرة، حين طابت الثمار، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وافتضاحاً لنفاق المنافقين(٥٠٤).

وقد أخبر أبو هريرة أن النبي ﷺ أرسل علياً؛ ليقرأ براءة على المشركين في موسم الحج(٥٠٥).

سبب نزول سورة التوبة:

نزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، من العهد الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصدَّ عن البيت أحدٌ جاءه، ولا يخاف أحدٌ في الشهر الحرام، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت العهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسمّاة، فنزلت سورة براءة فيه وفيمن تخلَّف من المنافقين عنه في تبوك، وكشف الله تعالى فيها سرائر المنافقين(٥٠٦).

ولما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، أخبر أبو هريرة أنَّ أبا بكر بعثه في تلك الحجة، وكان ﷺ قد بعث أبا بكر الصديق؛ ليقيم للناس الحج - في مؤذِّنين بعثهم يوم النحر، يؤذِّنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب فأمره أن يؤذِّن ببراءة، فأذَّن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان(٥٠٧). فلم يحج بعد ذلك العام

---

(٥٠٤) انظر [السيرة النبوية: لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ)، (١١٨/٤) - دار الجيل - بيروت - ١٩٧٥م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي السيرة النبوية: ابن هشام)، البداية والنهاية: (٥/ ٣ - ٤)].

(٥٠٥) انظر [المستدرك (٣٦١/٢) - ٢٧ كتاب التفسير، - ٩ باب تفسير سورة التوبة حديث رقم (٣٢٧٥/٣٩٢)]، وصححه الحاكم.

(٥٠٦) انظر [السيرة النبوية: ابن هشام (١٣٩/٤ - ١٤٠)].

(٥٠٧) انظر [البخاري رقم (٤٦٥٥) في فتح الباري (٣١٧/٨) - ٦٥ كتاب التفسير، ٢ - باب (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر . . .)]

مشرك، ولم يطف بالبيت عُريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ(٥٠٨).

فضل سورة التوبة:

سورة التوبة من السور التي ترغِّب في الجهاد وتَحُثُّ عليه، والجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٨ ـ ٣٩]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

إذن من فضائل سورة التوبة:

١ ـ تحث على الجهاد في سبيل الله:

عن إبراهيم النّخعي قال: خرج عبد الرحمن بن يزيد مرة وهو يريد أن يجاعل(٥٠٩) في بَعْث خرج عليه، ثم أصبح فتجهَّز، فقلت: ألم تكن أردت أن تجاعل؟ فقال: بلى، ولكن قرأت البارحة سورة براءة، فسمعتها تحث على الجهاد(٥١٠).

---

(٥٠٨) انظر [السيرة النبوية (١٤١/٤)].

(٥٠٩) الجُعْل: هو الأجرة على الشيء فعلاً أو قولاً والمراد هنا أن يكتب الغزو على الرجل فيعطي رجلاً آخر شيئا ليخرج مكانه، انظر [النهاية في غريب الحديث ص ١٥٦].

(٥١٠) أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن في باب ذكر براءة (٥١/٢) فقال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: . . .
الحكم على رجال الإسناد: أبو معاوية هو محمد بن حازم، ثقة من التاسعة انظر [تقريب التهذيب: ص٥٥٤، ترجمة رقم ٥٨٤١]. إبراهيم النخعي: إبراهيم هو ابن يزيد النخعي ثقة انظر [تقريب التهذيب: ص١٢٠، ترجمة رقم ٢٧٠].
الأعمش: هو سلمان بن مهران، ثقة انظر [تقريب التهذيب: ص٣٠٣، ترجمة رقم ٢٦٢٣]. إذاً الحكم على الإسناد صحيح.

٢ ـ كتب أمير المؤمنين بتعلمها:

عن أبي عطية[٥١١] قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن: تعلَّموا سورة التوبة، وعلِّموا نساءكم سورة النور[٥١٢].

مناسبة السورة (التوبة) لما بعدها (سورة يونس):

وجه مناسبتها لما بعدها:

١ ـ أنها خُتِمت بذكر رسالة النبي ﷺ واختُتمت بها سورة يونُس، أيضاً بُدئت سورة يونس بتبديد الشكوك والأوهام نحو إنزال الوحي على الرسول ﷺ للتبشير والإنذار.

٢ ـ أنَّ جُلَّ آيات هذه السورة في أحوال المنافقين، وما كانوا يقولونه، وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن، أما سورة يونُس فكانت في أحوال الكفار، وما كانوا يقولونه في القرآن، وما كانوا يفعلونه حين نزول القرآن[٥١٣].

(٥١١) أبو عطية الهمداني الوادعي الكوفي، اسمه مالك وأبوه اختلف في اسمه على أقوال فقيل عامر وقيل غيره وهو ثقة انظر [تقريب التهذيب ص ٧٦٠، ترجمة رقم ٨٢٥٣].

(٥١٢) انظر [فضائل القرآن: (٤٨/٢) حديث رقم (٤٥١)، فضائل سور القرآن دراسة: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى من ص (٢٤٤ ـ ٢٤٥) مصر ـ القاهرة ـ الإسكندرية ـ دار السلام ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م، وذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (١٢٠/٤) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي الدر المنثور) وعزاه لأبي عُبيد، وسعيد بن منصور، وأبي الشيخ، والبيهقي في شعب الإيمان].

(٥١٣) انظر [روح المعاني (٥٥/١١)، في رحاب التفسير: (٦٣١/١١)، التفسير المنير: (٩٣/١١)].

مناسبة السورة لما قبلها:

فقد ذكرته في بداية تفسير سورة الأنفال(٥١٤).

مقاصد سورة التوبة:

سورة التوبة هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف(٥١٥). والسورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة، ويُرجِّح سيد قطب أنها لم تنزل دفعة واحدة وإنما نزلت على ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى: كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من هذا العام،

والمرحلة الثانية: كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم في ثناياها،

والمرحلة الثالثة: كانت بعد العودة منها(٥١٦).

وقد خرج الرسول ﷺ في السنة التاسعة بالمسلمين إلى تبوك بقصد غزو الروم، كما خرج أبو بكر في أواخر سنة تسع على رأس المسلمين لحج بيت الله الحرام، وقد كان لهذه السورة بحكم هذين الحادثين العظيمين في تاريخ الدولة الإسلامية.

هدفان أصيلان:

أحدهما: تحديد القانون الأساسي الذي تقام عليه دولة الإسلام؛ وذلك بتصفية وإلغاء المعاهدات التي كانت بين المسلمين ومشركي العرب، ومنعهم من الحج، وأكدت قطع الولاية بينهم وبين المسلمين، ووضعت الأسس في قبول أهل الكتاب في جزيرة العرب وكيفية التعامل معهم.

ثانيهما: إظهار ما كانت عليه نفوس أتباع النبي ﷺ حينما استنفرهم

(٥١٤) راجع ص١٢ ـ ١٣.

(٥١٥) انظر [تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني ـ ص٥٠ ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م ـ قدّم له الأستاذ أحمد أمين مؤلف كتاب فجر الإسلام (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي تاريخ القرآن)].

(٥١٦) انظر [الظلال (١٥٦٤/٣)].

ودعاهم إلى غزو الروم، فكشفت الغطاء عن فتن المنافقين وما انطوت عليه قلوبهم ونواياهم من أحقاد للرسول ﷺ وللمسلمين عامة. ثم تحدثت عن المتثاقلين من أتباع الرسول ﷺ والمتخلفين عن هذه الغزوة(٥١٧).

وقد عرضت السورة من أولها للهدف الأول فقد كان في:

المقطع الأول منها من بدايتها إلى ختام الآية الثامنة والعشرين تحديداً للعلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامي والمشركين عامة في الجزيرة.

والمقطع الثاني (٢٩ ـ ٣٧) في السورة تضمن تحديداً للعلاقات النهائية بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب عامة، مع بيان الأسباب العقدية والتاريخية والواقعية التي تحتم هذا التحديد؛ وتكشف عن طبيعة الإسلام وحقيقته المستقلة، وعن انحراف أهل الكتاب عن دين الله الصحيح عقيدة وسلوكاً.

وفي المقطع الثالث (٣٨ ـ ٤١) يبدأ النعي على المتثاقلين والمتكاسلين عن النفير وهؤلاء ليسوا كلهم من المنافقين.

ثم يجيء **المقطع الرابع** (٤٢ ـ ٩٦) في سياق السورة وهو أطول مقاطعها، وهو يستغرق أكثر من نصفها في فضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم.

ثم بعد ذلك **المقطع الخامس** (٩٧ ـ ١١٠) الذي يتحدث عن الجماعات الأخرى غير الجماعة المخلصة من المهاجرين والأنصار، فهذه جماعة الأعراب وفيهم المخلصون والمنافقون، وآخرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يتم انطباعهم بالطابع الإسلامي، وطائفة مجهولة الحال لا تعرف حقيقة مصيرها متروكٌ أمرها لله، فيقرر الله كيف تُعامل هذه الجماعات في المجتمع المسلم، ويُوجه الرسول ﷺ المسلمين الخُلَّص إلى طريقة التعامل مع كل منهم.

---

(٥١٧) انظر [أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: د. عبد الله محمود شحادة (١١٢/١)].

ثم بعد ذلك يجيء **المقطع السادس** (١١١ ـ ١٢٧) يتضمن تقريراً لطبيعة البيعة الإسلامية مع الله على الجهاد في سبيله وطبيعة هذا الجهاد وحدوده، وواجب أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب فيه، وأنهم لا يحل لهم أن يتخلَّفوا عنه، وفي ثنايا هذا المقطع يَرِدُ بيانٌ لِمَا قضى الله به في شأن بعض الذين تخلَّفوا عن الغزوة مخلصين غير منافقين[٥١٨].

وتختتم السورة آياتها بذكر صفات رسول الله ﷺ، وبينت رحمته لهذه الأمة وأمر الله نبيه بالتوكل عليه في جميع أحواله، فقد تكفل الله بنصره حتى لو تخلى عنه جميع الناس، فإنَّ الله القوي القدير معه يحفظه ويرعاه.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩].

(٥١٨) انظر [الظلال (١٥٦٥/٣ ـ ١٥٦٩)].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة التوبة المتضمنة للقراءات العشر

١ ـ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [التوبة: ١٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(لا إيمانَ لَهُمْ)** بكسر الهمزة على أنه مصدر.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ﴾ بفتح الهمزة على أنه جمع يمين[(٥١٩)].

٣ ـ قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وروح ﴿أَئِمَّةَ﴾ بتحقيق الهمزتين.

٤ ـ وقرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وأبو جعفر ورويس **(أيِمَّة)**[(٥٢٠)] بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية.

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(إيمان) مصدر أمن ـ أمناً، وأَمَناً، وأماناً، وأَمِنةً بمعنى اطمأن، فهو أَمِن، وآمِن، ومنه آمنهُ إيماناً: أي صدّق ووثق به، والإيمان: التصديق مطلقاً[(٥٢١)]. وآمنت بالله إيماناً: أسلمت له، واستُعمل المصدر في الأعيان

---

(٥١٩) انظر [النشر (٢/٢٠٩)، البدور الزاهرة ص ١٦٤].

(٥٢٠) انظر [النشر (١/٢٩٤ ـ ٢٩٥)].

(٥٢١) انظر [لسان العرب (١٣/٢٣) مادة أمن، المنجد ص١٣ مادة أَمن].

مَجازاً، فقيل الوديعة أمانة ونحوه. والإيمان: الإسلام أيضاً[٥٢٢].

(أيمان) جمع يمين وهو بمعنى القسم، والأيمان جمع اليمين أيضاً بمعنى البركة والقوة. يقال: «فلان عندنا باليمين، أي بالمنزلة الحسنى»[٥٢٣].

وقيل سُمِّي الحَلف يميناً؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا، ضرب كلُّ واحدٍ منهم يمينه على يمين صاحبه فسمي الحلف يميناً مجازاً[٥٢٤].

(أئمة) جمع إمام، والإمام الخليفة أو العالِم المقتدى به، والأصل أأممه، فأدغمت الميم في الميم بعد نقل حركتها إلى الهمزة. فمن القراء من يبقي الهمزة مخففة على الأصل، ومنهم من يسهلها على القياس بين بين، وبعض النحاة يبدلها ياء للتخفيف[٥٢٥]. وأئمة: أي رؤساء الكفر وقادتهم، الذين ضعفاؤهم تبعٌ لهم، وأيمة: قلبت الهمزة ياء؛ لثقلها، لأنها حرف سَفُلَ في الحلق وبَعُدَ عن الحروف، وحصل طرفاً فكان النطق به تكلفاً[٥٢٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للسورة:

الإسلام يُلزم أهله باحترام العهود، وتنفيذ المواثيق ذلك ما دام الطرف الآخر ملتزماً بتلك العهود والمواثيق، أمّا إذا نكث الأعداء أيمانهم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ أي إن نقضوا أيمانهم وهي جمع اليمين من الحلف[٥٢٧] وهم أهل مكة ﴿مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ أي أنقضوا ما أبرمته أيمانهم من الوفاء بالعهد الذي عقدوه معكم، وعابوا دينكم واستهزءوا به ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ وهم أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله وهمّوا بإخراج

(٥٢٢) انظر [لسان العرب (١٣/٢٣) مادة أمن، المصباح المنير ص٢٠ مادة أَمِن].

(٥٢٣) انظر [لسان العرب (١٣/٤٥٨ ـ ٤٦٢) مادة يمن، المنجد ص ٩٥٢ مادة يمن].

(٥٢٤) انظر [المصباح المنير ص٤٠٥ ـ كتاب الياء ـ مادة يمن].

(٥٢٥) انظر [المنجد ص٢٠ مادة أمّ].

(٥٢٦) انظر [لسان العرب (١٢/٢٤ ـ ٢٥) مادة أمم].

(٥٢٧) انظر [مجاز القرآن: (١/٢٥٣)].

الرسول ﷺ من مكة(٥٢٨). وذلك لأنهم لا عهد لهم، فقاتِلوهم حتى ينتهوا بقتالكم إيّاهم عن الكفر ونكث الأيمان ونقض العهود، والعودة إلى قتالكم كلّما قدروا عليه(٥٢٩). والآية عامة أيضاً في كل من نكث الأيمان، وطعن في الدِّين، فحينئذٍ أباح الله للمسلمين نقض تلك المواثيق وقتال الكفار.

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(لا إيمان لهم)** بكسر الألف ففيها وجهان: **أحدهما:** لا أمان لهم، أي لا تطمئنوا لهم ولا تُؤمِّنوهم، فيكون مصدراً من الإيمان الذي معناه الاطمئنان وهو ضد الإخافة. فيكون التفسير: قاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا يوفون لأحد بأمان يعقدونه، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى عنهم: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾ [التوبة: ١٠].

والمعنى الآخر: أنهم كفرة لا إيمان لهم، أي لا تصديق ولا دين لهم(٥٣٠). ولكن هذا المعنى أبعده د.محمد سالم محيسن(٥٣١) في كتابه المغني معللاً ذلك بقوله: «لأن الله وصفهم بالكفر قبله، فتبعد صفتهم بنفي الإيمان عنهم، لأنه معنى قد ذكر إذا أضاف الكفر إليهم، فاستعماله بمعنى آخر أولى؛ ليفيد الكلام فائدتين»(٥٣٢).

وقرأ الباقون **(أيمان)** بفتح الهمزة على أنه جمع «يمين» ومعناه لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان، ويؤكد هذا المعنى قوله

---

(٥٢٨) وهذا الأثر عن ابن عمر ﷺ من طريق مجاهد. في المستدرك (٣٦٢/٢) ٢٧ كتاب التفسير ـ ٩ باب تفسير سورة التوبة، حديث رقم (٣٩٦/٣٢٧٩) وعلق عليه الحاكم النيسابوري قائلاً: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ولم يخرجاه.

(٥٢٩) انظر [تفسير المراغي (٦٥/١٠ ـ ٦٦)].

(٥٣٠) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (١٧٨/٤)].

(٥٣١) أستاذ مشارك للدراسات القرآنية واللغوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضو لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر، وتخصص في القراءات وعلوم القرآن دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى انظر [مقدمة كتابه المغني].

(٥٣٢) المغني (٢٠١/٢).

تعالى بعد: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ [التوبة: ١٣].

ولو لم يكن منعقداً لما صح وصفها بالنكث، ومعنى هذه الآية عند الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ «أنهم لمّا لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان»[٥٣٣]. وفتحت همزة الجمع لثقله وكسرت همزة المصدر لخفته[٥٣٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ ـ بالجمع بين القراءتين أرى أنَّ الكفرة لا عهود لهم، وبالتالي لا أمان لهم فمن لا يفي بوعده فلا أمان له.

ب ـ قراءة ابن عامر قررت أن علة مقاتلة المشركين هي الكفر، وقراءة الجمهور بينت معنىً آخر لقتال المشركين، وهو أنهم لا عهود ولا أيمان، ولا ميثاق لهم ولا حلف.

فالجمع بين القراءتين يكون أن قراءة ابن عامر تقرير لعلة القتال، وقراءة الجمهور كانت وصفاً لأحوال المشركين حين قتالهم، أو حين الأمر بقتالهم[٥٣٥].

٢ ـ من قرأ قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ بهمزتين مفتوحة ومكسورة وهي قراءة أهل الكوفة[٥٣٦] فالحجة لمن حقق الهمزتين: أنه جعل الأولى همزة الجمع، والثانية همزة الأصل التي كانت في إمام، والأصل (أَأْمِمَة) على وزن أَفْعِلة، فنقلوا كسرة الميم إلى الهمزة؛ لأنهم استثقلوا الجمع بين الميمين متحركتين فأسكنوا الميم الأولى وأدغموا الميم في الميم للمجانسة.

أما من قرأ (أيمة الكفر) بهمزة واحدة وتسهيل الأخرى بياء فالحجة له: أنَّه كره الجمع بين همزتين في بِنْية واحدة، ولا اعتبار بكون الأولى زائدة كما لم يكن بها اعتبار في (آدم)، فقلب الثانية ياء لكسرها، وحرّكها

---

(٥٣٣) انظر [المغني (٢/٢٠١)، مفاتيح الغيب (١٥/١٨٧)].

(٥٣٤) الحجة: ابن خالويه ص٩٧.

(٥٣٥) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ص ٣٣٦].

(٥٣٦) انظر [لسان العرب (١٢/٢٥) مادة أمم].

لالتقاء الساكنين[٥٣٧].

ولثقل الهمزة نستطيع أنْ نفسر أنَّه أمرٌ من الله، أن يقاتلوا أئمة الكفر مهما كانت قوتهم وشدتهم.

وأما تسهيل الهمزة فتفسِّر أنَّ أئمة الكفر مهما كانوا أقوياء فإن فيهم ضعفاً ووهناً كبيت العنكبوت، لذلك لا تهابوا الكفار حين تقاتلونهم والله أعلم، وتحقيق الهمزة فيه جمال صوتي، والياء فيها لين، والهمزة فيها شدة.

٢ ـ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٥﴾ [التوبة: ١٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ انفرد رويس في (ويتوبَ اللهُ) بنصب الباء.

٢ ـ وقرأ الباقون (ويتوبُ اللهُ) بضم الباء[٥٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(يتوب) مضارع تاب، والمصدر توباً، وتوبةً، ومتاباً.

ومعنى تاب الله عليه: أي غفر له ورجع عليه بفضله ووفَّقه لها، فالله تواب، والتوبة الرجوع من الذنب[٥٣٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في الآيات السابقة أن يقاتلوا الكفار، وعدَّد بعد الأمر سبعة أشياء، كل واحدة منها يوجب إقدامهم على القتال. وفي هذه الآية ذكر في ذلك القتال نوع من الفوائد وهو ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ

(٥٣٧) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٦، الحجة: ابن زنجلة ص٣١٥].

(٥٣٨) انظر [النشر (٢/٢٠٩)].

(٥٣٩) انظر [الصحاح تاج اللغة، وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري (١/٩١ ـ ٩٢) ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ـ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، مادة تاب، المنجد ص ٥٩ مادة تاب].

﴿قُلُوبِهِمۡ﴾ أي يشفِ قلوب المؤمنين التي ملئت غيظاً وألماً من أفعال المشركين بهم في مكة .﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ بعد ذلك ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ من عباده حسب مشيئته، ولا غرابة، فالله عليم بخلقه، عليم بكل ما يعمل ويفعل في ملكه وملكوته حكيم لا يفعل إلا ما فيه الخير والحكمة لعباده(٥٤٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ برفع الباء على الاستئناف، لأن معناه ليس من شروط الجزاء؛ إنما هو استئناف ليس بشرط للجزاء. كقولك للرجل: ايتيني أُعْطِك، وأُحبُّك بعد، وأكرمُك(٥٤١). فيكون المعنى أنَّ الآية استأنفت الخبر، بأنَّه قد يتوب على بعض الكفرة الذين أمر بقتالهم(٥٤٢).

وقرأ رويس **(ويتوبَ الله)** بفتح الباء، على أنه جواب الأمر من حيث إنه داخلٌ منه من جهة المعنى.

قال ابن عطية(٥٤٣) في توجيه ذلك: «يتوجه ذلك عندي إذا ذُهب إلى أنَّ التوبة يُراد بها هنا أنَّ قتل الكافرين، والجهاد في سبيل الله هو توبة لكم أيها المؤمنون وكمالٌ لإيمانكم، فتدخل التوبة على هذا في شرط القتال».

قال أبو حيَّان(٥٤٤): «وهذا الذي قدّره من كون التوبة تدخل تحت جواب الأمر هو بالنسبة للمؤمنين الذين أُمروا بقتال الكفار. والذي يظهر أنّ ذلك بالنسبة إلى الكفار والمعنى: على من يشاء من الكفار، لأن قتال الكفار وغلبة المسلمين إياهم، قد يكون سبباً لإسلام كثير، ألا ترى إلى فتح مكة كيف أسلم لأجله ناسٌ كثيرون؟ وحَسُن إسلام بعضهم جدا». فيكون المعنى: إن تقاتلوهم، يتب الله على من يشاء من الكفار، أي: يُسلم من شاء منهم.

---

(٥٤٠) انظر [مفاتيح الغيب (٤/١٦ ـ ٥)، التفسير الواضح (٣٢/١)].
(٥٤١) انظر [معاني القرآن: الفراء (٤٢٦/١)].
(٥٤٢) المحرر الوجيز (١٤/٣).
(٥٤٣) انظر [المرجع السابق (١٤/٣)].
(٥٤٤) البحر المحيط (١٧/٨).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

إن حصل القتال والجهاد في سبيل الله، فإنه سوف يكون كمال إيمان وتوبة للمؤمنين. وقد يتوب الله على بعض الكفرة إذا أسلموا وحسُن إسلامهم، فلا مانع من أن تكون التوبة للمؤمنين المجاهدين، وتكون للكفرة إذا أسلموا والله أعلم.

٣ ـ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ البصريان (أبو عمرو ويعقوب) وابن كثير (**مسجد الله**) على التوحيد.

٢ ـ وقرأ الباقون (**مساجد الله**) بالجمع[٥٤٥].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**المسجد**) هو الموضع الذي يُسجد فيه أو هو كل موضع يُتعبَّد فيه، والجمع مساجد. والفعل سجد سجوداً، أي انحنى خاضعاً أو وضع جبهته بالأرض متعبداً[٥٤٦].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

ابتداء الآية، له غرضٌ من أغراض معاملة المشركين، وهو منع المشركين من دخول المسجد الحرام في العام المقبل، وهو مرتبطٌ بما تضمنته البراءة التي في بداية السورة، فأكدت هذه الآية على أنّه لا يحق للمشركين أنْ يعمروا مساجد الله التي منها المسجد الحرام بالإقامة فيه للعبادة أو الخدمة أو الولاية عليه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ﴾ أي انتفى تأهلهم، لإعمار مساجد الله بحال شهادتهم على أنفسهم بالكفر، فهي حاصلة في كثير

(٥٤٥) انظر [النشر (٢/٢٠٩)].

(٥٤٦) انظر [لسان العرب (٣/٢٠٤ ـ ٢٠٦) مادة سجد، المنجد ص٣٠٢ مادة سجد].

من أقوالهم وأعمالهم، فهم لا يستطيعون إنكار ذلك، مثل قولهم في التلبية: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك»، ومثل سجودهم للأصنام وطوافهم بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي أولئك المشركون، بطلت أعمالهم التي يفخرون بها، من عمارة المسجد الحرام في الدنيا، وفي الآخرة ﴿وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ وماكثون(٥٤٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (**مسجد الله**) بالإفراد وهي تحمل وجهين:

١ ـ أن يراد مسجد بعينه، وهو المسجد الحرام. ودليله قوله تعالى: ﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [التوبة: ١٩].

٢ ـ ويحتمل أنَّ المراد بالإفراد الجنس، فتَنْدرج سائر المساجد، ويدخل المسجد الحرام في مقدمته.

أما قراءة الجمع ﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ فالدليل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٨]، وفيها أيضاً أوجه:

١ ـ أنّ المراد جميع المساجد، فاحتجوا بأنَّ الخاص يدخل في العام، وليس العكس، لذلك يدخل المسجد الحرام دخولاً أولياً على طريق الكناية، كما لو قلت: «فلان لا يقرأ كتب الله» فإنك أكدت نفي قراءته للقرآن من تصريحك بذلك.

٢ ـ أنّ المراد المسجد الحرام، وأطلق عليه الجمع:

أ ـ إمّا لأنَّ كل بقعة من المسجد الحرام يُقال لها مسجد.

---

(٥٤٧) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٣٩ ـ ١٤٠)، تفسير المراغي (١٠/٧٤)].

ب ـ وإمّا لأنّه قبلة سائر المساجد فصح أن يطلق عليه لفظ الجمع(٥٤٨).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين ألاحظ أن من قرأ الآية بالجمع **(مساجد)** أفادت نفي أن يعمّر المشركون أي مسجد من المساجد، في حين أنَّ قراءة الإفراد أفادت تعيين المسجد الحرام بالذكر تأكيداً لشأنه في ذلك، فالقراءتان من باب ذكر بعض أفراد العموم لا من باب التخصيص وذلك، لتفيد التأكيد والاهتمام بهذا الفرد والله أعلم.

٤ ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة: ١٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن وردان بخلف عنه (سُقاةَ الحاجّ وعَمرَةَ) **سُقاة**: بضم السين وحذف الياء بعد الألف جمع ساق، **عَمرَة**: بفتح العين وحذف الألف جمع عامر، مثل صانع وصنعة.

٢ ـ وقرأ الباقون وهو الوجه الثاني لابن وردان ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ﴾ **سِقَايَة**: بكسر السين وبياء مفتوحة بعد الألف، **وعِمارة**: بكسر العين وبألف بعد الميم(٥٤٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السِقَاية: بفتح السين وبكسرها من الفعل سقى، سقيا، أسقيته إذا جعلت له سُقياً، والسَقي المصدر، وهي موضع السقي، وهو الموضع الذي يُتخذ لسقي الناس، والسِّقاء يكون للماء واللبن.

---

(٥٤٨) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٧، معاني القراءات ص٢٠٥، الدر المصون (٢٩/٦)، القراءات وأثرها في التفسير للأحكام: محمد بازمول (٦٩٠/٢)].

(٥٤٩) انظر [النشر (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص ١٦٥].

سُقاة: جمع ساقٍ وهو اسم فاعل(٥٥٠).

عمارة: ما يُعمَّر به المكان وهو أخص من القبيلة ويقصد به المنزل، وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه.

عَمرَة: عُمِّر المنزل بأهله عَمْراً فهو عامر، وعَمَرَةُ أهله سكنوه، وعَمَرة جمع عامر، مثل صانع وصنعة، وهو ساكن الدار(٥٥١).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(أجعلتم) في الفضيلة وعلو الدرجة ﴿سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الخطاب موجهٌ للمشركين، وأستدل بما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: «إنّ المشركين قالوا: عمارة بيت الله تعالى، وقيامٌ على السِّقاية، خير ممن آمن وجاهد فنزلت الآية»(٥٥٢)، وقيل: إن بعض المؤمنين فضَّلوا السقاية والعمارة على الهجرة والجهاد، وأستدل له بما أخرجه مسلم وأبو داوود عن النعمان بن بشير ﷺ قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ في نفرٍ من أصحابه، فقال رجل منهم، ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام. وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم. فزجرهم عمر ﷺ وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ـ ولكن إذا صليتم الجمعة دخلت على رسول الله ﷺ فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله الآية(٥٥٣)، ومعنى

(٥٥٠) انظر [مجمل اللغة (٤٦٥/٢ ـ ٤٦٦)، المصباح المنير ص١٦٩ ـ كتاب السين مادة سقي، المنجد ص٣٢٣ مادة سقي].

(٥٥١) انظر [لسان العرب (٦٠٦/٤) مادة عمر، المصباح المنير ص٢٥٥، كتاب العين مادة عمر، المنجد ص٤٩٨ مادة عمر].

(٥٥٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٤٥/٤)، وابن كثير في تفسيره (٣٤١/٢).

(٥٥٣) أخرجه مسلم (٢٥/١٣ ـ ٢٦) في صحيحه، كتاب الأمارة ـ باب فضل الشهادة في سبيل الله، وذكره الطبري في جامع البيان (٩٥/١٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٣٤٢/٢)، والسيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٤).

الآية: هل سويتم في الفضيلة وعلو الدرجة بين السقاية والعمارة وبين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله. ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] أبداً وإن كان في كل خير فإن كانت صادرة عن المؤمن، فالجهاد في سبيل الله والإيمان به وباليوم الآخر أعلى درجة وأعظم مكانة عند الله، وإن كانت صادرة عن الكافر فقد حبط عمله ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى الحق في أعمالهم؛ ولا إلى الحكم العدل في أعمال غيرهم(٥٥٤).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ السقاية صيغة للصناعة، صناعة السقي من ماء زمزم، لذلك أضيف السقي إلى الحجاج، والعمارة صناعة التعمير، وأضيف إلى المسجد الحرام، لأنها عمل في ذات المسجد(٥٥٥). فعلى هذا المعنى فإنه يحتمل وجهين: إما حذف في الأول أو حذف في الثاني.

أحدهما: على تقدير محذوف أهل أو أصحاب مثل: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، المراد أصحاب القرية، فيكون تفسير الآية: أجعلتم أصحاب أو أهل سقاية الحاج، وأهل عمارة المسجد مثل من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله، أو كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.

والآخـر: على تقدير الحذف في ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، أو أجعلتم عمل الحاج كعمل من آمن أو كإيمان من آمن ... أي لا يستوي العملان مع العملين ولا عاملوا هذين بعاملي ذينك العملين(٥٥٦).

أما قراءة **(سُقاة الحاج وعَمرَة المسجد)** فسقاة جمع ساقٍ والأصل سقية

(٥٥٤) انظر [التفسير الواضح (١/٣٥ ـ ٣٦)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٣٧٤)].

(٥٥٥) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٤٣)].

(٥٥٦) انظر [التحرير والتنوير (١٠/١٤٦)].

على وزن فُعلة، وعمرة جمع عامر.

والتقدير: أجعلتم سقاة الحاج وعمّار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله(٥٥٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين نجد أن كل قراءة أثرت وأفادت معنى في تفسير الآية، فعلى القراءتين يكون التقدير:

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله، وجعلتم سقاة الحاج وعمّار المسجد كالمؤمنين والمجاهدين في سبيل الله.

٥ ـ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (**يَبْشُرهُم**) بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين مخففة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة(٥٥٨).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ من البشارة أي الخبر المفرح، يقال بَشَّرتُه بِشَارةً، أي فرّحه وبلّغه البشرى أو البشارة، وسميت بذلك؛ لأن أثرها يظهر في البشرة، وهي ظاهر جلد الإنسان.

(**يَبْشُرهُم**) معناه يَسُرُّهم، يقال بشر وأبشر أي بلّغه البشرى، بشر بشراً: فرح، واسم الفاعل من الفعل المخفف بشر هو (بشير) ويكون البشير في الخير أكثر من الشر، وإن استعملت في الشر فبقيد كقوله تعالى:

---

(٥٥٧) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٤٣٨/٨ ـ ٤٣٩)].

(٥٥٨) انظر [النشر (١٨٠/٢)، (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص١٦٥].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ﴾[559] [آل عمران: ٢١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية بيان للدرجة العظيمة التي في قوله: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٢٠] في الآية السابقة، فتلك الدرجة هي عناية الله تعالى بهم، بإدخال المسرة عليهم، وتحقيق فوزهم، وذلك علي لسان نبيه محمد ﷺ فيبشرهم ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ عظيمة ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَرِضْوَٰنٍ﴾ كبير كامل ﴿وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ أي وجنات عالية لهم فيها نعيم دائم مستمر[560].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

التخفيف لغة تهامة: وهو فعل مضارع من بشر، فتتغير عنده بشرةُ الوجه وتنبسط عادة، والتشديد لغة أهل الحجاز وهو فعل مضارع من بَشَّر مضعَّف العين، يقال بشره يبشره تبشيراً من أبشر[561]، وذهب بعض القراء: إلى أنها لغات بمعنى واحد فأرى أن قراءة التخفيف أفادت أن آثار البشرى من الله ظهرت على وجوه المؤمنين فبان السرور عليها.

وقال ابن خالويه[562] عن التشديد والتخفيف بأنهما «لغتان فصيحتان»، وقال الأزهري[563]: «فمن العرب من يجيز بشرته وأبشرتُه، وبَشَرْتُه بمعنى واحد، ويقال: بشّرتُه، فأبشر وبَشَر، أي سُرَّ وفَرِح».

ومع هذا فإن قراءة التشديد، أفادت المبالغة والتأكيد على البشارة، والتكثير بالنسبة للمبشر به، وأفادت أيضاً تكراراً للبشارة فهي بشرى عظيمة

(٥٥٩) انظر [المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية (٥٩/١ ـ ٦٠) ـ ط٣ ـ مادة بشر، المصباح المنير ص٣٥ مادة بشر، المنجد ص٣٣ مادة بشر، الدر المصون (٢٠٩/١ ـ ٢١٠)].

(٥٦٠) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٣٧٥/٢)، التحرير والتنوير (١٤٩/١٠ ـ ١٥٠)].

(٥٦١) انظر [لسان العرب (١٦٢/٤)، القراءات وأثرها في العلوم العربية (٢٦٤/١)].

(٥٦٢) الحجة: ابن خالويه ص٥١.

(٥٦٣) معاني القراءات ص١٠٢.

لا نهاية لها، ولا يحاط بمعرفة مقدارها، وبينت أن هذه البشرى ثواب عظيم للمؤمنين المهاجرين.

فهي بشارة تلو بشارة، حيث إنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبشرهم في كتابه على لسان رسوله، وعلى لسان ملائكته، حين الموت برحمة منه، ورضوان كامل لا يشوبه سخط، وجنات تجري من تحتها الأنهار، ولهم فيها نعيم مقيم، لا يزول على عظمته وكماله(٥٦٤). وفي ذلك حث على الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله.

ويقول الألوسي: «وكونه سبحانه هو المبشر، لا يخفى من اللطافة واللطف»(٥٦٥).

٦ ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبة **(وعشيراتُكُم)** بالألف على الجمع.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ بغير ألف على الإفراد(٥٦٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(العشيرة) القبيلة ولا واحد لها من لفظها، والجمع عشيرات، وعشائر(٥٦٧). وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنونَ، **والعشيرة**: العامة مثل بني تميم وبني عمرو بن تميم، **والعشير**: القريب والصديق(٥٦٨).

---

(٥٦٤) انظر [في رحاب التفسير (١٥٢٩/١٠)].

(٥٦٥) انظر [روح المعاني (٢٦٣/٥)].

(٥٦٦) انظر [النشر (٢٠٩/٢)].

(٥٦٧) انظر [المصباح المنير ص٢٤٤ ـ كتاب العين مادة عشر].

(٥٦٨) انظر [لسان العرب (٥٧٤/٤)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

المعنى العام للآية أي قل لهم: إن كنتم تفضلون شهوات الدنيا وحظوظها من الآباء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارة والمساكن، على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ أي انتظروا حتى يأتي أمر الله وعقوبته، التي تحل بكم أجلاً أم عاجلاً، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ الخارجين عن حدود الدين والشريعة؛ لأنهم يؤثرون الدنيا وشهواتها على حب الله ورسوله، فهم محرومون من الهداية.(٥٦٩)

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ شعبة (**عشيراتُكُم**) بألف بعد الراء، على الجمع حملاً على المعنى، لأن كل واحد من المخاطبين عشيرة، فجمع لكثرة عشائرهم، والعشيرة القبيلة، والجمع عشيرات وعشائر.

وقرأ الباقون ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ بالتوحيد أي بغير ألف على الإفراد، لأنَّ العشيرة واقعة على الجمع، أي عشيرة كل منهم، فاستغنى بذلك لخفته، وأيضاً استغنى بما أضيف إليه من الجمع عن جمعه لدلالته عليه(٥٧٠).

والعشيرة الأقارب الأدنون، وكأنَّه مشتق من العِشْرة وهي الخلطة والصحبة(٥٧١).

وعقَّب مكي قائلاً على قراءة ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: «وهو الاختيار لأنَّ الجماعة عليه»(٥٧٢). وهذا ما لا أقبله لأنَّ القراءتين إذا استوتا في التواتر استوتا في الجمال وقوة التوجيه. وهذه بلاغة في أسلوب القرآن الكريم ذكر البقية بلفظ واحد يتناول الكل وهي لفظ العشيرة.

---

(٥٦٩) انظر [في رحاب التفسير (١٥٣١/١٠ ـ ١٥٣٣)].

(٥٧٠) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (١٨٠/٤)، الكشف (٥٠٠/١)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٤٥٦/٢)].

(٥٧١) انظر [التحرير والتنوير (١٥٣/١٠)].

(٥٧٢) الكشف (٥٠٠/١).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ قراءة (**عشيراتكم**) يكاد الموجهون يجمعون على أن المراد الجمع ولكن الجمال الصوتي أولى بالاعتبار من مجرد التعبير عن الجمع، وإلا استخدام كلمة (**عشائر**) وقد نقل مكي عن الأخفش أن العرب لا تجمع عشيرة إلا على عشائر(٥٧٣).

إن ذلك الجمال الصوتي (**عشيراتُكم**) يكمن في تطويل نواة المقطع الثالث (را)، وهو مقطع طويل مفتوح، وهو مركَّب من حاشية أولى /ر/ + النواة + حاشية ثانية /صفر/ وهذا مألوف في لغة العرب (فتحة طويلة) إذا أريد التعبير عن تفخيم المعنى وتعظيمه ومن ذلك: قرابات ورجالات.

ولعل ممّا يقوي رأينا هذا أنَّ المقطع الثالث هو نقطة التميز الوحيدة بين القراءتين /را/ ـ /رَ/(٥٧٤).

٧ ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ عاصم والكسائي ويعقوب ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ﴾ بالتنوين وكسرة حالة الوصل.

ب ـ وقرأ الباقون (**عزيرُ ابن**) بغير تنوين أي حذفه(٥٧٥).

٢ ـ أ ـ قرأ عاصم ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾ بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها.

ب ـ وقرأ الباقون (**يضاهُون**) بضم الهاء من غير همز بعدها(٥٧٦).

---

(٥٧٣) انظر [الكشف (٥٠٠/١)].

(٥٧٤) التوجيه اللغوي والبلاغي: د.صبري ص٢١٣.

(٥٧٥) انظر [النشر (٢٠٩/٢)، البدور الزاهرة ص١٦٥].

(٥٧٦) انظر [النشر (٣١٥/١) (٢٠٩/٢)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عُزير) على صيغة المصغر نبي الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم اسم ينصرف لخفته وإن كان أعجمياً مثل نوح، لوط، لأنه تصغير عَزْر، ويسمّيه أهل الكتاب عزرا، وينتهي نسبه إلى العازار بن هارون عليه الصلاة والسلام[٥٧٧].

﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يقال ضاهيته مضاهاة: وهي مشاكلة الشيء بالشيء[٥٧٨]. وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة واشتقاقه من قولهم: امرأة ضهباء، وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيل هي التي لا تحيض. فالمعنى أنها أشبهت الرجال في أنها لا ثدي لها أو في أنها لا تحيض[٥٧٩].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

تقرر هذه الآية لما مرَّ من الآيات السابقة، وتؤكد له، ببيان أنهم لا يؤمنون بالله. حيث إن من أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى، وجميع الشرائع السماوية اتفقت على الدعوة لتوحيد الله تعالى، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك أو صاحبة؛ ولكن اليهود، لم تنفتح قلوبهم لتوحيد الله وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ تعالى الله عما يشركون علواً كبيراً!

وقد ذكر الطبري عند تفسيره لهذه الآية روايات، تدل على: أنَّ عزيراً هذا هو الوارد في كتبهم، التي أجمعت على أنَّ أهل الكتاب مدينون لعزير في كتابة كتبهم المقدسة، وأنه هو الذي أملاها فقالوا: ما أعطاه الله هذا؛ إلا لأنَّه ابنه.

---

(٥٧٧) انظر [لسان العرب مادة عزر (٥٦٣/٤)، المصباح المنير ص٢٤٣ مادة عزر، تفسير المراغي (٩٧/١٠)].

(٥٧٨) انظر [المصباح المنير ص٢١٨ ـ كتاب الضاد مادة ضهأ].

(٥٧٩) انظر [معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (٤٤٣/٢)، مجمل اللغة: ابن زكريا (٥٦٧/٢)].

وهذا القول: كان شائعاً في اليهود أنفسهم، وقت نزول الآية، فلم يكذبوها بل كانوا يقولون مثلها، وأيضاً النصارى نسبت المسيح إلى أنَّه ابن الله، فهي ضاهت كلام اليهود من قبل، واليهود والنصارى شابه قولهم في الكفر والشناعة مَنْ قبلهم من المشركين، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي لعنهم الله أو دعاء عليهم بالإهلاك، فإنَّ من قاتله الله هلك، أو تعجب من شناعتهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون الحق إلى الباطل؟ بعد قيام الأدلة عليه(٥٨٠).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

اختلف القراء في قراءة **(عزير ابن)** فقرأه عامةُ قُرّاء أهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين **(عزيرُ)** لا ينونون عزيراً.

وقرأه بعض المكيين والكوفيين ﴿عُزَيْرٌ﴾ بتنوين(٥٨١). وقد ذُكر في التحرير والتنوير(٥٨٢): عزير اسم حبرٍ كبيرٍ من أحبار اليهود الذين كانوا في الأسر البابلي، واسمه في العبرانية **(عِزرا)** بكسر العين المهملة، ﴿عُزَيْرٌ﴾ بالتنوين قرأ على أنَّه عربيٌّ، بسبب التصغير الذي أدخل عليه؛ لأنَّ التصغير لا يدخل في الأعلام الأعجمية، وقد ذُكر اسم عزير بصيغة التصغير في الآية، فيحتمل أنَّه لمّا عُرّب عُرِّب بصيغة تشبه صيغة التصغير، فيكون كذلك اسمه عند يهود المدينة، ويحتمل أنَّ تصغيره جرى على لسان يهود المدينة تحبيباً فيه.

وعلى هذا فمن قرأه بالتنوين فهو على أساس أنَّه اسم عربي، بسبب

---

(٥٨٠) انظر [جامع البيان (١١١/١٠ ـ ١١٣)، التفسير الواضح (٤٥/١)، معالم التنزيل (٢٤٠/٢ ـ ٢٤١)].

(٥٨١) انظر [جامع البيان (١١٢/١٠)].

(٥٨٢) انظر [التحرير والتنوير (١٦٨/١٠)].

ما ذكرناه سابقاً، فيكون (**عُزَيْر**) مبتدأ (**وابن**) خبر المبتدأ، ورفضوا[٥٨٣] أن يكون الابن نعتاً لعزير، وقالوا: لأنَّ العرب لا تنون الأسماء إذا كان الابن نعتاً للاسم، كقولهم هذا زيد بن عبد الله، فأرادوا الخبر بأن ابن الله هو عزير، ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا[٥٨٤].

وقد نقل السيوطي عن ابن خباز[٥٨٥] قوله: «والتنوين حرف ذو مخرج وهو نون ساكنة، وجماعةٌ من الجهال بالعربية لا يُعدونه حرف معنى ولا مبنى؛ لأنَّهم لا يجدون له صورة في الخط، وإنّما سمّي تنويناً؛ لأنه حادث بفعل المتكلم والتفعيل من أبنية الأحداث»[٥٨٦].

والتنوين زيادة على الكلمة كما أنّ النّفل زيادة على الفرض[٥٨٧]وفائدة التنوين تكثير اللفظ[٥٨٨] **وحجّةُ من نوّن**:

١ ـ أنَّه جعل الاسم عربياً؛ لأنه على مثال المصغرات من الأسماء العربية وله اشتقاق.

٢ ـ أنَّه إنْ كان الاسم أعجمياً، فهو خفيف وتمام الاسم في الابن.

٣ ـ أنَّ (عزير) قد أضيف إلى غير أبيه، والعرب إذا أضافت الاسم إلى غير أبيه نوَّنوا لقلة الاستعمال[٥٨٩].

أما من منع التنوين، فنظر إلى عُجْمته مع العلمية، وليس فيه تصغير[٥٩٠] على أساس أنَّه مكبر كـ(سليمان). ومن حذف التنوين له وجهان:

---

(٥٨٣) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

(٥٨٤) انظر [جامع البيان (١١٢/١٠)].

(٥٨٥) هو أحمد بن الحسين بن أحمد الأربلي الموصلي، أبو عبد الله شمس الدين ابن الخباز، نحوي ضرير، له تصانيف منها الغرّة المخفية في شرح الدرة الألفية توفي عام ٦٣٩هـ ـ ١٢٤١م انظر [الأعلام (١١٧/١)، بغية الوعاة (٣٠٤/١) ترجمة رقم ٥٦٠].

(٥٨٦) انظر [الأشباه والنظائر (١٣٩/٢)].

(٥٨٧) انظر [الأشباة والنظائر (١٣٩/٢)].

(٥٨٨) انظر [المرجع السابق (١٤٠/٢)].

(٥٨٩) انظر [إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٣٦/١)].

(٥٩٠) انظر [نظم الدرر (٣٠٠/٣)].

الأول: (عزيرُ ابن) فيكون عزير مبتدأ وابن خبر، وحُذِف التنوين؛ لاجتماع الساكنين كما يروى في قراءة بعضهم[٥٩١] (أحدُ الله الصمد) حُذِف التنوين؛ لالتقاء الساكنين بترك التنوين من أحد. قال ابن عطية: «فالألف على هذه القراءة والتأويل ثابتة في (ابن).

الثاني: أنَّ (ابن) صفة لعزير فجعلت الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد. وحَذْف التنوين إذا جاء ساكنان كأنهما التقيا في كلمة واحدة. فالمعنى يكون عزير ابن الله معبودنا وإلهنا. أو المعنى معبودنا وإلهنا عزير بن الله[٥٩٢].

وقال ابن عطية أيضاً: «وقياس هذه القراءة والتأويل أن تحذف الألف من (ابن) لكنها تثبت في خط المصحف»[٥٩٣].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قرأ بالتنوين، تعمّد صب المادة في قالب عربي، أمَّا من قرأ بدون تنوين، آثر الإبقاء على تركيبه حتى يعلم ـ لأول وهلة ـ أنه أعجمي، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ عاصم (**يضاهِئون**) بكسر الهاء والهمز وهي لغة ثقيف.

وقرأ الباقون (**يضاهُون**) بضم الهاء وبغير همز وهي قراءة عامة قراء الحجاز والعراق[٥٩٤] وقد ذكر كثير من المفسرين بأنهما لغتان[٥٩٥]، يقال

---

(٥٩١) ذكرها ابن عطية في تفسيره (٢٣/٣)، أبو حيان في تفسيره (٣١/٥) ولم ينسبها إلى أحد، وذكرها السمين الحلبي في تفسيره (٣٨/٦) ولم أجد هذه القراءة في كتب القراءات الشاذة.

(٥٩٢) انظر [المحرر الوجيز (٢٤/٣)].

(٥٩٣) المحرر الوجيز (٢٦/٣).

(٥٩٤) انظر [جامع البيان (١١٣/١٠)].

(٥٩٥) انظر [جامع البيان: الطبري (١١٣/١٠)، المحرر الوجيز (٢٥/٣)، معالم التنزيل (٢٤١/٢)، مفاتيح الغيب (٣٠/١٥)].

ضاهيت: ضاهأت مثل: أرجيت وأرجأت. والحجة لمن همز: أنَّه أتى به على الأصل، والحجة لمن ترك الهمز: أنه أراد التخفيف فأسقط الياء لحركتها بالضم، والضم لا يدخلها.

الجمع بين القراءتين:

أرى أنهما لغتان من لغات العرب، ولكن استعمال الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة[٥٩٦]، توحي بثقل القول الذي يخرجونه من أفواههم. وهل يوجد قول أثقل من قولهم هذا (عزير ابن الله) أو (المسيح ابن الله)؟ تعالى الله عما يصفون ويشركون علواً كبيراً!.

٨ ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر (**اثنآ عْشَر**) بالمد المشبع ـ مد ألف اثنا لالتقاء الساكنين ـ وإسكان العين.

٢ ـ وقرأ الباقون (**اثنا عَشَر**) بدون مد مع فتح العين[٥٩٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(عشر) العشرة أول العقود، من العرب من يُسكّن العين فيقول: أحدَ عْشر، ونقل ابن منظور عن الأخفش: «إنما سكّنوا العين لما طال الاسم وكثُرت حركاته»[٥٩٨].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

(٥٩٦) انظر [بلاغة الكلمة: د. فاضل السامرّائي ص٥٧].
(٥٩٧) انظر [النشر (٢/٢٠٩، ٢١٠)، البدور الزاهرة ص١٦٦].
(٥٩٨) انظر [لسان العرب (٤/٥٦٨ ـ ٥٦٩) مادة عشر].

أعلم الله ﷻ في هذه الآية: أنَّ عدة شهور المسلمين يعني - شهور السنة - التي تؤدى فيها الزكاة اثنا عشر شهراً على منازل القمر، فجعل حَجَّهم وأعيادهم وصلاتهم في أعيادهم هذا العدد.

فأعلم الله ﷻ أن سني المسلمين على الأهلة ومن يوم أن خلق الله السموات والأرض من الشهور: أربعةٌ حُرُم (محرم - رجب - ذو القعدة - ذو الحجة) ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ وكان ذلك الحساب الصحيح المستقيم لا يزيد ولا ينقص ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ في الاثني عشر بالمعصية، ويقال في الأشهر الحرم ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ جميعاً غير متفرقين ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ جميعاً ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يا معشر المؤمنين أنَّ الله مع المتقين ضامنٌ لهم النصر(٥٩٩).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو جعفر (**اثنآ عْشر**) بإسكان العين ومد الألف مداً مشبعاً لأجل الساكن، لأنَّه حينئذٍ أصبح من باب المد اللازم(٦٠٠).

وسكون حرف العين؛ لأنَّ الاسمين (اثنا عشر) كالاسم الواحد وبني الأول منهما؛ لأنَّه كصدر الاسم، والثاني منهما؛ لتضمنه معنى واو العطف، فجعل تسكين أول الثاني دليلاً على أنهما قد صارا كالاسم الواحد(٦٠١)

وقرأ الباقون (اثنا عَشر) بفتح العين وصلاً وبدءاً، والإسكان والفتح لغتان صحيحتان.

---

(٥٩٩) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٢/٤٤٥ - ٤٤٧)، معاني القرآن: النحاس (١/٤٤٦ - ٤٤٧)، مجاز القرآن (١/٢٥٨)، تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٣٠٨هـ) (١/٣١٣) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م - تحقيق: أحمد فريد].

(٦٠٠) انظر [المغني في توجيه القراءات (٢/٢٠٥)].

(٦٠١) انظر [مجمع البيان (١٠/٥٥)].

غير أنَّ المد فيه طول زيادة(٦٠٢) يدل على طول الزمن. فيكون التفسير إنَّ عدة الشهور اثنا عشر شهراً عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، فهو مكتوبٌ عند الله منذ أن خلق الله السموات والأرض وسيستمر إلى يوم القيامة وهذا المعنى أخذناه من توالي الحركات الذي يفيد الاستمرارية. أفادت قراءة المد: أنَّ ذلك العدد واجبٌ متقررٌ في علم الله، وفي كتاب الله من أول ما خلق الله الخلق.

والمد اللازم: من أقوى أنواع المدود، ولا يتمكن النطق بالساكن بحقه إلا بالمد لذلك اتفق القراء على مده مداً مشبعاً(٦٠٣).

٩ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ورش وأبو جعفر (إنما النسيّ) بتشديد الياء من غير همز ولا مد؛ وأبو جعفر أبدل الهمزة حرف مد، بحسب حركة ما قبله.

ب ـ قرأ الباقون ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ بالمد والهمز(٦٠٤).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**يُضَل**) بضم الياء وفتح الضاد.

ب ـ وقرأ يعقوب (**يُضِل**) بضم الياء وكسر الضاد.

ج ـ وقرأ الباقون ﴿يَضِل) بفتح الياء وكسر الضاد(٦٠٥).

(٦٠٢) انظر [النشر (٢٤٥/١)].

(٦٠٣) انظر [العمادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر (الكشف عن علل القراءات وتوجيهاتها) د. محمد سالم محيسن (١٨٢/١) دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م].

(٦٠٤) انظر [النشر (٣٠٣/١)، (٢١٠/٢)، تحبير التيسير: ابن الجزري ص١٣١].

(٦٠٥) انظر [النشر (٢١٠/٢)].

٣ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (**ليواطُوا**) بحذف الهمزة وضم ما قبلها من أجل الواو.

ب ـ قرأ الباقون (**لِيُوَاطِئُوا**) بالهمز وكسر الطاء[٦٠٦].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(**النسيء**) مصدر من الفعل نسأ، نسأً، ومنسأ، أي أخّر، والنّسيء التّأخير[٦٠٧].

(**النسيُ**) مصدر من الفعل نسا، ينسى، نسياً، ضد الحفظ، وأنساه الشيء أي أمره بتركه، ونسيء الشيء ضد حفظه والنسيان الكثير النسيان، والنسيّ أيضاً الكثير النسيان ومن لا يعد في قومه[٦٠٨].

(**يضل**) المضارع من ضل ـ ضلالاً ـ وضلالة ضد اهتدى أي حاد عن الدين أو حق أو طريق، ومنه أضل الشيء، أي أضاعه وأهلكه.

وأهل الحجاز يقولون ضللت أضَل، وأهل نجد يقولون ضللت أضِل[٦٠٩].

(**ليواطئوا**) ليوافقوا من وطئت، والمواطأة المواتاة[٦١٠]. والمواطأة الموافقة أيضاً، وطي وتوطية أي خفض وحطّ، وطّاه فتوطّى أي فصار كذلك هي لغة في وطّأ، وطِئتُهُ، وطأً، وتوطأ بالهمزة[٦١١].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

---

(٦٠٦) انظر [النشر (٣٠٨/١)، البدور الزاهرة ص١٦٦].

(٦٠٧) انظر [مجمل اللغة: ابن زكريا حمادة (٨٦٦/٣)، المنجد ص ٧٨٨ ـ ٧٨٩ مادة نسأ].

(٦٠٨) انظر [المنجد ص ٧٩٢ ـ ٧٩٣ مادة نسا].

(٦٠٩) انظر [لسان العرب (٣٩٠/١١) مادة ضلل، المنجد ص ٤٢٩ مادة ضل].

(٦١٠) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٥٥٤/٢)، مجاز القرآن (٢٥٩/١)، المصباح المنير ص٣٩٥ مادة وطي ـ كتاب الواو].

(٦١١) انظر [لسان العرب (٣٩٦/١٥) مادة وطي، المنجد ص ٩٢٧ مادة وطي].

كل شيء في الكون خلقه الله، وَفقاً لنظام دقيق بديع، وإذا حاول أيُّ مخلوق التغيير وقلب هذا النظام، فهو ملحد وكافر.

فمنذ أن خلق الله الكون جعل العام اثنيْ عشر شهراً، وجعل أربعة أشهر حُرماً، يوقف فيها القتال، ولكنَّ أهل الجاهلية كانوا يؤخرون حرمة الشهر الحرام في القتال إلى شهر آخر، ولما جاء الإسلام نهى عن ذلك وحرّمه، وجعل هذا العمل ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾ فهو كفر آخر، ضموه إلى كفرهم ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ضلالاً زائداً على ضلالهم ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيء، وهو التأخير الذي يؤخِّره أهل الشرك بالله من الشهور الحرم الأربعة، من تصييرهم الحرام منهنّ حلالا، والحلال منهنّ حراما ﴿عَامًا﴾ أي سنة يجعلونه حلالاً ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فيتركونه على حرمته، أي إذا أحلُّوا شهراً من الأشهر الحُرُم عاماً رجعوا فحرَّمُوه في العام المقبل ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة، وقد خالفوا التخصيص ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت، وهذا نتيجة تزيين وتضليل الشيطان لهم ذلك، فحَسَبوا أعمالهم القبيحة حسنة، وحُبِّب إليهم ذلك ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ حال اختيارهم الثبات على الباطل(٦١٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ورش **(النسيُّ)** بتشديد الياء من غير همز، وذلك أنَّه خفَّف على ما يجب من الأصول، فلما أراد تخفيفها وجد قبلها ياء زائدة فأبدل من الهمزة ياء، وأدغم فيها الياء التي قبلها كقولك في تخفيف خطيئة خطيَّة(٦١٣). والنسي مصدر من الفعل نسا ومنه نسيت الشيء أنساه.

---

(٦١٢) انظر [جامع البيان (١٠/١٢٩ ـ ١٣٠)، مدارك التنزيل (٢/٤٢٦)، مجمل اللغة (٣/٨٦٦)].

(٦١٣) انظر [الكشف (١/٥٠٢)].

يقول الطبري[٦١٤]: «وتوجيهه معنى الكلام إلى أنَّه فعل من قول القائل: نسيت الشيء أنساه، ومن قول الله ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ﴾ [التوبة: ٦٧] بمعنى تركوا الله فَتَركهم» فيكون المعنى: أنَّ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي يحلون المحرَّم عاماً، وعاماً يحرمونه.

أما (**النَّسيء**) بالهمز كما قرأ الباقون، والمد فهو مصدر من نسأه: أي إذا أخَّره، ويكون المعنى تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر[٦١٥]. فلأنه تأخير في المدة فيلزم منه الزيادة[٦١٦].

وقال الطبري[٦١٧]: «النسيء بالهمز معناه الزيادة». والتأخير؛ لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة، فيحلونه ويحرمون مكانه شهراً آخر، حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرِّمون من بين شهور العام أربعة أشهر[٦١٨].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنَّ القراءتين تعضد إحداهما الأخرى، فالنسيء بمعنى الترك والنسيان أو التأخير. فهم إذاً بتركهم الشهر المحرم عاماً يكونوا قد أخَّروه للعام المقبل فيحرمونه.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (**يُضَل**) بضم الياء وفتح الضاد وهو مضارعٌ للمفعول، والحجة له: أنَّه جعله فعل ما لم يُسمَّ فاعله[٦١٩]،

---

(٦١٤) جامع البيان (١٠/١٣٠).

(٦١٥) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤٢٦)، نظم الدرر (٣/٣٠٨)].

(٦١٦) انظر [الدر المصون (٦/٤٦)].

(٦١٧) جامع البيان (١٠/١٢٩).

(٦١٨) انظر [مدارك التنزيل (٢/٤٢٦)، وذكر ذلك أيضاً البقاعي في نظم الدرر (٣/٣٠٨)].

(٦١٩) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٩٧].

والحجة الأخرى: أنَّ الكلام أتى عقيب ذلك بترك تسمية الفاعل وهو (**زُيِّن**)[٦٢٠] فدلَّ على أنَّ ما تقدَّمه من الفعل جرى بلفظه، إذ كان التزيين إضلالاً في الحقيقة، فجعل ما قبل التزيين شاملاً للفظه ليأتلف الكلام على نظام واحدٍ، وصيغة المضارع المبني للمجهول من الفعل الرباعي (**أضل - يُضلَ**) ومعنى ذلك أنَّ المسند إليه وهو الفاعل الحقيقي محذوف لغرض، وهو أن يرد على الذهن كل من يمكن أن يسند إليه الإضلال ويكون (**الذين كفروا**) نائب فاعل.

وخير ما يفسِّر لنا هذا الغرض البلاغي، قراءة يعقوب التي جاء فيها الفعل مبنياً للمعلوم (**يُضِل**) فيكون الفعل مقدراً و(**الذين كفروا**) مفعول به.

فيكون التقدير:

١ - يُضل الله به الذين كفروا.

٢ - يُضل الشيطان به الذين كفروا.

٣ - يُضل به الذين كفروا كبراءهم وتابعيهم؛ لأنهم يحملونهم على تأخير حرمة الشهر الحرام فيضلونهم بذلك.[٦٢١]

أما باقي القراء العشرة قرأوا (**يَضِل**) بفتح الياء وكسر الضاد، على أنه مضارع (ضل) الثلاثي مبني للفاعل. و(**الذين كفروا**) الفاعل وأضيف الفاعل إلى الكفار مباشرة؛ لأنَّهم الضالون في أنفسهم بذلك التأخير، لأنَّهم يحلُّون ما حرَّم الله، وأيضاً هم ضلُّوا غيرهم، فضلوهم بتأخيرهم شهراً وتقديمهم شهراً[٦٢٢].

لذلك حَسُن إسناد الضلال إليهم إن كانوا ضالِّين في أنفسهم، وحَسُن

(٦٢٠) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣١٨].

(٦٢١) انظر [طلائع البشر: محمد قمحاوي ص١١، التوجيه اللغوي: د. صبري ص٢١٤ - ٢١٥].

(٦٢٢) انظر [الكشف (٥٠٢/١)، معاني القراءات: ص٢٠٨، الحجة: ابن خالويه ص٩٧ - ٩٨].

إسناد الضلال إليهم أيضاً إن كانوا مضلين لغيرهم، وذلك لأنَّ المضلَّ لغيره، ضال في نفسه لا محالة[٦٢٣]. ويقول الطبري في قراءة **(يُضَل)** و**(يَضِل)** «هما قراءتان مشهورتان»[٦٢٤].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّهما متقاربتا المعنى، لأنَّ من أضله الله فهو ضال، ومن ضلَّ فبإضلال الله إياه وخذلانه له ضل، ومن كان ضالاً فهو يضل غيره[٦٢٥]. وهو شاهد على بلاغة حذف المسند إليه[٦٢٦].

القراءة الثالثة:

قرأ معظم القراء **(ليواطِئوا)** بالهمز وكسر الطاء من واطأت فلاناً على شيء: أي وافقته عليه، معيناً له، غير مخالف عليه، فيكون معنى الكلام: أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الأشهر الأربعة التي حرّمها الله، لا يزيدون عليها، ولا ينقصون منها، وإن قدّموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم، عدة ما حرم الله[٦٢٧].

فهم كانوا يحرِّمون القتال في المحرم فإذا عزموا على أن يقاتلوا فيه جعلوا صفراً كالمحرم، وقاتلوا في المحرم وأبدلوا صفراً منه، فجعلوا صفراً كالمحرم في العدة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء[٦٢٨].

يقول ابن عطية: «يحتفظوا في كلِّ أربعة أشهر في العدد، فأزالوا الفضيلة التي خص الله بها الأشهر الحرم وحدها، بمثابة أحد يفطر رمضان

---

(٦٢٣) انظر [التوجيه اللغوي: د. صبري ص٢١٥].

(٦٢٤) جامع البيان (١٠/١٢٩).

(٦٢٥) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(٦٢٦) انظر [التوجيه اللغوي: د. صبري ص ٢١٤].

(٦٢٧) انظر [جامع البيان (١٠/١٣٢)].

(٦٢٨) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٢/٤٤٧)].

ويصوم شهراً من السنة بغير مرض أو سفر»[٦٢٩].

أما قراءة حمزة **(ليواطُوا)** قرأها بحذف الهمزة وضم ما قبلها، فأصلها **(ليواطِيوا)** بكسر الطاء وضم الياء الصريحة، ولمّا أبدل الهمزة ياءً، استعمل الضمة محلها فحذفها، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء وضمت الطاء لتجانس الواو[٦٣٠]. فحَذْف الهمزة يدل على الخفة، فهم استخفوا بسنن الله وغيَّروا نظام الكون وكان لهم العقاب من الله.

أما قراءة الهمزة **(ليواطئوا)** ففيها ثِقَل في المعنى لثقل الهمز؛ وذلك يُوحي بثقل جُرْم هؤلاء الكفار، بسبب تلاعبهم بالسنن الإلهية وتغييرهم في أوقات العبادة، فكانوا يرتبون وقت الحج في زمنٍ يناسب ظروف تجارتهم، بدلاً من تقلبه تارة في الصيف وتارة في الشتاء، وكانوا يشنوا الغارات والحروب، أو يستمروا في القتال على وفق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم.[٦٣١]

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة التسهيل أفادت خفَّتهم واستهانتهم بالسُّنن الكونية وقراءة الهمز أفادت عِظَمَ وثِقَل جرمهم بهذه الاستهانة بالسنن الكونية والله أعلم.

١٠ ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(٦٢٩) المحرر الوجيز (٣/٣٣).

(٦٣٠) انظر [الدر المصون (٦/٤٨)].

(٦٣١) انظر [التفسير المنير (١٠/٢١٤)].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمر والكسائي من رواية الدوري من طريق جعفر ﴿ٱلۡغَارِ﴾ بإمالة الألف.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿ٱلۡغَارِ﴾ بدون إمالة(٦٣٢).

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب (**كلمةَ الله**) بنصب تاء التأنيث.

ب ـ وقرأ الباقون (**كلمةُ الله**) برفع تاء التأنيث.(٦٣٣)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(الغار) يغور غوراً، أي أتى الغَوْر، والغار هو الكهف والجمع أغوار(٦٣٤). وأيضاً هو المنخفض من الأرض، الغار الذي أوى إليه الرسول ﷺ ومعه أبو بكر في جبل ثور، وهو مطل على مكة(٦٣٥)، والغار هو الثقب في التراب أو الصخر(٦٣٦).

(**الكلمة**) **كلم**: القرآن: كلام الله وكلمُ الله، وكلماتُه وكلمتِه، والكلمة هنا كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله والكلمة لغة تميميّة والكلمة لفظة حجازية وجمعها كلِّم تُذكر وتؤنث، وكلمة ربك تعني: أمر الله(٦٣٧). وكلمة: مفرد كلام وهو القول أو ما كان مكتفياً بنفسه، يقال كلّمه تكليماً وكلاماً(٦٣٨) أصلها اللفظة من الكلام ثم أطلقت على الأمر والشأن(٦٣٩). وهنا في الآية كلمة الله قيل: لا إله إلا الله، وقيل: وعد النصر(٦٤٠).

(٦٣٢) انظر [النشر (٢/٤٢ ـ ٤٣)، (٢/٢١٠)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٢)].
(٦٣٣) انظر [النشر (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص١٦٧].
(٦٣٤) انظر [لسان العرب (٥/٣٥) مادة غور، المنجد ص٥٢٩ مادة غار].
(٦٣٥) انظر [المصباح المنير ص ٢٧١ ـ كتاب الغين مادة غور].
(٦٣٦) انظر [التحرير والتنوير (١٠/٢٠٣)، فتح القدير (٢/٤٥٤)].
(٦٣٧) انظر [لسان العرب (١٢/٥٢٢ ـ ٥٢٥) مادة كلم].
(٦٣٨) انظر [القاموس المحيط ص١٤٩١].
(٦٣٩) انظر [التحرير والتنوير (١٠/٢٠٥)].
(٦٤٠) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٤/٤٨٥)].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية تضمَّنت حادث الهجرة من مكة إلى المدينة الذي كان نقطة تحوُّلٍ في سبيل الدعوة الإسلامية حيث أظهر الله الإسلام على الكفر.

فقال الله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي إن لم تنصروا الرسول الذي استنصركم في سبيل الله على من أرادوا قتاله من أعداء الله، فإنَّ الله ناصره ومؤيده وحافظه كما تولى نصره في الوقت الذي اضطره المشركون إلى الهجرة، حين كان ثاني اثنين في الغار، وكان صاحبه قد ساوره الحزن فقال له: لا تحزن إنَّ الله معنا ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ أي تأييده ونصره للرسول ﷺ وقوّاه بجنود من عنده، يسترونه هو وصاحبه عن أعين الكفار. وجعل كلمة الشرك هي السُّفلى، وكلمة الله هي العليا بظهور نور الإسلام وإزالة سيادة المشركين في الجزيرة العربية ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي والله غالب على أمره، عزيز في انتقامه وانتصاره، حكيم في أقواله وأفعاله[٦٤١].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

من قرأ (الغَار) بالفتح وبدون إمالة فإنه راعى الأصل[٦٤٢]، ومن أمال لأسباب: أنَّ الإمالة لأجل كسرة تعرض في أحوال الكلمة (الغَار) ومنها الفعل (غار) فالفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث فنقول غِرت[٦٤٣]. وقراءة الإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق فناسبت خطاب الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق

(٦٤١) انظر [تفسير القرآن العظيم (٣٥٨/٢، ٣٥٩)، في رحاب التفسير (١٥٥٨/١٠ ـ ١٥٥٩)].

(٦٤٢) انظر [النشر (٢٨/٢)].

(٦٤٣) انظر [المرجع السابق (٢٦/٢ ـ ٢٧)].

الذي يحمل طابع اللين والرقة، أما من ترك الإمالة ففي موضع التهديد والإنذار[٦٤٤] وهذا يتناسب مع الإنذار في بداية الآية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أسلوب القرآن العظيم في جمعه بين خطاب اللين والرقة وبين خطاب الإنذار والتهديد والله أعلم.

القراءة الثانية:

جمهور القراء قرأ **(وكلمةُ الله)** على رفع كلمة على أنها مبتدأ والخبر **(هي العليا)** ويجوز أن تكون هي مبتدأ ثانياً والعليا خبرها، والجملة خبر الأول. ويجوز أن تكون هي فصلاً والعليا الخبر[٦٤٥]. والاستئناف يفيد أنَّ كلمة الله هي العليا على كل حال[٦٤٦] لأن الرفع أثبت في الإخبار[٦٤٧].

وخالف يعقوب الجمهور فقرأ ﴿وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ بنصب التاء، توجيه ذلك:

أ ـ إما أنَّها معطوفة على ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وجملة ﴿هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ في محل نصب مفعول ثان.

ب ـ أو على تقدير محذوف **(وجعل)** فيكون التقدير وجعل كلمة الله هي العليا، وتكون هي العليا المفعول الثاني لجعل[٦٤٨].

---

(٦٤٤) راجع ص٨٢.

(٦٤٥) انظر [الفريد في إعراب القرآن المجيد (٢/٤٧١)، الدر المصون (٦/٥٢)].

(٦٤٦) انظر [مجمع البيان (١٠/٦٣)].

(٦٤٧) انظر [البحر المحيط (٥/٤٤)].

(٦٤٨) انظر [معاني القراءات ص٢٠٨، المستنير في توجيه القراءات (١/٢٢٥)].

الجمع بين القراءتين:

١ ـ قراءة النصب أفادت أنَّ الله جعل كلمته عليّةً ظاهرة، ثم عاد فقرَّر أنَّ علوَّ كلمته سبحانه قديم لم يطرأ بعد أن لم يكن، فالمسألة مسألة إبداء وليست مسألة ابتداء، فكلمة الله عالية أصلاً، ولكنَّ بعض الناس ظن خلاف ذلك، فأظهر الله سبحانه إرادته حين نصر النبي ﷺ على المشركين يوم الغار.

٢ ـ أنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبر ـ وذلك من خلال قراءة يعقوب المتواترة على تقدير وجعل ـ أن جعل الشيء لا يعني حدوثه وهذا دليل ضد المعتزلة الذين قالوا: بأنَّ القرآن مخلوق؛ حيث قالوا كل مجعول فهو مخلوق، مستدلين بقوله تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣].

وقوله: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

فأوهموا باستدلالهم حدوث القرآن على أساس أنه مجعول.

فبم تردُّ المعتزلة على هذه القراءة المتواترة؟

فهل كانت كلمة الله هي العليا يوم الهجرة؟ ولم تكن غير ذلك من قبل؟ وهل طرأ عليها العلو بعد أن لم يكن؟[(٦٤٩)]

١١ ـ ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَسِقِينَ ۝٥٣﴾ [التَّوبة: ٥٣].

---

(٦٤٩) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني: د. محمد حبشي ص١٥٠. نقل عن ما حرره القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي في كتابه طبقات المعتزلة ص ١٥٧٠ ـ بتحقيق السيد فؤاد السيد ـ ط دار التونسية للنشر ـ ولكنني بحثت عن هذا الكتاب فلم أجده].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (كُرْهاً) بضم الكاف.

٢ ـ وقرأ الباقون (كَرْهاً) بفتح الكاف[٦٥٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(كَرِه ـ كَرها، كُرها) ضد أحب. والكَره، والكُره مصدران بمعنى: الإباء والمشقة أو ما أُكره الإنسان عليه، وقال الفرَّاء[٦٥١]: «هو بالضم ما أكرهت نفسك عليه، وبالفتح ما أكرهك غيرك عليه»[٦٥٢]. قد أتى ابن منظور بأقوال ودلائل تدل على حُجَّة ما ذهب إليه الفرَّاء. وقيل بالفتح المشقة وبالضم القهر وقيل العكس[٦٥٣]، وقال أبو عبيدة: «مفتوح ومضموم سواء»[٦٥٤].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿قُلْ أَنفِقُواْ﴾ أموالكم في سبيل الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ مصدران وقعا موقع الفاعل أي طائعين أو كارهين، وهو أمرٌ في معنى الخبر والمعنى أنفقتم طوعاً أو كرهاً ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ أي لن يتقبل الله منكم شيئاً؛ لأنكم فاسقون خارجون عن حدود الله؛ لأن هؤلاء المنافقين خلت أعمالهم من الصواب والإخلاص، فكانت كرماد اشتدت به الرّيح في يوم عاصف[٦٥٥].

---

(٦٥٠) انظر [النشر (٢/١٨٧)، (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص ١٦٨].

(٦٥١) سبقت ترجمة ص٥٧.

(٦٥٢) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٤١)].

(٦٥٣) انظر [لسان العرب (١٣/٥٣٤) مادة كره، منجد الطلاب ص٦٤٠ مادة كره].

(٦٥٤) مجاز القرآن (١/٢٦٢).

(٦٥٥) انظر [إرشاد العقل السليم: (٣/٤٠٠ ـ ٤٠١)، في رحاب التَّفسير (١٠/١٥٧٠ - ١٥٧١)].

وهذه الآية وإن كانت خاصة في إنفاق المنافقين فهي عامّة في حق كل من أنفق ماله رياء وسمعة(٦٥٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (كُرهاً) بضم الكاف من المشقة.

وقرأ الباقون (كَرهاً) بالفتح من الإكراه، وقيل هما لغتان، وقيل بالضم المشقة، وبالفتح ما أكرهت عليه(٦٥٧).

وهو أمرٌ في اللفظ وليس بأمر في المعنى؛ لأنَّه أخبرهم أنّه لن يتقبل منهم، وهو في الكلام بمنزلة (إن) في الجزاء، كأنك قلت: إن أنفقت طوعاً أو كرهاً فليس بمقبول منك، ومثله ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التّوبة: ٨٠] ليس بأمر، إنما هو على تأويل الجزاء(٦٥٨)، فمعناه الخبر فقط فلم يأمره بالاستغفار، ولكن أعلمه أنَّه إن استغفر أو لم يستغفر فلن يغفر الله لهم فإن قال قائل: كيف يكون الأمر في معنى الخبر؟ فقل له: إذا كان في الكلام دليلٌ عليه جاز(٦٥٩).

واعلم أنَّ الخبر والأمر يتقاربان، فيحسن إقامة كلٍّ واحد منهما مقام الآخر(٦٦٠)، فإن كان الكُره بضم الكاف بمعنى المشقّة أو ما أكرهت نفسك عليه يكون المعنى: إن أنفقتم طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو مكرهين من قبل الله ورسوله، وسمّي الإلزام إكراهاً لهم؛ لأنَّهم منافقون، فكان إلزام الله إيّاهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه.

---

(٦٥٦) انظر [تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن (١٠٦/٣) ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ ط ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م].

(٦٥٧) انظر [مفاتيح الغيب (٧١/١٥)].

(٦٥٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٤١/١)، جامع البيان (١٥٢/١٠)].

(٦٥٩) انظر [معاني القرآن: الزّجاج (٤٥٣/٢)].

(٦٦٠) انظر [مفاتيح الغيب (٧١/١٥)].

وأما بقراءة الفتح كَرها من الكَره أي ما أُكره عليه صاحبه، وأُجبر عليه إجباراً فيكون التقدير: إن أنفقتم طائعين من غير إكراه من رؤسائكم؛ لأن رؤساء أهل النّفاق، كانوا يحملون الأتباع على الإنفاق، لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم(٦٦١).

وأيضاً قراءة الفتح (الكَره) فهو أشد الإلزام أي أُجبر عليه إجباراً، والأمر في أنفقوا للتسوية دلّت عليه ﴿أَوْ﴾ في قوله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾(٦٦٢).

وقال قوم: (الكَره المصدر تقول كَرهته كَرها مثل شربته شَرباً، والكُره اسم ذلك الشيء)(٦٦٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ الفهم يزيد عمقاً للآية فيكون المعنى: قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً، سواء أنتم كرهتم ذلك؛ لأنَّه إلزام من الله ورسوله، أو استكرهتم عليه؛ لأن أحداً أمركم بذلك، فشقَّ عليكم ذلك، فلن يُتقبَّل منكم على جميع الأحوال ومما يدل على هذا المعنى أن ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ لا يدل على أنَّهم ينفقون طائعين بل غايته أنَّه ردَّد حالهم بين الأمرين وكون الترديد ينافي القطع محل نظر، كما تقول: إن أحسنت أو أسأت لا أزورك، مع أنَّه لا يحسن مطلقاً، ويكون التّرديد لتوسّع الدائرة(٦٦٤).

١٢ ـ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التّوبة: ٥٤].

أولاً: القراءات:

---

(٦٦١) انظر [مفاتيح الغيب (٧١/١٥)].

(٦٦٢) انظر [التحرير والتنوير (٢٢٦/٢)].

(٦٦٣) انظر [الحجّة: ابن زنجلة ص١٩٥ ـ ١٩٦].

(٦٦٤) انظر [روح المعاني (٣٠٨/١٠)].

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف **(أن يُقبَلَ)** بالياء على التذكير.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أن تُقبلَ﴾ بالتاء على التأنيث(٦٦٥).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

قبل: قبولا وقبلت العقد أقبله من باب تَعبَ، وقبولاً بالفتح والضم، وقبلت القول: صدّقته، وقبلت الهديّة: أخذتها، وقبل الله دعاءنا وعبادتنا تقبّله(٦٦٦).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بعد أن بيَّن الله تعالى عاقبة المنافقين في الآيات السابقة لهذه الآية ... وهي العذاب في الدنيا والآخرة، قُفّي على ذلك ببيان: أنَّ نفقاتهم على الجهاد طوعاً أو كرهاً لا ينتفعون بها في الآخرة، وذلك لأنَّهم إنما يفعلونه رئاء الناس وخوفاً على أنفسهم من الفضيحة إذا هم تركوها. فالصلاة يقيمونها لا إيماناً بوجوبها ولا احتساباً لأجرها، إنما مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين، والأموال لا ينفقونها في مصالح الجهاد وغيره؛ إلا وهم كارهون لذلك من غير طيبة نفس، ولذلك لا يتقبل الله منهم لا نفقة ولا عملاً؛ لأنَّه إنما يتقبل من المؤمنين المتقين(٦٦٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف **(أن يُقبل منهم نفقاتهم)** على التذكير، وعلى البناء للمفعول، وجاز هنا التذكير(٦٦٨)، لأن (نفقات) مؤنّث غير حقيقي، ولأنَّه قد فرَّق بينهما وبين الفعل بـ(منهم)، ولأن النفقات أموال،

---

(٦٦٥) انظر [النشر (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص ١٦٨، إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: علي محمد الضباع ـ ص٢٥٩ ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م].

(٦٦٦) انظر [لسان العرب (١١/٥٣٦) مادة قبل، القاموس المحيط ص١٣٥١ مادة قبل].

(٦٦٧) انظر [جامع البيان (١٠/١٥٢)، التَّفسير المنير (١٠/٢٥٠)، في رحاب التَّفسير (١٠/١٥٧١)].

(٦٦٨) انظر [شرح قطر الندى ص ١٨٢ ـ ١٨٣].

فكأنَّه قال: أن يقبل منهم أموالهم، النفقات في معنى الإنفاق، فالكلام محمولٌ على المعنى وهو المصدر فذُكِّرَ. كما قال تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [هود: ٦٧].

أما قراءة الباقين بالتاء **(أن تُقبل)** والتاء والياء على البناء للمفعول، جاءت قراءة التاء على الأصل؛ لأن الفعل أُسند إلى فاعل مؤنّث، حيث إنَّ النفقات مؤنّثة في اللفظ فأُنث الفعل ليعلم أن المسند إليه مؤنّث(٦٦٩).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ الفعل قد أُنث مراعاةً لتأنيث اللفظ الواقع نائب فاعل، والفعل قد ذُكر مراعاة لمعنى اللفظ الذي أسند إليه هذا الفعل، فكلمة **(نفقاتهم)** في هذا السياق ضمنت معنى النفقات والإنفاق، وهذا المعنى لا نأخذه إلا من قراءة تذكير الفعل(٦٧٠).

١٣ ـ ﴿لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التّوبة: ٥٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب **(أو مَدْخَلاً)** بفتح الميم وإسكان الدال مخففة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿أو مُدَّخلاً﴾ بضم الميم وفتح الدال مشدّدة(٦٧١).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

مَدخَلاً: اسم مكان من الفعل الثّلاثي دخل يدخل مَدخلا، والمَدْخل

---

(٦٦٩) انظر [الفريد في إعراب القرآن (٢/٤٨٠)، الحجّة: ابن زنجلة ص٣١٩، معاني القراءات ص٢٠٩].

(٦٧٠) انظر [التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص٢٦٣].

(٦٧١) انظر [النشر (٢/٢١٠)].

أي: الدَّخول وموضع الدَّخول أيضا ودخل نقيض خرج(٦٧٢).

مُدَّخلاً: من أدخل المزيد، والمُدْخل بضم الميم، الإدخال والمفعول من أدخله، تقول أدخلته مُدخل صِدْق.

ومُدَّخلا أصله مُدْتخِلٌ، ولكن التاء تُبدل بعد الدال؛ لأن التاء مهموسة والدَّال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخف، والمُدّخل شِبْه الغار يُدخل فيه، وهو مفتعل من الدَّخول أو سِرباً في الأرض، وهو مكان يُدخلون فيه أنفسهم أو يُدخلهم الخوف فيه(٦٧٣).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ﴾ هؤلاء المنافقون ﴿مَلْجَئًا﴾ أي مكان يُتحصَّن فيه ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ وهي: جمع مغارة وهو: الموضع الذي يغور فيه الإنسان، ويستتر فيه ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أي: قوماً، يدخلون في جملتهم(٦٧٤) أو سرباً في الأرض، يدخلون فيه، والمعنى: لو وجدوا هذه الأشياء ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي لانصرفوا إليه مسرعين، لا يَرُدُّ وجوههم شي هرباً من الرَّسول ﷺ وأصحابه، فكانت صحبة المنافقين للرسول ﷺ والصحابة، صحبة اضطرار لا اختيار.

وهذا الوصف الدقيق، الذي يصفه الله بما في ضمائرهم، إنما وصفه؛ ليظهر مدى البغض والحقد الذي يكنُّه المنافقون لرسول الله ﷺ وأهل الإيمان به، والعداوة لهم(٦٧٥).

---

(٦٧٢) انظر [معاني القرآن: الزّجّاج (٢/٤٥٥)، القاموس المحيط ص١٢٩٠ مادة دخل].

(٦٧٣) انظر [لسان العرب (١/٢٤٠) مادة دخل، جامع البيان (١٠/٨٠)، روح المعاني (١٠/٣٠٩)].

(٦٧٤) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٢/٤٥٤ ـ ٤٥٥)].

(٦٧٥) انظر [جامع البيان (١٠/١٥٤)، القاموس المحيط (٥/٥٤)، تفسير القرآن الكريم المسمّى السِّراج المنير الخطيب الشربيني (١/٦٢٢) ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الحضرميُّ يعقوب وحده (**أو مَدْخلا**) بفتح الميم وسكون الدال، ومَدْخلاً: هو موضع الدخول فهو مكانٌ يدخلونه بغاية العسر والصعوبة؛ لضيقه أو لمانع في طريقه، فهم يُدخلون أنفسهم فيه، أو يُدْخلهم الخوف فيه، والمعنى: لو وجدوا هذا المكان لهربوا إليه.

أما الباقون فقرأوا (**مُدَّخَلاً**) بضم الميم وتشديد الدال وكان في الأصل كما ذكرنا في المعنى اللُّغوي (**مُدْتخلا**) فأدغمت التاء في الدال، وجعلتا دالاً مشددة، وهو مفتعل، من الدخول يقال: إدّخل، يَدّخل، ادّخالا، ومُدّخلا، وهذا مُدّخل القوم.

والمعنى لو يجدون قوماً يدخلون في جملتهم؛ لاشتدّوا في التّوجه إليهم متولّين مرتدّين عنكم على أعقابهم. أي: لو يجدون قوماً يمنعونهم منكم لهربوا إليه(٦٧٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ كلَّ قراءة منهما أفادت معنىً جديداً في تفسير الآية: فمعنى الآية أنَّ المنافقين يتظاهرون بالإيمان؛ لأنَّهم لا يجدون ما يحميهم من المؤمنين من ملجأ يلجئون إليه، أو حصن، أو جبل؛ هرباً من المؤمنين. وهذا ما أفادته قراءة التخفيف (مَدخلا) أو قوماً يمنعونهم من أذى المؤمنين، ويحمونهم منهم، وهذا ما أرشدت إليه قراءة التشديد (مُدّخلا)، وأفادت أيضاً أن المدّخل مهما كان ضيقاً عسير الدخول رغم ذلك لو وجدوه لهربوا إليه دون تردد، وهو يعبِّر عن حالة الاحتقان في قلوبهم والله أعلم.

١٤ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟

---

(٦٧٦) انظر [معاني القراءات ص٢٠٩، زاد المسير (٢/٢٦٨)، تفسير البيضاوي (١٠/٢٧٣)، نظم الدرر (٣/٣٣٥)].

﴿مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التّوبة: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب **(يلمُزُك)** بضم الميم.

٢ ـ وقرأ الباقون (يلمِزُك) بكسر الميم(٦٧٧)

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

لمزَ: منه اللَّمز كالغمز في الوجه، تلمزه بفيك بكلام خفي، قال الزجّاج(٦٧٨): «اللُّمَزَ: الكثير العيب للنّاس».

اللَّمزُ: العيب في الوجه، وأصله: الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، وقيل: هو الاغتياب، وقيل: هو العيب والوقوع في النّاس(٦٧٩).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ومن الذين نافقوا، الذين وصفت لك يا محمد، صفتهم في الآيات السابقة ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ أي: من يعيبك في الصدقات ويطعن عليك في قسمتها، يقولون: لم يقسم بيننا بالسوية. ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟﴾ أي من الصدقات حظّاً وافراً ﴿رَضُوا۟﴾ بالقسمة ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ أي إن لم تعطهم من الصدقات حظاً وافراً، سخطوا عليك، وعابوك، فهم يقيسون العدل في القِسمة على حَسْب ما ينالهم منها(٦٨٠).

---

(٦٧٧) انظر [النشر (٢/٢١٠)، البدور الزاهرة ص ١٦٨].

(٦٧٨) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٢/٤٥٦)].

(٦٧٩) انظر [لسان العرب (٥/٤٠٦ ـ ٤٠٧) مادة لمز].

(٦٨٠) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (١/٤٤٣)، جامع البيان (١٠/١٥٥ ـ ١٥٦)، تفسير القرآن الكريم: د. عبد الله شحاتة (١٠/١٨٩٢ ـ ١٨٩٣) ـ دار غريب ـ القاهرة].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب (**يلمُزك**) بضم الميم، وقرأ الباقون ﴿**يلمِزك**﴾ بكسر الميم، وهما لغتان (**يلمُز، ويلمِز**) مثل **يعكُف، يعكِف**، لمزَهُ، يلمِزه، ويلمُزه، إذا عابه[٦٨١].

والحجَّة لذلك: أنَّ كلَّ فعل انفتحت عين ماضيه، جاز كسرها وضمها في المضارع قياساً؛ إلا أن يمنع السماع من ذلك[٦٨٢].

ولثقل الضم يمكننا أن نستشعر ثقل اللمز الذي كان من قبل المنافقين، فهم بالرغم من أنَّه لا أحد يشك في خُلق الرَّسول ﷺ مؤمن بهذا الدين وهو المعروف حتى قبل الرسالة بالصادق الأمين؛ إلا أنَّهم طعنوا في عدل الرَّسول ﷺ ففي رواية[٦٨٣] أنَّه أتى رجل رسول الله ﷺ بالجِعْرَانة[٦٨٤] مَنْصَرَفَهُ من حنين وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبضُ منها يُعطي الناس فقال: يا محمد، اعدل، قال: (ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟! لقد خبتُ وخسرتُ، إن لم أكن أعدل)، فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله، أقتل هذا المنافق، فقال: (معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إنَّ هذا وأصحابه يقرءون القرآن لا يجاوزُ حناجرَهم، يمرقون كما يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّة)»[٦٨٥].

---

(٦٨١) انظر [معاني القراءات ص٥٨، معالم التنزيل (٢/٢٥٥)].

(٦٨٢) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٨٩].

(٦٨٣) رواها جابر بن عبد الله عن سعيد بن أبي الزبير في صحيح مسلم بشرح النَّووي (١٥٩/٧) ـ كتاب الزكاة ـ باب إعطاء المؤلفة ومن يخاف على إيمانه.

(٦٨٤) موضع قريب من مكة، وهي في الحل وميقات للإحرام والجعرانة بكسر أوله إجماعاً هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب نزلها الرَّسول ﷺ واعتمر منها انظر [معجم البلدان (١٦٥/٢ ـ ١٦٦)، النِّهاية في غريب الحديث ص١٥٥].

(٦٨٥) يمرقون . . . أي يجوِّزونه ويخرقونه ويتعدونه، كما يخرق السهم الشيء المرمى به، ويخرج منه انظر [النِّهاية في غريب الحديث ص٨٦٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أفادت قراءة الضم بكثرة اللمز عند المنافقين، وقراءة الكسر أفادت بخفة عقول هؤلاء الذين يلمزون ودناءتهم، فكان وصفاً شاملاً لهم والله أعلم.

١٥ ـ ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ نافع (أُذْنُ) في الأولى والثانية بإسكان الذال.

ب ـ وقرأ الباقون (أُذُنُ) بضم الذال(٦٨٦).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة (ورحمةٍ) بالخفض.

ب ـ وقرأ الباقون (ورحمةٌ) بالرفع(٦٨٧).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(أذِنَ بالشّيء) إذنا وأَذَناً وأَذَانَةً: علم، وأذن وصف مبني على فعل من أذن يأذن إذناً، والأُذْن والأذُن يُخفّف ويُثقّل: من الحواس.

وأذُن خير: أي مستمع خير، ورجل أذُن، وأذْن، أي مستمع لما يقال له(٦٨٨).

(رحمة) مِن رحم وهي الرَّقة والتَّعطف، والمرحمة مثله، وتراحم

(٦٨٦) انظر [النشر (١٦٢/٢)].

(٦٨٧) انظر [المرجع السابق (٢١٠/٢)].

(٦٨٨) انظر [لسان العرب (٩/١٣ ـ ١١) مادة أذن، البحر المحيط (٦٢/٥)].

القوم: رحم بعضهم بعضاً، والرَّحمة المغفرة، ورحمة للذين آمنوا أي هو رحمة؛ لأنَّه كان سبب إيمانهم[689].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بيّن الله تعالى أنّ من المنافقين من كان يبسط لسانه بالطّعن والشّتم في أذيَّة النَّبي ﷺ ويقول: إن عاتبني، حلفتُ له بأنّي ما قلتُ هذا، فيقبله فأنَّه أُذُنٌ سامعة ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، أي يسمع منكم ويصدقكم بالخير لا بالكذب، ويقال ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ إن كان أذناً فهو خيرٌ لكم، ثم بيَّن سبحانه المراد من أُذن الخير بقوله ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ يصدق قول الله الذي يُنزَّل عليه ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ويصدق قول المؤمنين المخلصين، وهو رحمة للذين آمنوا منكم؛ لأنَّ الله استنقذكم به من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي الذين يؤذون الرَّسول بالقول أو بالفعل فجزاؤهم العذاب الشديد الإيلام في الدنيا والآخرة[690].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ نافع (أُذْنُ) بسكون الذال: أي وقع على التخفيف وذلك لاجتماع ضمتين لازمتين كـ (طُنُب، وطُنْب، وعُنُق، وعُنْق) فاستثقل ثلاث ضمات فسكن. والإسكان هو الأصل وهو لغة تميم وأسد.

وقرأ الباقون ﴿أُذُن) بالضم على الأصل، وحسن ذلك لقلة حروف الكلمة، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين. والقراءتان عبارة عن لغتين من لغات العرب[691]. و(أُذْنُ) على وزن فُعُل

---

(٦٨٩) انظر [لسان العرب (٢٣٠/١٢) مادة رحم].

(٦٩٠) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (٤٤٤/١)، جامع البيان (١٦٨/١٠ ـ ١٦٩)، زاد المسير (٢٧٣/٢)].

(٦٩١) انظر [الكشف (٥٠٣/١ ـ ٥٠٤)، حجّة القراءات: ابن زنجلة ص٣١٩، المستنير (٢٢٩/١)، القراءات وأثرها في علوم العربية (١٨١/١)].

وهو وصف يفيد مبالغة اسم المفعول[٦٩٢].

فيكون هذا الوصف للرسول ﷺ اتهام ثقيل على نفسه ﷺ، وأيضاً يمثل شدة الحقد في نفوس المنافقين للرسول، فجاء بثلاثة أوصاف للرسول ﷺ توجب كونه أُذُنَ خير، ثم بيَّن بعد ذلك أنَّ كل من آذاه استوجب العذاب الأليم؛ لأن هذا الاتهام اتهام باطل وطعن فاسد وبه إيذاء ثقيل للنبي ﷺ.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة **(ورحمةٍ)** والحجَّة في ذلك أنَّه عطفها على **(خيرٍ)** فتصبح جملة **(يُؤمن)** اعتراضاً على المتعاطفين وتكون (يؤمن) صفة لـ(أذن خير)، ويكون المعنى: أي هو أذن خير وأذن رحمة للمؤمنين؛ لأنَّ الخير هو الرحمة، والرحمة هي الخير، وجاز أن يُخبر عن الخير والرحمة بالاستماع، وإن كانا لا تُستمعان، لأنّ المعنى مفهوم أنَّ المراد به المخبر عنه، وهو النَّبي ﷺ أي هو مستمع خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله، وهذه القراءة فيها تخصيص للخير، فخُصِّصت الرحمة بالذكر من بين ضروب الخير لغلبة ذلك في وصف الرَّسول ﷺ وكثرته.

وقرأ الباقون (ورحمةٌ) بالضم والحجَّة في ذلك أنَّه عطفها على أُذُن، أي هو أذن خير لكم ورحمة، أي هو رحمة، بطريق إطلاق المصدر على الفاعل، وذلك للمبالغة، أي هو مستمع خير وهو رحمة فجعل النَّبي هو الرحمة لكثرة وقوعها به، وعلى يديه؛ ولأنَّه كان سبب إيمان المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال أيضاً ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التَّوبة: ١٢٨].

ويجوز أن يكون الرفع على إضمار مضاف محذوف تقديره (قل هو أذن خير لكم، وهو ذو رحمة) أو يكون خبر ابتداء أي **(وهو رحمة)** لأنَّه كان سبب المؤمنين في إيمانهم، فهو رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدّق

(٦٩٢) انظر [معاني الأبنية ص٦٨].

بما جاء به من عند الله، وهو رحمة أيضاً للمنافقين، يسمع ما يبلغه عنكم ولا يؤاخذكم ويسمع معاذيركم ويقبلها منكم، فقبوله ما يسمعه فينفعكم ولا يضركم، فهذا أُذن في الخير وأيضاً رحمة(٦٩٣).

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة (**رحمةٍ**) بالخفض؛ لأنَّها معطوفة على خير أفادت أنَّ من صفات النَّبي ﷺ: أنَّه مستمع خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله، أما قراءة الضم (**ورحمةٌ**) لأنَّها معطوفة على أذن أفادت معنى آخر، وهو أنَّ النَّبي ﷺ هو الرحمة بعينها، فأطلق المصدر على الفاعل وهذا يفيد المبالغة في أنَّ الرَّسول ﷺ هو رحمة للعالمين جميعاً. فكل قراءة أعطت مفهوماً جديداً للآية. والله أعلم.

١٦ ـ ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [التَّوبة: ٦٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب (**أن تُنْزَلَ**) بإسكان النون وتخفيف الزاي.

ب ـ وقرأ الباقون (**أن تُنَزَّلَ**) بفتح النون وتشديد الزاي(٦٩٤).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة، ويعقوب (**عليهُم**) بضم الهاء.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿عليهِم﴾ بكسر الهاء(٦٩٥).

---

(٦٩٣) انظر [جامع البيان (١٦٩/١٠)، الحجَّة: ابن زنجلة (٣١٩ ـ ٣٢٠)، الحجَّة: لأبي فارس (٢٠٤/٤)، الكشف (٥٠٣/١ ـ ٥٠٤)، الفريد (٤٨٣/٢ ـ ٤٨٤)، البحر المحيط (٦٣/٥)، إرشاد العقل السليم (٤٠٤/٣)، التحرير والتنوير (٢٤٣/١٠)].

(٦٩٤) انظر [غيث النفع في القراءات السبع ص١٢٨، البدور الزاهرة ص١٦٩].

(٦٩٥) انظر [المراجع السابقة بنفس الصفحات].

٣ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر **(قل استهزُوا)** بحذف الهمزة وضم ما قبلها من أجل الواو.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿قل استهزءوا﴾ بالهمز وكسر ما قبلها[٦٩٦].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(نزل) سبق تعريفه[٦٩٧].

(هَزَأَ هُزْءاً، وهُزُؤاً، ومَهْزَأَةً) أي سخر كَتَهزأ، واسْتَهْزَأَ[٦٩٨].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ أي إن المنافقين كانوا يحذرون نزول القرآن فيهم، ومعنى ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على المؤمنين في شأن المنافقين تفضح أسرارهم، وتكشف أحوالهم، وتبين بما في قلوبهم من نفاق، ثم أمر الله رسوله بأن يجيب عليهم، فقال: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ وهو أمر تهديد: أي: قل استهزءوا بمحمد ﷺ والقرآن، إنَّ الله مخرجٌ ما تحذرون من ظهوره، فيطَّلع عليه المؤمنون، وذلك إما بإنزال سورة، أو بإخبار رسوله ﷺ بذلك أو نحو ذلك[٦٩٩].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب **(أن تُنْزَلَ)** بإسكان النُّون والتخفيف والحجَّة لمن خفف أنَّه أخذه من الفعل أنزل يُنزل، نفهم منه أن المنافقين يحذرون أن يُنزِّل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليهم أو على المؤمنين، فالضَّمير

---

(٦٩٦) انظر [النشر (٣٠٨/١)].

(٦٩٧) راجع ص٢٨.

(٦٩٨) انظر [القاموس المحيط ص٧٢ مادة هزأ].

(٦٩٩) انظر [فتح القدير (٤٧٢/٢)، تاج التفاسير لكلام الملك الكبير: محمد عثمان عبد الله المَرغني (١٨٨/١) ـ دار الفكر ـ ط٢].

في (عليهم) يعود على المنافقين أو على المؤمنين[٧٠٠] سورة واحدة، أو جملة واحدة، تفضح فيها نفوس المنافقين وكلامهم وأفعالهم.

وقرأ الباقون ﴿تُنَزَّلَ﴾ بالتشديد فحجته أنّه أخذه من (نزَّل، يُنزّل)، وذلك للمبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم، كأنما تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه، فتنبئهم بها، وتنعى عليهم قبائحهم[٧٠١]. والحجَّة أيضاً لمن شدَّد أنَّ في ذلك تكرار النزول ومداومته شيئاً بعد شيء. فيكون المعنى أنَّهم - أي المنافقين - يحذرون أن ينزل الله سبحانه وتعالى سورة على مراحل أو أكثر من سورة تنبئ بما في قلوب المنافقين من الكفر والنّفاق وبما في ضمائرهم. والتّشديد والتّخفيف لغتان[٧٠٢].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أنَّ قراءة التخفيف أفادت أنَّ المنافقين يخافون أن ينزَّل على المؤمنين قرآنٌ يفضحهم، وقراءة التشديد لأنَّ التشديد فيه زيادة في المبنى على قراءة التخفيف، فأيضاً فيها زيادة في المعنى كذلك، حيث إنَّ خوف المنافقين شديد من فضح القرآن لهم، سواءٌ بإنزال سورة أو أكثر أو يستمر النزول في فضحهم وهذا من بلاغة القرآن وإعجازه. والله أعلم.

القراءة الثانية:

أمّا قراءة (**عليهِم وعليهُم**) بكسر الهاء وضمّها فهي لغات كما ذكرنا في الآيات السابقة من سورة الأنفال[٧٠٣]، إلاَّ أنَّ قراءة الضم، تفيد أنَّ إنزال السورة ثقيل جداً على المنافقين، لما سيكون ما بداخل هذه السورة من فضائح لنوايا وخبايا المنافقين، أما قراءة الكسر فيوحي بانكسار نفوس المنافقين وشدةِ خوفهم عند إنزال السّورة التي تفضحهم. والله أعلم.

---

(٧٠٠) انظر [الكشاف (٢/٢٠٠)، مفاتيح الغيب (١٦/٩٦)].

(٧٠١) انظر [إرشاد العقل السليم (٣/٤٠٧)].

(٧٠٢) راجع ص٢٧ عند ذكرنا لقراءة يُنزل، ويُنزّل في آية ١١ من سورة الأنفال.

(٧٠٣) راجع ص٢١.

القراءة الثالثة:

أما قراءة أبي جعفر (**استهزُوا**) بدون همز والباقين بالهمز (**استهزءوا**) وهي لغة أهل الحجاز[٧٠٤]، والقراءة الأخرى جرت بإبدال الهمزة واواً[٧٠٥]، وقد ذكرنا نظيراً لهذا المثال عند ذكرنا الآية (٣٠) من سورة التَّوبة، وتكلمنا عن توجيه القراءات[٧٠٦].

ولأنّ الهمزة فيها ثِقَل، فقراءة الهمز توحي: بثقل التّهديد والوعيد من الله سبحانه وتعالى للمنافقين، فهو أمر ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ للتّهديد والوعيد كقوله ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ أي مبرز إلى حين الوجود ما تحذرونه من إنزال السورة أو مظهر ما كنتم تحذرونه من إظهار نفاقكم[٧٠٧]. قيل: كانوا سبعين رجلاً، أنزل الله أسماءهم وأسماء آبائهم في القرآن ثم رفع ذلك ونسخ رحمة ورأفة على خلقه؛ لأن أبناءهم كانوا مسلمين[٧٠٨].

وتوحي أيضاً: بِثِقل الاستهزاء الذي كان من المنافقين، فهم خاضوا بالله وآياته ورسوله فما أعظمه من جُرْم لهؤلاء المنافقين ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التّوبة: ٦٥].

أما قراءة الإبدال بدون همزة فهي توحي: بضعف المنافقين أمام جبروت الله، وقوته، وعظمته، فهم العبيد الضعفاء يتحدون مَنْ؟! رب العباد سبحانه! ويستهزئون بمن؟ برسول الله ﷺ! وبآيات الله! فحقٌ على الله، أن يعاقبهم بما فعلوا.

---

(٧٠٤) نسبة إلى الحجاز وهي مكة وما يتعلق بها إلى المدينة يقال لها الحجاز انظر [الأنساب (١٧٥/٢ ـ ١٧٦)].

(٧٠٥) انظر [حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص١٠١].

(٧٠٦) راجع ص١٥٥.

(٧٠٧) انظر [البحر المحيط (٦٦/٥)].

(٧٠٨) ذكر هذا الأثر أبو حيان في البحر المحيط (٦٦/٥) ولم يعزه إلى أحد. وعزاه القرطبي في تفسيره إلى ابن عباس انظر [الجامع لأحكام القرآن (٥٢٣/٤)].

١٧ ـ ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التَّوبة: ٦٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ عاصم ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ نعفُ: بنون مفتوحة، وضم الفاء، **نُعذِّب**: بالنون وكسر الذال، **وطائفةً الثانية** بالنصب.

٢ ـ وقرأ الباقون (إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّب طائفةٌ) **يُعفَ**: بياء مضمومة وفتح الفاء، **تُعذَّب**: بتاء مضمومة وفتح الذال، **وطائفةٌ الثانية** بالرفع(٧٠٩).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(نعف) من العفو، وعفو الله ـ جل وعز ـ عن خلقه: أي الصفح وترك عقوبة المُستحقّ، والعفو أيضاً هو الفضل والمعروف(٧١٠).

(طائفة) من الفعل طاف وطَوف، طَوَافاً، وطَوْفاً، وطوّف تطويفاً، وتَطْوافاً، والطائفة من الشيء جزء منه، أو القطعة منه، أو الواحد فصاعداً أو إلى الألف أو أقلُّها رجلان أو رجل فيكون بمعنى النّفس(٧١١).

(نعذِّبَ) من عذّب، يُعذّب تعذيباً، والعذاب النّكال(٧١٢).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم:

﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾ لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة الباطلة فتقولوا: ﴿إِنَّمَا

(٧٠٩) انظر [النشر (٢١٠/١)، البدور الزاهرة ص ١٦٩].

(٧١٠) انظر [القاموس المحيط ص١٦٩٣، مادة عفا].

(٧١١) انظر [لسان العرب (٢٢٦/٩) مادة طوف، القاموس المحيط ص١٠٧٧ ـ مادة طوف].

(٧١٢) انظر [القاموس المحيط ص ١٤٥ مادة عذب].

كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التَّوبة: ٦٥] فهي لا تنفعكم بعد ظهور سرِّكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ قد أظهرتم كفركم باستهزائكم وقولكم، ما قلتم في رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ إن نعف عن طائفة منكم، لتوبتهم وإخلاصهم ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ أي مصرين على الكفر، وطعنهم في رسول الله ﷺ فاكتسبوا الجرم بذلك(٧١٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ عاصم ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ الفعلان نعف، نعذب بنون العظمة وفتح النون الأولى (نَعفُ) لأن ماضيها ثلاثي، وضم النون الثانية (نُعذب) لأنَّها من فعل ماضيه رباعي؛ لأن الذال المشدد يقوم مقام حرفين، وقرأ (طائفةً) بالنصب.

وحجَّة من قرأ بالنون، أنَّه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه بنون الملكوت، فكان الفاعل في الفعل (الله) ﷻ، (وطائفةً) الثانية منصوبة؛ لوقوع الفعل عليها وهو (نُعذب)(٧١٤).

فيكون معنى الآية: إن نعفُ عن طائفةٍ منكم بالتوفيق للتوبة، نُعذِّب طائفة بترك التَّوبة.

وقرأ الباقون (إن يُعفَ عن طائفةٍ منكم تُعذَّب طائفةٌ) فقرأوا (يُعف) بياء مضمومة، والمعنى معنى تعف، فكان التذكير هنا للفعل؛ لأن المسند إليه ظرف، وقرأوا (تُعذَّب) بتاء تأنيث مضمومة، فلأن الفعل في اللفظ أُسند إلى مؤنَّث (طائفة)، وقرأوا (طائفةٌ) بالرفع على ما لم يُسمَّ فاعله (نائب فاعل)، وتكون عن (طائفةٍ) الأولى في موضع نصب مفعول، لأن (عفا) لا يتعدّى إلا بحرف جر(٧١٥).

---

(٧١٣) انظر [جامع البيان (١٠/١٧٣ ـ ١٧٤)، مدارك التنزيل (٢/٤٣٣)].

(٧١٤) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص ٣٢٠، الحجَّة: ابن خالويه ص٩٨، معاني القراءات ص٢١١].

(٧١٥) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص ٣٢٠، الحجَّة: ابن خالويه ص ٩٨، الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٠٦)، الكشف (١/٥٠٤)].

وهذه القراءة لم يصرِّح بها بالفاعل؛ لأنَّه لمَّا كان الحال مقتضياً لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم بيّن أنَّهم قسمان:

أحدهما: مطبوع على قلبه، ومقضي توبته وحبه، وهذا الأشرف هو المراد به بانياً للمفعول إعلاماً بأنَّ المقصود الأعظم هو الفعل لا بالنَّظر إلى فاعل معين[716].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين أنَّ بناءُ الفعل للفاعل أو المفعول، نوع من تلوين الأسلوب البياني في القرآن الكريم.

ففي القراءة الأولى: صرّح بالفاعل، وذلك تنبيها للأذهان على أنَّ الله وحده، هو القادر الذي بيده العفو والعذاب في الدنيا والآخرة.

وفي القراءة الثانية: ترك الفاعل ليس للجهل به، بل لأنَّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عرف لنا الفاعل أم لم يعرف، وإن كان الفعل والفاعل مهمان. والله أعلم.

١٨ ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التَّوبة: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ شعبة (أبو بكر) **(رُضوانٌ)** بضم الراء.

٢ ـ قرأ الباقون ﴿رِضوانٌ﴾ بكسر الراء[717].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(رضي) ورضيت بالشيء، رضا أي اخترته، وارتضيته مثله، ورضيت

---

(٧١٦) انظر [نظم الدّرر (٣/٣٤٣)].

(٧١٧) انظر [النشر (٢/١٧٩)، البدور الزاهرة ص١٦٩].

عنه، ورضيت عليه، **والرضوان**: مصدر من الرضا وهو خلاف السخط. **والرِّضوان**: بالكسر لغة أهل الحجاز، **والرُّضوان**: بالضم لغة قيس وتميم[(٧١٨)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هذا في مقابلة الوعيد السابق للمنافقين ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أراد بها البساتين التي يتناولها المناظر فهي لكل أحد منهم على اختلاف طبقاتهم ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ ومساكن يطيب بها العيش والإقامة دائمة فيها مع الهناء وصحة الجسم وطيب مقرٍّ وموطنٍ ومنبت، فهي أبهى أماكن الجنات ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ قال الزَّجّاج: «أكبر ممَّا هم فيه من النّعيم»[(٧١٩)]، أي قدرٌ يسير من رضوانه أكبر من ذلك كله وأعظم. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري[(٧٢٠)] عن النَّبي ﷺ قال: (يقول الله ﷻ لأهل الجنة: يا أهل الجنة، هل رضيتم؟ فيقولون: ربنَّا وما لنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقِكَ! فيقول: أفلا أُعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ قال: أُحِلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً)[(٧٢١)]، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الرضوان ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها[(٧٢٢)].

---

(٧١٨) انظر [المصباح المنير ص١٤٠].

(٧١٩) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦١/٢)].

(٧٢٠) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج من الصحابة وهو من ذرية الخزرج الأكبر فقيل له الخزرجي، وهو من الأنصار. أمه أنيسة بنت أبي حارثة من بني عدي النجار. اعتنق أبو سعيد الإسلام باكراً، فكان من الذين أسلموا قبل سن البوغ.
أستشهد أبوه مالك في معركة أحد، وشارك أبو سعيد معركة الخندق، وبيعة الرضوان. ويعتبر من رواة الحديث. لم يسمح له النبي بالقتال في غزوة أحد لصغر سنه. توفي سنة ٧٤هـ.

(٧٢١) انظر [البخاري رقم (٧٥١٨) في فتح الباري (٤٨٧/١٣)، ٩٧ كتاب التوحيد، ٣٧ باب كلام الرب مع أهل الجنة].

(٧٢٢) انظر [زاد المسير (٢٧٧/٢)، نظم الدرر (٣٥٩/٣)، تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (٥٩/٢) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ـ تحقيق: أحمد فريد].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ شعبة **(ورُضوان)** بضم الرَّاء، وقرأ الباقون **(ورِضوان)** بكسر الرَّاء. والحجَّة لمن كسر الرَّاء أنَّه مصدر، والأصل فيه، رضيت رضىً، ثم زيدت الألف والنون، فرُدّت الياء إلى أصلها، كما كان الأصل في كفران: كفراً.

والحجَّة لمن ضم الراء **(رُضوان)**:

١ ـ أنَّه فرّق بين الاسم والمصدر، فجعله اسم المصدر(٧٢٣).

٢ ـ إنَّ الضَّم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾ [الرحمن: ٥](٧٢٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ الجزاء أو الوعد الذي وعده الله للمؤمنين والمؤمنات لا يكمن في الرضا المعتاد؛ ولكنه يتجلى بالرضوان الأكبر، ولهذا كانت كلمة (رضوان) في اللغتين كلتيهما المصدر رِضوان، واسم المصدر رُضوان أشدّ تعبيراً عن الرضوان الأكبر من رضا، وذلك لأنَّ المعنى الذي يؤديه المصدر المجرد عن الزوائد (رضا) لا يغني بحال عن المعنى الذي يؤديه المصدر المزيد باللاحقة، والذي اختارته العرب لغة القرآن(٧٢٥)، فالرضوان أكبر مما ذكر من الجنات والمساكين، حيث إنَّه يضمن للمؤمن أن يظفر برؤية ربِّه، لذلك أظهر الله فيه اسم الجلالة فقال تعالى: رضوان من الله، ولم يقل: رضوان من ربهم، وذلك لِما في اسم الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرضوان(٧٢٦).

---

(٧٢٣) المصدر: هو الأصل الذي تؤخذ منه جميع المشتقات، ويدل على الحدث مجرداً عن الزمان، واسم المصدر ما دل على معنى المصدر، ولم يماثل حروفه عدداً ولا ضبطاً ولا زنة نحو (سلام ـ تسليم، رضوان ـ رُضوان) انظر [شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٣/٩٣ ـ ٩٩) ـ دار الاتحاد العربي ـ ط٥ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٨م، شذا العَرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ص٧٠ ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ مصر ـ ط١٦ ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي شذا العرف)].

(٧٢٤) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٥٠].

(٧٢٥) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص ٨١ ـ ٨٢].

(٧٢٦) انظر [التحرير والتنوير (٣/١٨٤)، تفسير الشعراوي (٣/١٣٢٧)].

فالرُّضوان: اسم مبالغة في معنى الرضا، وهو على نبرة امتلاء بما تعرب عنه الألف والنون، وتشعر ضمة رائه بظاهر إشباعه وكسرتها بباطن إحاطته(٧٢٧).

فإن قيل: لِمَ كان الرضوان أكبر من النعيم؟ ففيه جوابان:

أحدهما: أنَّ سرور القلب برضى الرب نعيم يختصُّ بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب.

الثاني: أنَّ الموجب للنعيم الرضوان، والموجَبُ ثمرة الموجِبِ، فهو الأصل(٧٢٨)، والله تعالى نصَّ على أنَّ الفوز بالرضوان أعلى وأعظم وأجل وأكبر، وذلك دليلٌ قاطعٌ على أنّ السّعادات الروحانية أكمل وأشرف من السعادات الجسمانية.

وأيضاً ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ إشارة إلى منازل المقربين الشاربين من تسنيم، والذين يرون كما يرى النَّجم في الأفق وجميع مَنْ في الجنَّة راض، والمنازل مختلفة وفضل الله متّسع(٧٢٩).

١٩ ـ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التّوبة: ٨٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ يعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة (**معي**- أبداً) بالإسكان (ياء الإضافة) مع المد.

ب ـ قرأ الباقون (معيَ أبداً) بفتح ياء الإضافة.

(٧٢٧) انظر [نظم الدرر (٣٨/٢)].

(٧٢٨) انظر [زاد المسير (٢٧٧/٢ ـ ٢٧٨)].

(٧٢٩) انظر [مفاتيح الغيب (١٠٦/١٦)].

٢ ـ أ ـ قرأ حفص (**معيَ عدوا**) بفتح ياء الإضافة.

ب ـ قرأ الباقون (**معيْ عدوا**) بإسكان ياء الإضافة[٧٣٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(مع) من الظروف التي لا تتصرف وتستعمل مضافة فتكون ظرفاً، ولها حينئذ ثلاثة معاني أحدهما: موضع الاجتماع[٧٣١].

(**الياء**) من الحروف اللَّينة، وذلك لأنَّ مخرجها، يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها[٧٣٢]. وياء الإضافة تسمَّى ياء المتكلم ويكسر ما قبلها ولا يفتح[٧٣٣].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول ﷻ لنبيه ﷺ: إنْ ردّك الله إلى المدينة، وفيها طائفة من المتخلفين المنافقين بعد غزوتك هذه[٧٣٤] فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد تبوك، فقل لهم: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ من الأعداء، وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة، وذلك عقوبة لهم ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ والجملة في موضع التَّعليل لما سبق، أي لأنكم رضيتم بالجلوس في أول مرة من غزوة تبوك ﴿فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ أي اقعدوا عن الجهاد مع المتخلّفين من النّساء والصّبيان والعاجزين؛ لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، فقد سخط الله عليكم[٧٣٥].

---

(٧٣٠) انظر [النشر (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص ١٧٠].

(٧٣١) انظر [دراسات لأسلوب القرآن: عبد الخالق عضيمة ق٣ (٦٣٩/٢)، دار الحديث ـ القاهرة، كتاب سيبويه (٤٢٠/١)].

(٧٣٢) انظر [كتاب سيبويه (٤٣٥/٤)].

(٧٣٣) انظر [المرجع السابق (٣٨٥/٢)].

(٧٣٤) إنما قال إلى طائفة لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف.

(٧٣٥) انظر [جامع البيان (٢٠٣/١٠)، المقتطف من عيون التفاسير (٤١٦/٢ ـ ٤١٧)، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن ص ٤١٥ ـ ٤١٦ ـ مكتبة المدني ـ جدة ـ ط ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧١ ـ تحقيق: علي السيد صبح المدني].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

راجع نظير هذا المثال في توجيه الآية (٤٨) من سورة الأنفال[٧٣٦]، إلاّ أنّ هنا في هذا المثال التقييد بالمعية، كما يؤذن باستثقالهم، يُخرج ما كان بعده ﷺ مع أصحابه ﷺ من سفرهم وقتالهم (المنافقين)[٧٣٧] وهذا المثال: شاهد على فتح ياء المتكلّم، وسرّ جواز العدول عنه، وفائدة المد في قراءة (معي) يفهم منه عدم خروج المنافقين مع الرسول ﷺ مهما طال الزمان، وفيه مبالغة في النهي.

٢٠ ـ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التّوبة: ٩٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ يعقوب (**المُعْذِرُون**) بتخفيف الذال.

٢ ـ وقرأ الباقون (**المُعَذِّرُون**) بتشديد الذال[٧٣٨].

ثانياً: المعنى اللّغوي للقراءات:

(المُعذِرون) من الفعل عَذَرَ، والمُعذِر الذي له عُذر، قرأها ابن عباس ساكنة العين، وكان يقول: «والله هكذا أنزلت»، وقال: «لعن الله المُعذّرين».

(**المُعَذِّرون**) من عَذّر الرجل فهو مُعذّر، إذا اعتذر ولم يأت بعذْر، وعذَّر أيضاً: لم يثبت له عذر، فالمعذّرون: هم الذين لا عذر لهم؛ ولكن يتكلفون عذراً، وأصل (**المعذِّرون**) المعتذرون، فأسكنت التاء، وأبدل منها ذال، وأدغمت في الذال، ونقلت حركتها إلى العين، فصار الفتح في العين أولى الأشياء، ومن كسر العين جرّه لالتقاء السّاكنين[٧٣٩].

(٧٣٦) راجع ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٧٣٧) انظر [نظم الدرر (٣٦٩/٣)].

(٧٣٨) انظر [النشر (٢١٠/٢)، البدور الزاهرة ص ١٧٠].

(٧٣٩) انظر [لسان العرب (٥٤٦/٤)، مادة عذر، القاموس المحيط ص ٥٦٢ مادة عذر].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

بيّن الله تعالى في هذه الآية حال ذوي الأعذار في ترك الجهاد الذين جاءوا الرَّسول ﷺ يعتذرون إليه فقال تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أي المعتذرون[740] وهم من أحياء العرب ممن حول المدينة من بين غِفار، ولم يكن لهم عذر ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ لكي يأذن لهم رسول الله ﷺ بالتّخلف عن غزوة تبوك ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: وقعد آخرون من الأعراب عن المجيء للاعتذار، فخالفوا الله ورسوله في السّير عن الجهاد بغير إذن؛ لذلك أوعدهم بالعذاب الأليم المُوجع فقال: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[741].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب (**المُعْذِرُون**) بسكون العين وتخفيف الذال، وهو اسم فاعل من أعذر، والمعذر الذي بلغ أقصى العذر، وكان ابن عباس[742] يقرؤها كذلك، ويقول: (هم أهل العذر) أو هم الذين تخلّفوا بعذر، فأذن لهم النّبي ﷺ وقيل: هم أسد وغطفان قالوا: إنَّ لنا عيالاً، وإنَّ بنا جهداً، فَأْذَن لنا في التَّخلف، وقيل: هم رهط عامر بن الطّفيل قالوا: إنْ غزونا معك غارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا، فعذرهم النَّبي ﷺ[743].

وقرأ الباقون ﴿المُعَذِّرون) بفتح العين وكسر الذال مشدّدة.

وهذه القراءة تحتمل وجهين:

أ ـ أن يكون اسم فاعل من (**عذّر**) مضعّف بمعنى التّكلف، والمعنى: أنَّه يوهم أنَّ له عذراً، ولا عذر له، فهو غير محقّ في عذره[744]، وعلى هذا

---

(٧٤٠) انظر [معاني القرآن: النَّحاس (٤٦٠/١)].

(٧٤١) انظر [تفسير القرآن العظيم (٣٨١/٢)، تفسير ابن وهب المسمى الواضح في القرآن (٣٢٤/١ ـ ٣٢٥)].

(٧٤٢) انظر [قراءة ابن عباس في جامع البيان (٢٠٠/١٠)، البحر المحيط (٨٣/٥ ـ ٨٤)].

(٧٤٣) انظر [البحر المحيط ٨٤/٥، الجامع لأحكام القرآن (٥٤٧/٤ ـ ٥٤٨)].

(٧٤٤) انظر [حجّة القراءات: ابن زنجلة ص٣٢١].

المعنى: يكونون هم قوماً من غِفار، اعتذروا فلم يعذُرْهم النّبي ﷺ[٧٤٥].

٢ ـ أن يكون اسم فاعل من (اعتذر) فأدغمت التّاء في الذال، والاعتذار قد يكون بحق وقد يكون باطلاً. ومن ذهب إلى أنّه مَنْ اعتذر، النّحاس[٧٤٦]، والأخفش[٧٤٧]، والفرّاء[٧٤٨]، والزّجّاج[٧٤٩]، والمعتذر: يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أجد أنَّ قراءة التّخفيف **(المُعذِرون)** المقصود بهم الذين اعتذروا للرسول ﷺ، وقَبِل الرّسول منهم العذر، فكانوا محقّين بعذرهم. وقراءة التّشديد **(المُعذِّرون)** هم المنافقون الذين لا عذر لهم؛ ولكنهم اعتذروا للرسول ﷺ، مع علمه أنّهم غير محقّين، والله أعلم.

وهكذا نصل إلى أنَّ: لكلِّ قراءة من القراءتين المتواترتين سبب نزول، ولا تعارض بين السّببين، وكأنّ كلَّ قراءة، تمثل آية مستقلّة وسبب نزول مستقل، وهذا دليل واضح على إعجاز القرآن الكريم وروعته المتمثّلة بالقراءات القرآنية.

٢١ ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [التّوبة: ٩٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو **(السُّوء)** بضم السين.

---

(٧٤٥) انظر [السيرة النبوية: ابن هشام (١٢٠/٤)، جامع البيان: (٢١٠/١٠)، البحر المحيط (٨٤/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٥٤٨/٤)].

(٧٤٦) انظر [معاني القرآن: النّحاس (٤٦٠/١)].

(٧٤٧) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٥٥٨/٢)].

(٧٤٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٤٧/١)].

(٧٤٩) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦٤/٢)].

٢ ـ وقرأ الباقون (السَّوء) بفتح السين.

٣ ـ وقرأ ورش على أصله (السَّو-ء) في مد الواو[٧٥٠].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(السوء) الاسم من ساءَه، سَوءاً، وسَوَاء، وسواءَةً، وسَوايَة، وسوائيةً، ومساءَةً، ومسائيةً، ومساءً: أي فعل به ما يكره فاستاء هو.

(السَّوء) بالفتح معناه قول قبيح.

(السُّوء) بالضم معناه أن تقول سوءاً، وفي الآية بالوجهين: أي الهزيمة والشَّر والرَّدى والفساد. أو المضموم الضَّرر والمفتوح الفساد[٧٥١].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه وتعالى: ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التي ينفقها في الجهاد أو في معونة مسلم مغرماً أي: غُرماً وخسراناً[٧٥٢] ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي وينتظرون بكم الدَّوائر، أن تدور به الأيَّام واللَّيالي، ويدور به الزمان من المكروه وأصل الدَّوائر: صروف الزّمان مرّة بالخير، ومرّة بالشَّر[٧٥٣]، أو ينتظرون لكم الموت والقتل[٧٥٤].

ثم قال ﷻ ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ أي على هؤلاء المنافقين دائرة السّوء ونزول البلاء والمكروه بهم، لا بكم أيها المؤمنون، وهذا دعاء عليهم بنحو ما تربّصون به ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقولونه ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبيرهم وبما يضمرونه وما ينالهم من عقاب الله الأليم[٧٥٥].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

---

(٧٥٠) انظر [النشر (٢/٢١٠)].

(٧٥١) انظر [القاموس المحيط ص٥٤، مادة سيأ].

(٧٥٢) انظر [معاني القرآن: النَّحاس (١/٤٦١)].

(٧٥٣) انظر [معاني القرآن: النحاس (١/٤٦١)].

(٧٥٤) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٤٩)].

(٧٥٥) انظر [جامع البيان (١١/٤)].

قال أبو علي[٧٥٦] ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ الدائرة **لا تخلو من أن تكون**:

١ ـ إما صفة.

٢ ـ أو بمنزلة العافية والعاقبة، والصفة أكثر في الكلام فينبغي أن يحمل عليها، فالمعنى فيها أنَّها خلة تحيط بالإنسان حتى لا يكون له منها مخلص، وأضيف إلى السُّوء أو السَّوء **على الوجهين**:

١ ـ على وجه التأكيد.

٢ ـ على وجه الزّيادة والتّبيين، ولو لم تصف، لعُلم منها المعنى الذي فهم بالإضافة[٧٥٧].

وعليه فالذي قرأ (**السَّوء**) بالفتح فإنَّه أراد المصدر وهو من سؤته، سَوْءاً، ومساءة، ومَسَائية، وسوائية، فهذه مصادر[٧٥٨]. ويُراد بالسَّوء الرداءة والفساد، عكس صدق. عندما نقول: (ثوب صدق) وليس (صدق). اللسان الذي هو خلاف الكذب. فيكون التقدير: عليهم دائرة الفساد والرداءة[٧٥٩].

وأما من قرأ بالضم: فجعله اسماً كقولك عليهم دائرة البلاء والعذاب والهزيمة، فاجتمعا في جواز إضافة الدائرة إليهما، من حيث أريد بكل واحدة منهما الرداءة والفساد. والتقدير: عليهم دائرة الضرر والمكروه من ذلك سُؤته، مساءة، ومسائية، والمعنيان متقاربان[٧٦٠].

وقال الزمخشري: «المضموم العذاب، والمفتوح ذم الدائرة، لأنَّ من دارت عليه يذقها، فهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته، فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة، ثم أضيفت لصفتها كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ

(٧٥٦) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان الإمام أبو علي الفارسي النحوي المشهور أصله من فسا من أعمال شيراز ولد عام ٢٨٨هـ، وتوفي عام ٣٧٧هـ، انظر [غاية النّهاية في طبقات القراء (٢٠٦/١ ـ ٢٠٧)].

(٧٥٧) الحجَّة: أبو علي الفارسي (٢٠٦/٤ ـ ٢٠٧).

(٧٥٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٠/١)].

(٧٥٩) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٢٠٨/٤)، الحجَّة: ابن خالويه ص٩٩].

(٧٦٠) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٢٠٩/٤)].

سَوْءٍ﴾ [مريم: ٢٨][٧٦١].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ هذا الموضوع نوع من التلوين في أسلوب القرآن الكريم، فقراءة الفتح أراد المصدر، وقراءة الضم جعله الاسم، ومع ذلك لم يتغير المعنى وهذا يدل على جمال أسلوب القرآن وإعجازه.

أما قراءة ورش (**السَّو-ء**) بالفتح مع مد الواو، فلأن المد يفيد الزيادة، يكون المعنى عليهم دائرة الفساد والرداءة مستمرة أي دائمة، وهذا زيادة في الدعاء على المنافقين، وفي الفساد الذي سوف يصيبهم، وقيل الضم، والفتح لغتان بمعنى، مثل (الضُّرَّ، والضَّرَّ)[٧٦٢].

٢٢ ـ ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التَّوبة: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ورش (**قُرُبة**) بضم الراء.

٢ ـ وقرأ الباقون (قُرْبة) بسكون الراء[٧٦٣].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(**قُرُبَة**) من الفعل قَرُب، قَرْباً، وقُرْبانا، وقِرْبانا. أي دنا فهو قريب. والقُرُبة، القرْبة والقُربى، أي القرابة، وهي قريبي وذو قرابتي[٧٦٤].

و(**قُرْبة**) بسكون الراء، هي لما يُتقرّب به إلى الله تعالى والضم

(٧٦١) الكشاف (٢/٢٠٩).

(٧٦٢) انظر [حجَّة القراءات: ابن زنجلة ص٣٢٢].

(٧٦٣) انظر [النشر (٢/١٦٢)، إتحاف فضلاء البشر ص٩٧].

(٧٦٤) انظر [القاموس المحيط ص (١٥٧ ـ ١٥٨) مادة قرب].

للإتباع[٧٦٥].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله سبحانه وتعالى في الآيات السَّابقة أحوال الأعراب المنافقين، وبيَّن في هذه الآية: حال الأعراب المؤمنين منهم والصَّادقين فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ أي: أنَّ الأعراب ليسوا سواء، فمنهم من يؤمن بالله ويقرّ بواحدنيته ويؤمن باليوم الآخر، وينوي بما ينفق من نفقة في جهاد المشركين قربة يتقرب بها من رضا الله ومحبته ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ ويبتغي بنفقته أيضاً دعاء الرَّسول واستغفاره له ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ أي ألا إنَّ تلك النفقة التي اتخذت، قد تقبلها الله، وكانت لهم قربة ورضى لهم عند الله، فأدخلهم برحمته الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي أنَّه واسع المغفرة والرحمة لمن يتوب إلى الله ويُخلص في توبته، وهذه سنّة الله في أوليائه، يطهّرهم ثم ينعم عليهم بجواره[٧٦٦].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ورش **(قُرُبة)** بضم الراء، وقرأ الباقون (قُرْبة) بإسكان الراء، والإسكان والضم: لغتان في كلِّ اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم، وأسد)، والضم لمجانسة ضم الحرف الأول، وهو لغة الحجازيين[٧٦٧].

من قرأ **(قُرْبة)** على بناء **(فُعْلة)** وجمعها قُرُبات، وقُرَبَات، ومن قرأ **(قُرُبة)** مثقلة فهو مثل الجُمُعة والجُمْعة[٧٦٨] والأصل أن يكون بالإبقاء على

---

(٧٦٥) انظر [المصباح المنير ص٢٩٥ مادة قرب].

(٧٦٦) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦٦/٢)، جامع البيان (٥/١١ ـ ٦)، تفسير المراغي (٩/١١ ـ ١٠)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري (٣٢٤/٢) ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م].

(٧٦٧) انظر [المفردات في غريب القرآن ص٣٩٩].

(٧٦٨) انظر [معاني القراءات ص٢١٣].

العين ساكنة، خلافاً لما يراه بعض الصّرفيين[٧٦٩]. وما عدل النّاطق عن هذا الأصل؛ إلا التماساً لجمال صوتي يجري وَفْق قانون الإتباع في الحركات، فهنا الخلاف دائر بين جمال الإبقاء على الأصل، حيث خفة اللّفظ بالإمكان، وجمال الإتباع، حيث التّوافق الحركي والانسجام الصّوتي[٧٧٠].

وقراءة التسكين توحي بأن هذه القرْبة باقية رصيد لهم عند الله، في حين قراءة الضم توحي بثقل هذه القرُبة وعظمها عند الله تعالى وذلك لثقل الضم والله أعلم.

٢٣ ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التّوبة: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ يعقوب **(والأنصارُ والذين) برفع الرّاء.**

ب ـ قرأ الباقون ﴿وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ﴾ بخفض الرّاء.

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير (تجري من تحتِها) بزيادة كلمة **(من)** وخفض تاء تحتها، وكذلك هي في المصاحف المكّية.

ب ـ قرأ الباقون ﴿تَجْرِى تَحْتَهَا﴾ بحذف لفظ **(من)** وفتح التاء وكذلك هي في مصاحفهم عند البصريين[٧٧١].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

---

(٧٦٩) انظر [الخصائص (٥٤/١)، التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص ٥٢].

(٧٧٠) انظر [التّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص٥٢].

(٧٧١) انظر [النشر (٢١١/٢)، كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني الحنبلي، المعروف بابن داوود (٢٣٠هـ ـ ٣١٦هـ) ـ (٢٧٦/١) ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ـ تحقيق: د. محمد واعظ، البدور الزاهرة ص١٧١، وقد اتفقت القراءات القرآنية على إثبات (من) قبل (تحتها) في سائر المواضع من القرآن الكريم انظر [النشر (٢١١/٢)].

﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ من نصر، والنصر هو إعانة المظلوم، والنصرة حسن المعونة. والأنصار هم: أنصار النَّبي ﷺ، غلبت عليهم الصفة، فجرى مجرى الأسماء وصار كأنَّه اسم الحي، ولذلك أضيف إليه بلفظ الجمع، فقيل: أنصاري(٧٧٢).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي الذين سبقوا الناس أولاً إلى الإيمان بالله ورسوله من المهاجرين وهم الذين صلُّوا إلى القبلتين، أو الذين شهدوا بدراً أو الذين أسلموا قبل الهجرة ﴿وَٱلۡأَنصَارِ﴾ الذين نصروا رسول الله ﷺ على أعدائه من أهل الكفر، وهم أهل بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ أي والذين سلكوا سبيلهم في الإيمان بالله ورسوله، وفي الهجرة من دار الحرب إلى دار السَّلام، ابتغاء مرضاة الله ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ أي رضي الله عن جميعهم، بقبول طاعتهم، وارتضاء أعمالهم ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بما نالوه من الله من الثَّواب والكرامة، وأعدَّ له جناتٍ وبساتين، تجري الأنهار من تحتها خالدين فيها ومقيمين لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها، وذلك الرضوان والجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه(٧٧٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ يعقوب **(والأنصارُ)** بالرّفع عطفاً على السّابقين الأوّلين(٧٧٤). وقد رويت قراءة يعقوب عن عمر بن الخطاب ﷺ، فقرأ **(والأنصارُ)** عطفا على **(والسابقون)**(٧٧٥).

---

(٧٧٢) انظر [لسان العرب (٥/٢١٠) مادة نصر].

(٧٧٣) انظر [جامع البيان (١١/٦ ـ ٩)، تفسير البيضاوي (١١/٢٨٠)].

(٧٧٤) انظر [معاني القراءات ص٢١٤].

(٧٧٥) انظر [فتح القدير (٢/٣٩٧ ـ ٣٩٨)].

فتكون قراءة يعقوب: قد جعلت فضل الأنصار عامّاً، إذ لم تدخل عليهم (من) التّبعيض بل تكون للبيان، فيتناول المدح جميع الصّحابة، ويكون المراد بالتّابعين من بعدهم من الأمة إلى يوم القيامة(٧٧٦).

فتكون حصيلة قراءة يعقوب أن رضوان الله مكتوب لثلاثة أصناف:

الأول: السابقون الأولون من المهاجرين.

الثّاني: الأنصار (بعموم سابقهم ولاحقهم).

الثّالث: الذين اتبعوهم بإحسان(٧٧٧).

وشمول الأنصار بالجّنة والرضوان لا يعني استواءهم في المنزلة، حيث صرَّح القرآن بأنَّهم ليسوا سواء. قال تعالى ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠](٧٧٨).

وقرأ الجمهور (**والأنصارِ**) بالخفض عطفاً على المهاجرين(٧٧٩).

فتكون قراءة الجمهور: قد نصت على مزِيّة فضلٍ للسابقين من الأنصار وتكون (**من**) للتبعيض. قال الأخفش: «والوجه هو الجر؛ لأنَّ السَّابقين الأوَّلين، كانوا من الفريقين جميعاً»(٧٨٠).

وتكون حصيلة قراءة الجمهور أنَّ رضوان الله مكتوب لثلاثة أصناف:

الأول: السّابقون الأوّلون من المهاجرين.

الثَّاني: السّابقون الأوّلون من الأنصار.

---

(٧٧٦) انظر [المرجع السابق (٢/٤٩٨)].

(٧٧٧) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم: د. محمد الحبشي ص١٨٤].

(٧٧٨) انظر [المرجع السابق ص١٨٥].

(٧٧٩) انظر [معاني القراءات ص٢١٤].

(٧٨٠) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٦٠)].

الثالث: الذين اتبعوهم بإحسان(781).

وعلى قراءة الخفض، فإن السّابقين من المهاجرين والأنصار، هم الذين صلُّوا القبلتين، أو الذين شهدوا بيعة الرّضوان، وهي بيعة الحديبية، أو أهل بدر، ولا مانع من حمل الآية على هذه الأصناف كلها(782).

ويكون الذين اتبعوهم بإحسان من المهاجرين والأنصار من سائر الصّحابة، أو اتَّبعوهم بالإيمان والطَّاعة إلى يوم القيامة.

أو يكون السَّابقون من المهاجرين، الذين سبقوا بالإيمان والهجرة، والسَّابقون من الأنصار (وهم أهل بيعة العقبة الأولى) وهم سبعة نفر، وأهل العقبة الثَّانية، وهم سبعون نفراً(783).

أمَّا على قراءة الرفع يكون السَّابقون من المهاجرين الذين هاجروا من المؤمنين من مكَّة إلى المدينة، والأنصار بعمومهم سابقهم ولاحقهم، وذلك لأنَّهم ناصروا النَّبي ﷺ ووقفوا بجانبه.

فقد قال عنهم رسول الله ﷺ برواية عن أبي هريرة: (لو أنَّ الأنصار سلكوا وادياً أو شِعْباً، لسلكت في وادي الأنصار؛ ولولا الهجرة، لكنت امرءاً من الأنصار)(784)، أيضاً قال ﷺ برواية عن البراء: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله)(785) فجعل رسول الله ﷺ محبة الأنصار من الإيمان، وبغضهم من النِّفاق، وفي رواية أخرى عن ابن مالك قال: رسول الله ﷺ: (**آية**

(781) انظر [القراءات المتواترة: محمد الحبشي ص184].

(782) انظر [فتح القدير (2/498)].

(783) انظر [مدارك التنزيل (2/442)].

(784) رواه البخاري رقم (3779) في فتح الباري (8/112) ـ 63 كتاب مناقب الأنصار ـ 2 باب قول النَّبي ﷺ (لولا الهجرة . . .)

(785) رواه البخاري رقم (3783) في فتح الباري (8/113) ـ 63 كتاب مناقب الأنصار ـ 4 باب حب الأنصار من الإيمان.

الإيمان حب الأنصار، وآية النّفاق بغض الأنصار[786] وروايات كثيرة، أوردها البخاري في صحيحه في كتاب مناقب الأنصار.

ومع ذلك لو قال قائل: إنَّ السَّابقين الأوّلين هم جميع من هاجروا إلى أن انقضت الهجرة، لكان قولاً يقتضيه اللفظ وتكون **(من)** لبيان الجنس، والذين اتبعوهم بإحسان هم سائر الصَّحابة، ويدخل التَّابعون وسائر الأمم بشرط الإحسان[787].

ولا مانع أن يُصرف اللَّفظ إلى ما اتصف به السَّابقون من المهاجرين والأنصار، فيكون السَّابقون في الهجرة والنُّصرة، فالسَّبق إلى الهجرة صفة عظيمة، من حيث كونها شاقَّة على النَّفس، مخالفة للطَّبع، فمن أقدم أولاً صار قدوةً لغيره فيها، وكذلك السّبق في النُّصرة، فاز بمنصب عظيم[788].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ قراءة يعقوب بالرَّفع: تكلَّمت في فضلهم عامَّة، وقراءة الجمهور بالخفض: تكلَّمت في تخصيص السَّابقين منهم بمنزلة أعلى من القرب والرُّضوان، والله أعلم[789].

القراءة الثّانية:

قرأ ابن كثير **(تجري من تحتها)** بزيادة **(من)** وكذلك هي ثابتة في مصاحف مكَّة[790]، ولها معنيان:

الأول: المراد أنَّ الماء يأتي من موضع، وتجري تحت هذه الأشجار التي في الجنّة[791].

---

(٧٨٦) البخاري رقم (٣٧٨٤) في فتح الباري (١١٣/٨) ـ ٦٣ كتاب مناقب الأنصار ـ ٤ باب حب الأنصار من الإيمان.

(٧٨٧) انظر [المحرر الوجيز (٧٥/٣)].

(٧٨٨) انظر [مفاتيح الغيب (١٣٤/١٦)].

(٧٨٩) انظر [القراءات المتواترة: محمد الحبشي ص١٨٦].

(٧٩٠) انظر [البحر المحيط (٩٢/٥)، المصاحف لابن أبي داوود (٢٧٦/١)].

(٧٩١) انظر [النشر (٢١١/٢)].

الثَّاني: وهذه القراءة تبيِّن أيضاً: أنَّ منبع تلك الأنهار ومبتدأ جريانها، هو كذلك تحت الجنّة[٧٩٢].

أما قراءة الجمهور **(تجري تحتها)** بحذف **(من)** وكذلك هي في سائر المصاحف[٧٩٣]، لها معنيان:

أحدهما: على هذه القراءة يكون المراد من الحذف: أنَّ الماء ينبع من تحت أشجارها، لا أنَّه يأتي من موضع وتجري من تحت هذه الأشجار[٧٩٤]. وعلى هذا المعنى الأخير، أرى أن هذه الجنَّات تكون معدة، لمن ذُكر في الآية من السَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان ﷺ ورضوا عنه، أعدَّها لهم تعظيماً لأمرهم وتنويهاً لفضلهم وإظهاراً لمنزلتهم، لمبادرتهم بتصديق هذا النَّبي الكريم ـ عليه أفضل الصَّلاة وأكمل التَّسليم ـ ولمن تبعهم بالإحسان والتَّكريم. والله أعلم[٧٩٥].

الآخر: قراءة الحذف لا نص فيها على مبتدأ جريان الأنهار، بل كلُّ ما فيها أنَّ الأنهار تجري تحت الجنّة، ويكون منبعها ومبتدؤها موضعاً آخر يعلم الله به.

الجمع بين القراءتين:

فعلى هذا المعنى تكون قراءة الإثبات، قد بيّنت المجمل ونصَّت على أنَّ منبع تلك الأنهار ومبتدأ جريانها هو تحت الجنَّة، وقراءة الحذف لا نص فيها على مبتدأ جريانها؛ بل كلُّ ما فيها أنَّ الأنهار تجري تحت الجنّة وهو أعمّ، كما يلاحظ أن:

١ ـ المعنى السَّابق في توجيه القراءة في هذا الموضع بإثبات **(من)**

---

(٧٩٢) انظر [دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة (١/٦٥ ـ ٦٦) ـ دار الوفاء ـ مكتبة الأزهر ـ القاهرة ـ ط ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م].

(٧٩٣) انظر [البحر المحيط (٥/٩٢)].

(٧٩٤) انظر [النشر (٢/٢١١)].

(٧٩٥) انظر [النشر (٢/٢١١)].

وبحذفها لم يراع فيه ملاحظة تخصيص هذا الموضع دون سواه بذلك، بينما المعنى الآخر في توجيه القراءة بالإثبات والحذف في هذا الموضع، لوحظ فيه وجه تخصيص هذا الموضع بالإثبات والحذف، دون سائر المواضع.

٢ ـ لوحظ في سياق الآية من جهة تخصيص المذكورين بمزيد فضل، وعظيم الشّأن عند الله سبحانه وتعالى[٧٩٦].

٢٤ ـ ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التّوبة: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص **(صلاتَك)** على التّوحيد وفتح التّاء.

ب ـ قرأ الباقون ﴿صلواتِك) بالجمع وكسر التّاء[٧٩٧].

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب **(وتزكّيهُم)** بضم الهاء.

ب ـ قرأ الباقون **(وتزكّيهِم)** بكسر الهاء[٧٩٨].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(زكا) زكاء، زُكوّاً، وزكيَ، وتزكيَّ، وزكّاه الله، وزكّى نفسه تزكية مدحها، والزَّكاة: الصّلاح، وقوله تعالى ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، قالوا: تطهّرهم بها[٧٩٩].

(الصّلاة) لغة: الدّعاء، قال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادعُ لهم، وهي من صلا وهي الرّكوع والسّجود، والصّلاة من الله تعالى الرّحمة، والصّلاة

(٧٩٦) انظر [القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام: محمد بازمول ق٢ (٧٧٢/٢ ـ ٧٧٣)].

(٧٩٧) انظر [النشر (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٧٩٨) انظر [فريدة الدهر (٧٩١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٧٩٩) انظر [لسان العرب (٣٥٨/١٤) مادة زكا].

من الملائكة دعاء واستغفار، وبه سمّيت الصّلاة لما فيها من الدُّعاء والاستغفار، ولا يجوز أن تقال لغير النّبي ﷺ(٨٠٠).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ خذ يا محمد من هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهّرهم بها من الذّنوب، ومعنى التّطهير(٨٠١): ذهاب ما يتعلق بهم من آثار الذّنوب، والتّزكية: المبالغة في التّطهير أو بمعنى: الإنماء والبركة في المال ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وترفعهم بها عن خسيس منازل أهل النّفاق، والمقصود بالصّدقة أي الزّكاة، قال الجصّاص: «الصحيح أنّها الزّكوات المفروضة إذ لم يثبت أنّ هؤلاء القوم أوجب الله عليهم صدقة دون سائر الناس، سوى زكوات الأموال، وإذا لم يثبت بذلك خبر، فالظاهر أنّهم وسائر الناس سواء في الأحكام والعبادات، وأنّهم غير مخصوصين بها دون غيرهم من الناس»(٨٠٢) فأمره ـ سبحانه ـ بأخذ زكواتهم وأخبرهم، أنّها تطهير لهم وتزكية، وأمره أن يدعو لهم بقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾(٨٠٣) أي واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي إن دعاءك لهم تثبيت وسكون ورجاء(٨٠٤). والسّكن من السّكون وهو: ما يسكن إليه من الأهل، والوطن(٨٠٥). والجملة تعليل للأمر بالصّلاة عليهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي يسمع اعترافهم بذنوبهم، ويسمع دعاءك لهم، وغير ذلك من

(٨٠٠) انظر [المرجع السابق (٤٦٦/١٤) مادة صلا].

(٨٠١) انظر [الكشّاف (٢١١/٢)، نيل المرام ص٤٢٠].

(٨٠٢) أحكام القرآن: أبو بكر الرازي (٣٧٠هـ)، (٢١٦/٣) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م ـ راجعه: صدقي محمد جميل.

(٨٠٣) انظر [ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (٦٠٠/١) ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ـ تحقيق: سعيد الفلاّح].

(٨٠٤) انظر [مجاز القرآن: (٢٦٨/١)].

(٨٠٥) انظر [حاشية الشهاب (٦٣٢/٤)].

كلام خلقه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم من الندم، لما فرط منهم وعليهم بدعائك، لهم ولغير ذلك من أمور عباده(٨٠٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

١ ـ القراءة الأولى:

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم **(صلاتَك)** بغير واو، وفتح التاء على التوحيد بصيغة الإفراد: هو مصدر بمعنى الدُّعاء، الدُّعاء صنف واحد، والأصل في المصدر أن يفرد؛ لأنَّه دال على الجنس كله؛ بمعنى أن يقع على الكثير والقليل بلفظ واحد(٨٠٧) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: ٦٧] فيكون المعنى: إنَّ دعاءك تسكن نفوسهم إليه، وتطمئن قلوبهم به إلى الغاية، ويثقون بأنَّه سبحانه قبلهم(٨٠٨)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

وقرأ شعبة **(صلواتِك)** بالجمع وكسر التّاء والحجَّة في ذلك، جمع المصدر للدِّلالة على اختلاف أنواع الدعاء، التي تندرج تحت هذا الجنس، وذلك لتعدد المدعو لهم(٨٠٩)، وتعدّد صيغ الدّعاء، فقد يراد بالصّلاة عليهم: الدّعاء لهم أو الاستغفار لهم، أو الصلاة عليهم إذا ماتوا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ

(٨٠٦) انظر [جامع البيان (١٦/١١)، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي ـ (٣٢٥٢/٨ ـ ٣٢٥٣) ـ دار إحياء الكتب العربية ـ رقّمه وصحّحه وخرّج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي].

(٨٠٧) انظر [الكشف (١٠٦/١)].

(٨٠٨) انظر [روح المعاني (١٥/١١)].

(٨٠٩) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ [التوبة: ٩٩][٨١٠].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ كل قراءة أعطت معنىً جديداً، فبذلك تنوع أسلوب القرآن، مرة بقراءة الإفراد ومرة بقراءة الجمع، فقراءة الإفراد: مصدر بمعنى الدعاء: هو صنف واحد. أما قراءة الجمع فتدل على تعداد المدعو لهم. فالداعي: هو الرَّسول ﷺ، والمدعو لهم أفراد، وليس فرداً بعينه، وزيادة المبني فيه زيادة المعنى. وهذا المثال شاهد على جواز جمع المصدر لاختلاف الأنواع. والله أعلم.

٢ ـ القراءة الثانية:

(تزكيهُم) قرأ يعقوب بضم الهاء، وقرأ الباقون (تزكيهِم) بكسر الهاء، وقد سبق توجيه ذلك في الآية الثانية من سورة الأنفال[٨١١]، فلأن الضَّمة ثقيلة، فثقلها يتناسب مع ثقل التّزكية، فالتّزكية هنا مبالغة في التّطهير، وقيل بمعنى الإنماء، والمعنى أنّه تعالى يجعل النّقصان الحاصل بسبب إخراج قدر الزّكاة، سبباً للإنماء.

وقيل: الصّدقة تطهّرهم عن نجاسة الذّنب والمعصية، والرّسول ﷺ يزكّيهم ويعظّم شأنهم، ويُثني عليهم، عند إخراجها إلى الفقراء[٨١٢].

أما قراءة الكسر: مرتبطٌ بالآية التي قبلها، واستحضارها ضروري لفهم المعنى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ [التوبة: ١٠٢] فتكون قراءة الكسر تدل على انكسار أنفسهم بسبب ذنبهم؛ لأنَّهم خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً

(٨١٠) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص٢١٩].
(٨١١) راجع ص١٨ ـ ١٩.
(٨١٢) انظر [مفاتيح الغيب (١٦/١٤٣)].

فمن كان كذلك يجب ألا يقنط من رحمة الله، ويسرع بالتَّوبة إليه سبحانه، ويخرج الصّدقة، وبذلك تنمو نفوسهم على حب الخير، وعلى العطف على الفقير، والضّعيف المحتاج، فبهذا تنمو النّفس وترتفع، بعد أن كانت منكسرة(٨١٣). والله أعلم.

٢٥ ـ ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [التَّوبة: ١٠٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب، وأبو بكر **(مُرْجَؤُونَ)** بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة مدِّية.

٢ ـ وقرأ الباقون (مُرْجَوْنَ) بغير همز وواو ساكنة بعد الجيم(٨١٤).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(مُرْجَوْنَ) من أرجى الأمر: أخَّره، ومرجؤون من أرجأه وأرجأت الأمر، وأرجيته إذا أخَّرته، يهمز ولا يهمز، فالإرجاء التَّأخير(٨١٥).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

إن الله سبحانه وتعالى قسَّم المتخلّفين عن الجهاد ثلاثة أقسام:

١ ـ المنافقون الذين مردوا(٨١٦) على النِّفاق وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التَّوبة: ١٠١].

٢ ـ التّائبون وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ

(٨١٣) انظر [في رحاب التَّفسير (١٦٠٠/١١ ـ ١٦٠١)].

(٨١٤) انظر [النشر (٣١٥/١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨١٥) انظر [لسان العرب (٣١١/١٤) مادة رجا].

(٨١٦) مرنوا عليه، وحذقوه حتى بلغوا الغاية القصوى فيه وبمعنى تطاولوا وطغوا، انظر [لسان العرب (٤٠٠/٣)، في رحاب التَّفسير (١٥٩٨/١١)].

خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [التَّوبة: ١٠٢]. وبيّن تعالى أنَّه قبل توبتهم.

٣ ـ الذين بقوا موقوفين، وهم المذكورون في هذه الآية، والفرق بين القسمين الثّاني والثّالث: أنَّ أولئك سارعوا إلى التَّوبة، وهؤلاء لم يسارعوا[٨١٧]، والموقوفون هم: أولئك الرّهط الثّلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق، فندموا على ما فعلوا ولم يعتذروا إلى رسول الله ﷺ عند مقدمِه وهم (كعب بن مالك، ومرارة بن الرَّبيع، وهلال بن أميَّة) فقال الرَّسول ﷺ لأصحابه لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثَّلاثة[٨١٨] ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ أي هؤلاء المشار إليهم في القسم الثالث و﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون عن التَّوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي لحكم الله تعالى فيهم، ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم من غير توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْۗ﴾ إن تابوا ﴿وَإِمَّا﴾ هنا للشَّك بالنسبة إلى المخاطب؛ لأنَّ الله منزَّهٌ عن ذلك سبحانه، ﴿وَإِمَّا﴾ للإبهام بالنسبة إلى أنَّه أبهم على المخاطبين ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والله ذو علم بأمرهم، وما هم صائرون إليه من التَّوبة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم[٨١٩].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أهل المدينة والكوفة (**مُرجَون**) بدون همز، وهي لغة الحجاز. وهي اسم مفعول بمعنى مؤخرون من الفعل (**أرجى**) دون الهمز، يقال أرجأته، وأرجيته، كأعطيته، وحجَّة من لم يهمز أنَّه جعله من (**أرجيت الأمر**) يعني أخرته، وهي لغة قريش والأنصار، وأصله (**مرجيون**) فلما انضمّت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا، وبعدها واو ساكنة، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت فتحة الجيم، تدل على الألف المحذوفة، فهو مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] اعتلالهما واحد.

---

(٨١٧) انظر [مفاتيح الغيب (١٥٢/١٦)].

(٨١٨) انظر [السِّيرة النَّبوية: ابن هشام (١٢٩/٤)].

(٨١٩) انظر [جامع البيان (٢١/١١ ـ ٢٢)، مفاتيح الغيب (١٥٢/١٦)، الدر المصون (١١٨/٦ ـ ١١٩)].

وقد يجوز أن يكون أصله الهمز، ولكن سُهّلت الهمزة، فأبدل منها الياء مضمومة، ثم أُعل على ما ذكرنا، والأول أحسن وأقوى[٨٢٠]، وقد نقل القرطبي عن المبرد[٨٢١] قوله: «لا يقال أرجيته بمعنى أخرته، ولكن من الرجاء»[٨٢٢]. وقال عنه مكي بن أبي طالب هذا قول شاذ، وأنكره ابن عطية[٨٢٣]، ويكون المعنى: ليكن أمرهم عندكم على الرجاء؛ لأنَّه ليس للعباد أكثر من هذا.

وقرأ أبو عمرو وعاصم وأهل البصرة **(مرجئون)** بالهمز من أرجأ، يرجئ، بمعنى التَّأخير[٨٢٤]، وحُجَّة من همز أنَّها لغة تميم وسفلى قيس[٨٢٥]، وهو اسم مفعول من الفعل أرجأ، يرجئ، دون تسهيل، إتباعاً للأصل، فطبق قانون صياغة اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد بهمزة[٨٢٦]. ويقال أنَّهما لغتان بمعنى واحد[٨٢٧]، ولا خلاف؛ إلاَّ في عدد المقاطع. فقراءة الهمز ثلاثة، وقراءة التسهيل أربعة، وهذا المثال شاهِدٌ على صياغة اسم المفعول من الفعل الثّلاثي المزيد بهمزة[٨٢٨]. ومع ذلك يمكننا

---

(٨٢٠) انظر [الكشف (٥٠٦/١)، المحرر الوجيز (٨٠/١١)، روح المعاني (١٧/١١)].

(٨٢١) هو محمد بن يزيد المبرد أبو العباس تلميذ المازني وأبو حاتم السجستاني، له كتاب الكامل والروضة، توفي في بغداد ٢١٦هـ، انظر [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلكان (٣١٣/٤) ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ تحقيق: د. إحسان عباس (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي وفيات الأعيان)].

(٨٢٢) الجامع لأحكام القرآن (٥٧٠/٤).

(٨٢٣) انظر [الكشف (٥٠٦/١)، المحرر الوجيز (٨٠/١١)].

(٨٢٤) انظر [المحرر الوجيز (٨٠/١١)].

(٨٢٥) قيس نسبة إلى القَيْسيّ ويرجع نسبهم إلى قيس بن ثعلبة أو قيس بن مُضَر بن نزار، وقيس لقبه، وتقيس الرجل: إذا تشبه بهم انظر [كتاب النسب (٥٧٥/٤)، اللباب (٦٩/٣)، لب الألباب (١٩٥/٢)].

(٨٢٦) وصياغته يكون اسم المفعول كاسم فاعله، ولكن يفتح ما قبل الآخر نحو مُكرَم، انظر [شذا العرف في فن الصرف ـ باب اسم المفعول ص ٩٧].

(٨٢٧) انظر [الكشف (٥٠٦/١)، روح المعاني (١٧/١١)].

(٨٢٨) انظر [التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ٢١٩ ـ ٢٢٠].

أن نفسر قراءة الهمز على أنَّ الفترة ستكون ليست قصيرة في الإرجاء، وعلى ثقل هذا الإرجاء على نفوس هؤلاء الصحابة، وقراءة التسهيل تُفَسر على أنه سيأتي الفرج على هؤلاء، ويسهل أمرهم والله أعلم.

٢٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [التوبة: ١٠٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر)، وابن عامر ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ بغير واو، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ﴾ بالواو وكذا هي في مصاحفهم[٨٢٩].

ثانياً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لمّا ذكر الله أصناف المنافقين، وطرائقهم المختلفة، عطف على ما سبق هذه الطّائفة منهم، ـ وهم الذين اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً ـ وهم بنو عمرو بن عوف من الأنصار، بنوا مسجدهم ضراراً لمسجد قباء أي مضارة، ومسجد قباء أول مسجد بني على التّقوى. فلمّا قدم النَّبي ﷺ من غزوة تبوك، أمر بإحراق مسجد الشّقاق وهدمه[٨٣٠].

فقد أخبر الله سبحانه، أنَّ الباعث لهم على بناء هذا المسجد أمور أربعة:

الأول: الضرار لغيرهم، وهو المضاررة.

الثَّاني: الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام، فأرادوا ببنائه تقوية أهل النّفاق.

---

(٨٢٩) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٣٠) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٥٢)، معاني القرآن: النَّحاس (١/٤٦٤)، السيرة النبوية: ابن هشام (٤/١٢٨ ـ ١٢٩)].

الثَّالث: التّفريق بين المؤمنين، لأنّهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

الرَّابع: الإرصاد والانتظار[٨٣١]، ومعناه من أرصدت أي ارتقبت[٨٣٢].

وقوله ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل أن ينافق هؤلاء، ويبنوا مسجد الضرار ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي ما أردنا؛ إلا الخصلة الحسنى، وهي الرِّفق بالمسلمين، فردَّ الله عليهم بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما حلفوا عليه[٨٣٣].

ثالثاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ المدنيان وابن عامر (**الذين اتخذوا**) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة وأهل الشام، جعلوه مستأنفاً. وقرأ الباقون بالواو، وكذا في مصاحفهم. والحقيقة أنَّ حذف الواو وتركها، من أدق المسالك في الفكر البلاغي؛ لذلك كان موضوع الفصل والوصل هو البلاغة كما يقولون، والذي يتتبع أسلوب القرآن الكريم يجد فيه ما يثلج الصدر، ويبهر النفس من أسرار الفصل والوصل وحذف الواو في موضع وذكرها في موضع آخر. وذكر الواو يدل على العطف، والعطف يقتضي الاشتراك والتغاير وقد يكون عطف صفة على صفة لبيان أهمية الصفات المذكورة.

وقد يكون حذف الواو ناشئاً عن سؤالٍ مُقَّدرٍ في جملة سابقة، فتأتي الجملة إجابة على هذا السؤال المقدَّر خالية من الواو، وهذا ما يعبر عنه البلاغيون بشبه كمال الاتصال، ويسمى استئنافاً. وقد يكون ناشئاً عن تغاير

(٨٣١) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٦٨/٢)].

(٨٣٢) انظر [معاني القرآن: النَّحاس (٤٦٤/١)].

(٨٣٣) انظر [فتح القدير: الشّوكاني (٥٠٤/٢)].

بين الكلام السَّابق والذي يليه، وهو ما يسميه البلاغيون كمال الانقطاع(٨٣٤).

وعلى هذا، فيمكن أن تشير كلٌ من القراءتين في الآية الكريمة إلى معنى، فالقراءة بحذف العطف تدل على اتصال هذه الأصناف التي ذكرت في سورة براءة ابتداءً من قوله سبحانه ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨]، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ٧٥] ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١] . . . فكأنَّه قيل: ومنهم الذين اتَّخذوا مسجداً ضراراً، فيكون عطف جملة على جملة.

أما القراءة الثانية بدون حرف العطف، ففيها قطعٌ لهؤلاء الذين اتَّخذوا مسجد الضِّرار، أي تكون الجملة على الابتداء، وفي خبره وجهٌ محذوف وفيه تقديران:

أحدهما: فيمن وصفنا الذين اتخذوا. **والثاني**: ننتقم منهم أو نجازيهم.

واحتمال إضمار المبتدأ وجعل ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا﴾ الخبر.

ولكن لا يحسُن أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في هذه القراءة بدلاً من (وآخرين) لأن (آخرين) ترجى لهم التَّوبة، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا﴾ لا ترجى لهم توبة لقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١١٠﴾ [التوبة: ١١٠](٨٣٥).

وهكذا فقراءة القطع فيها من التشنيع والذَّم الكثير الكثير، وكيف لا وقد اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، إلى جانب كذبهم(٨٣٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أنَّ كلَّ قراءة من القراءتين، والتي هي

(٨٣٤) انظر [القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية ص٣٣ ـ ٣٥].

(٨٣٥) انظر [الكشف (٥٠٧/١)، الفريد (٥٠٩/٢)].

(٨٣٦) انظر [القراءات من الوجهة البلاغية: د. صبري ص ٣٥].

حذف الحرف أو ذكره في كتاب الله تعالى، في كل منهما إشارة لمعنىً جديد، منسجم مع جلال الموقف المتَحدَّث عنه.

فقراءة العطف، وصلت الآية بالآيات السابقة، بحيث إنَّ المعنى لم ينقطع فكانت تعداداً لصفات المنافقين. في حين أنَّ القراءة الثانية الخالية من حرف العطف بيَّنت شناعة أفعال أولئك المنافقين، وهكذا نرى انسجام آيات القرآن الكريم(٨٣٧).

٢٧ ـ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [التوبة: ١٠٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ نافع وابن عامر (**أُسِّسَ بنيانُه**) في الموضعين معاً بضم الهمزة، وكسر السِّين، ورفع النون فيهما.

ب ـ وقرأ الباقون (أَسَّس بنيانَه) بفتح الهمزة والسين ونصب النّون فيهما(٨٣٨).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة، وخلف، وابن ذكوان، وأبو بكر، وهشام بخلف عنه (**جُرْف**) بإسكان الراء.

ب ـ وقرأ الباقون (جُرُف) بضم الراء(٨٣٩).

٣ ـ أ ـ قرأ أبو عامر، والكسائي وأبو بكر و(قالون، وابن ذكوان بخلفه عنهما) (**هارٍ**) بالإمالة.

ب ـ وقرأ الباقون (هَارٍ) بالفتح بدون إمالة(٨٤٠).

---

(٨٣٧) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(٨٣٨) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٣٩) انظر [النشر (٢/١٦٢)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٤٠) انظر [النشر (٢/٤٣ ـ ٤٤)، إتحاف فضلاء البشر (٢/٩٨)].

٤ ـ أ ـ قرأ شعبة (رُضوان) بضم الراء.

ب ـ وقرأ الباقون (رِضوان) بكسر الراء[٨٤١].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(الأُس) أصل البناء كالأساس، والأسس، وأصل كل شيء، والجمع إساس، كعِساسٍ، والتأسيس: بيان حدود الدار، ورفع قواعدها وبناء أصلها[٨٤٢].

(البنيُ) ضد الهدم، بناه يبنيه، بنياً، وبناءً، وبنياناً، وبنايةً، والبنيان: مصدر بمعنى المبنى، سمِّيَ المبني بالمصدر[٨٤٣].

(جَرف من الجُرْف) وهو الأخذ بالكثير، وجرف الشَّيء يجرُفه بالضم جُرْفاً، أخذه أخذاً كثيراً، **والجُرُف** ما أكل السَّيلُ من أسفل شق الوادي والنَّهر، **والجُرْف** عرض الجبل الأملس[٨٤٤].

(هارَ يهور هوراً) عن الشيء أي صرفه عنه، وهار البناء: هدمه، أو انهدم وسقط[٨٤٥].

(رضوان) مصدر رضا وهو خلاف السَّخط[٨٤٦].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ التَّأسيس وضع الأساس، وهو أصل البناء، ويستعمل بمعنى الإحكام، أي أفمن أسس بنيان دينه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ أي على قاعدة محكمة هي التَّقوى، والخوف من الله، وطلب

(٨٤١) انظر [النشر (١٧٩/٢)، إتحاف فضلاء البشر (٩٨/٢)، غيث النفع ص١٢٧].
(٨٤٢) انظر [القاموس المحيط ص٦٨٢ مادة أسّ].
(٨٤٣) انظر [المرجع السابق ص١٦٣٢ مادة بني].
(٨٤٤) انظر [لسان العرب (٢٤/٩ ـ ٢٥) مادة جرف].
(٨٤٥) انظر [القاموس المحيط ص ٦٤٢ مادة هار، منجد الطلاب ص٨٨٩ مادة هار].
(٨٤٦) انظر [القاموس المحيط ص ١٦٦٢ مادة (رضي)، المصباح المنير ص١٤، منجد الطلاب ص٢٤٩ مادة رضي].

مرضاته بالطّاعة ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾ أي خير أم من أسس بنيانه على قاعدة ضعيفة واهية رخوة، فكانت عُرضة للانهيار، فأدى بها إلى السقوط في النار، كما قال تعالى ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ فشبّه الباطل والنّفاق في ذهابه واضمحلاله، ببناء بني على حافة هُوَّة سحيقة فهوى البناء، لعدم وجود أساس، ولأنّه على حافة الحفرة، فهلك بمَن فيه، وهو تمثيل رائع ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ والله لا يوفِّق للرّشاد في أفعاله مَنْ كان منافقاً، مخالفاً بفعله أمر الله وأمر رسوله.

وخلاصة المثل: بيان ثبات الإسلام وقوته وسعادة أهله به وجزائهم عليه برضوان الله عنهم، وبيان ضعف الباطل ووهيه وخيبة صاحبه، وسرعة انقطاع آماله، وبيان أنَّ شر أعمال أهله المنافقين، ما اتّخذوه من مسجد الضرار لمفاسده الأربع المتقدّمة في الآية السّابقة(٨٤٧).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ نافع وابن عامر (أفمن أُسِّسَ بنيانُه...خيرٌ أمن أُسِّسَ بنيانُه) [التّوبة: ١٠٩] بضم الألف في الحرفين، ورفع البنيان، والفعل أسس على البناء للمفعول، **(وبنيانُه)** بالرّفع نائب فاعل.

وقرأ الباقون ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ... خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ بفتح الهمزة والسين على البناء للفاعل، والفاعل ضميرٌ مستتر يعود على **(من)** و**(بنيانَه)** بالنّصب مفعول به.

وقراءة الضّم: تدل على أنّه لم يُسمّ فاعله، وأضاف الفعل إلى البنيان، فارتفع به، والفاعل هو الباني والمؤسس، وقد أجمعوا على الضَّم في قوله ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [التّوبة: ١٠٨]، أضاف الفعل إلى المسجد، ففي ﴿أُسِّسَ﴾ ضمير و﴿ٱلْمَسْجِدِ﴾ هو البنيان بعينه، لذلك حسن رفع البنيان.

(٨٤٧) انظر [جامع البيان (٣٢/١١ ـ ٣٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٤٣٢/٢ ـ ٤٣٣)، تفسير المراغي (٢٨/١١)].

ويكون حاصل الكلام: أنَّ الباني لَمَّا بنى ذلك البناء، لوجه الله تعالى، وللرَّهبة من عقابه، والرَّغبة في ثوابه، كان ذلك البناء أفضل وأكمل من البناء الذي بناه الباني لداعية الكفر بالله والإضرار بعباد الله.

وقراءة النَّصب: تدل على الفاعل والمفعول وأضافوا الفعل إلى **(من)** في قوله **(أفمن، وخير أم من)** ففي الفعلين ضمير **(من)** وهو صاحب البنيان. ويقوي ذلك أنَّه قد أُضيف **(البنيان)** إلى ضمير، وهو الهاء في بنيانه، وهو صاحب البنيان، فكما أضيف البنيان إلى **(من)** كذلك يجب أن يضاف الفعل إليه.

والمعنى: أفمن أسس بنيانه على الإيمان، كمن أسس بنيانه على الكفر؟ لأنّ المنافقين بنوا لهم مسجداً، حتى ينفض أصحاب رسول الله ﷺ من مصلّاهم إلى مسجدهم(٨٤٨).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: نجد أنَّ القراءتين في المعنى واحد؛ إلا أنَّ البيان القرآني عندما يستغني عن الفاعل ويبني الفعل إلى ما لم يسم فاعله، فإنَّه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل إنَّ العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بالمفعول، سواء عُرف لنا الفاعل أم لم يُعرّف(٨٤٩). وحصيلة القراءتين أنَّ الباني والبناء على تقوى الله خير من الباني والبناء على غير تقوى الله والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ ابن عامر، وحمزة، ويحيى عن أبي بكر عن عاصم **(على شفا جُرْف)** بسكون الراء تخفيفاً، وقرأ الباقون (جُرُف) بضم الراء على الأصل(٨٥٠).

---

(٨٤٨) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٩٩، معاني القراءات ص٢١٥، الكشف (١/٥٠٧)، مفاتيح الغيب (١٦/١٥٦)].

(٨٤٩) انظر [القراءات وأثرها في التَّفسير ق٢ (٢/٨٣٢)].

(٨٥٠) انظر [معاني القراءات ص٢١٥].

قال أبو منصور[٨٥١]: «هما لغتان بمعنى واحد (جُرُف، وجُرْف)، والعرب تقول للرجل: لا حَزمَ له ولا عقل: فلانٌ جُرفٌ منهارٌ، والجرف في كلام العرب: أن يجنح ماء السيل عُدْوَة الوادي، فيأكل أصلها، فإذا وطئت دابَّة أو إنسان الموضع الذي أكل السيل ما تحته انقطع فانهار به»[٨٥٢] ... وقد تقدم مثال نظيره[٨٥٣].

وأصل المعنى: هذا مثلٌ مضروبٌ للحق والباطل، والمثل عِلمٌ من علوم القرآن، يقوم بتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فمن غرضه تشبيه الخفيّ بالجليّ، والغائب بالشّاهد حتى يكشف لنا المعاني[٨٥٤].

ويقول الفخر الرّازي[٨٥٥] في حاصل معنى هذه الآية: «ولا نرى في العالم مثالاً أكثر مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال: فالمراد أنّ أحد البناءين: قَصَدَ بانيه، تقوى الله ورضوانه، والبناء الثّاني: قصد بانيه ببنائه، المعصية والكفر، فكان الأوّل شريفاً واجب الإبقاء، وكان الثّاني خسيساً واجب الهدم»[٨٥٦].

وفي الأثر الفنّي لترشيح الاستعارة يقول الزمخشري: «رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليصور أنّ المبطل، كأنّه أسّس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم، فانهار به ذلك الجُرف فهوى في

(٨٥١) سبقت له ترجمة راجع ص١١٦.

(٨٥٢) معاني القراءات ص٢١٥.

(٨٥٣) راجع الآية ٩٩ ص٢٠١.

(٨٥٤) انظر [الإتقان (٢/١٠٤١ ـ ١٠٤٢) النوع السادس والستون].

(٨٥٥) الفخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي أو ابن خطيب الري. وهو إمام مفسر شافعي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. ولد في الريّ. قرشي النسب، أصله من طبرستان. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. لقب بشيخ الإسلام. له تصانيف كثيرة ومفيدة في كل فن من أهمها: التفسير الكبير الذى سماه "مفاتيح الغيب". توفي الرازي في مدينة هراة سنة ٦٠٦ هـ.

(٨٥٦) مفاتيح الغيب (١٦/١٥٧).

قعرها»[٨٥٧]، وأنت ترى ما في هذا الكلام من بلاغة.

وقد احتفى[٨٥٨] الإمام عبد القاهر[٨٥٩] بنوع استعارة المحسوس للمعقول فقال: «اعلم أن هذا الضَّرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها، كيف شاءت المجال في تفنّنها وتصرّفها، وها هنا تخلصُ لطيفةٌ روحانية، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصّافية، والعقول النّافذة، والطّباع السّليمة، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة، وتعرف فصل الخطاب»[٨٦٠]. وقراءة الضم تدل على ضخامة هذا الجرف.

ونختم هذا الموضع بتجلية الملخص الصَّوتي فقراءة الضم **(جُرُف)** جاءت على الأصل، وقراءة الإسكان **(جُرْف)** تخفيفا لتوالي الحركات[٨٦١].

القراءة الثالثة:

قرأ ابن كثير، وحفص عن عامر، وحمزة ويعقوب **(هار)** مفخمة، وقرأ نافع وابن عامر، ويحيى عن أبي بكر عن عاصم والكسائي ممالاً.

وأما **(هار)** كانت راؤه لاماً، فجعلت عينا بالقلب، وذلك أنَّ أصله، هاير، أو هاور، من هار يهير أو يهور، وهو الأكثر، فقدّمت اللاّم إلى موضع العين، وأخّرت العين إلى موضع اللاّم ثم فعل به ما فعل **(قاض)** فالراء حينئذٍ ليست بطرف؛ ولكنّها بالنّظر إلى صورة الكلمة طرف، وكذا إلى لفظها الآن، فهي بعد الألف متطرّفة، فلذلك ذكرت هنا لا على تقدير الأصل، ليست كذلك بل بينهما حرف مقدّر فهو من هذا الوجه يشبه

---

(٨٥٧) الكشاف (٢/٢١٥).

(٨٥٨) حفي الرجل يحفى من باب تَعِبَ انظر [المصباح المنير ص٨٩، المنجد ص١٣١].

(٨٥٩) الإمام عبدالقاهر الجرجاني: هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني الأشعري الشافعي، أبو بكر: نحوي، بياني، متكلم، فقيه، مفسر، توفي بجرجان سنة ٤٧١هـ ـ ١٠٧٨م، من تصانيفه: شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، إعجاز القرآن، العوامل المائة، العمدة في التصريف. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١١/٢٤٦، كحالة، معجم المؤلفين ٥/٣١٠، الزركلي، الأعلام ٤/٤٨ ـ ٤٩.

(٨٦٠) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) ص٥٤ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م ـ تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي.

(٨٦١) انظر [التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص٢٢١ ـ ص٢٢٢].

(كافر)[٨٦٢].

قال الأزهري: «هما لغتان»[٨٦٣]. إذاً فالحجَّة لمن فخم: أنَّه أتى به على الأصل، والحجَّة لمن أمال: فلكسرة الراء[٨٦٤].

والفتح فتح القارئ فاه بلفظ الحرف، وهو لغة الحجازيين، ولا سيما أبو جعفر المدني، وابن كثير، والتفخيم والفغر من قولهم فلان فغر فاه، أي فتحه.

الإمالة الكبرى: هي تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء والترقيق والإمالة مذهب حمزة والكسائي.

والتقليل (الإمالة الصغرى): النطق بالألف، بحالة بين الفتح والإمالة، ويسمى أيضاً بين بين، والتقليل مذهب ورش عن نافع.

والإمالة بنوعيها: لغة أهل نجد من بني أسد، وتميم، وقيس، وكلُ أسباب الإمالة ترجع باختصار إلى كسر موجود أو مقدر في اللفظ قبلاً أو بعداً، وتكون وظيفتها حينئذٍ إشعاراً بالكسر المقدَّر كما في **(هار)** الهاء الطويلة إشعار بكسرة هذه الهاء؛ لأن الأصل هير.

فمن قرأ بالفتح مطلقاً التي على الأصل وهي لغة الحجاز، فهذا لونٌ من ألوان الجمال، أما الإمالة المطلقة على لغة تميم، حيث إنّ العدول عن الأصل يكون التماساً للونٍ من ألوان الجمال، له ما يبرّره، فقد أمال إشعاراً بالأصل[٨٦٥].

وجمال آخر للإمالة: أنَّها تتناسب مع الجرف الهائر الساقط، فهي تتناسب مع السُّقوط والانهيار، في حين أنَّ قراءة الفتح تفيد أنَّ المبنى كان قائماً، فجاءت الإمالة تشعر بأنَّ هذا المبنى القائم، لم يكن على أسس متينة، لذلك مال وتعرَّض للانهيار السريع، والله أعلم.

والإمالة هنا حسنة، لِما في الرَّاء من التكرير، فكأنك قد لفظت بـ(رَاءين) مكسورتين، وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة[٨٦٦].

---

(٨٦٢) انظر [النشر (٢/٤٣)]

(٨٦٣) معاني القراءات ص٢١٦.

(٨٦٤) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٩٩].

(٨٦٥) انظر [الإتقان في علوم القرآن (١/٢٨٤ ـ ٢٨٨)، التَّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص١٥٠ ـ ١٥١].

(٨٦٦) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٢٤)].

الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنّ القرائتين قد جمعت بين أسلوبين فقد خاطب الله تعالى بأسلوبين: أسلوب التهديد والإنذار، وهذا ما دلت عليه قراءة عدم الإمالة. وأسلوب اللين والخطاب الرقيق، وهذا ما دلّت عليه قراءة الإمالة، والله أعلم(٨٦٧).

القراءة الرابعة:

قرأ حفص **(ورِضوان)** بكسر الراء، وقرأ شعبة **(ورُضوان)** بضم الراء.

والحجَّة لِمَن كسرها: أنَّه مصدر، والأصل فيه رضيتُ رضىً، ثم زِيدت الألف والنون، فرُدت الياء إلى أصلها، كما كان في الأصل في كفران: كفراً.

والحجَّة لمن ضم:

١ ـ أنَّه فرَّق بين الاسم والمصدر(٨٦٨).

٢ ـ أنَّ الضم في المصادر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝﴾ [الرحمن: ٥].

ومن قرأ باللغتين ليُعلم جوازهما(٨٦٩). ورِضوان بالكسر: لغة أهل الحجاز.

وبالضم: **رُضوان** لغة قيس وتميم(٨٧٠).

الجمع بين القراءتين:

نجد أنّ كلمة رضوان في اللغتين كلتيهما: المصدر، واسم المصدر أشدّ تعبيراً عن الرّضوان الخير من رضا، حيث إنّ المعنى الذي يؤديه

(٨٦٧) انظر [المعجزة الكبرى ص ٤٩].
(٨٦٨) ذكرت الفرق بين المصدر واسم المصدر سابقاً، راجع ص١٩٣ ـ الهامش رقم (٧٢٣).
(٨٦٩) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص٥٠].
(٨٧٠) انظر [المصباح المنير ص١٤٠].

المصدر المجرد عن رضا، لا يُغني بحال عن المعنى الذي يؤدّيه المصدر المزيد، فالتأسيس الحسن القويّ لأهل التقى لا يكمن في الرّضا المعتاد، ولكنّه يتجلّى في الرّضوان النّاتج عن تقوى الله؛ لهذا كما قلنا سابقاً كلمة **(رضوان)** في اللّغتين أشد تعبيراً عن الرّضوان العظيم(٨٧١). فكان البناء الذي بناه الباني لوجه الله تعالى، وللرّهبة من عقابه، والرّغبة في ثوابه أفضل وأكمل بناء، فيتناسب مع الرّضوان وخيريّته(٨٧٢).

٢٨ ـ ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [التّوبة: ١١٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر **(إلاّ أن تَقَطَّعَ)** **(إلاّ)**: بتشديد اللاّم، على أنّه حرف استثناء، و**(تقطّع)** بفتح التاء.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إلاّ أن تُقَطّعَ﴾ بضم تقطع.

٣ ـ وقرأ يعقوب **(إلى أن تَقَطّع)** **(إلى)**: بتخفيف اللام فجعله حرف جر، **(تقطّع)**: بفتح التاء(٨٧٣).

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(قطع) من القطع وهو إبانة بعض أجزاء الجُرْم من بعض فصلاً قطعة ومَقْطَعة، وقطعاً وقطيعة، وقطواعا، والقطع مصدر قطعت الحبل قطعاً فانقطع(٨٧٤) ... ومعنى ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ إلا أن يموتوا، وقال

(٨٧١) راجع ص١٩٣ ـ ١٩٤.

(٨٧٢) انظر [البحر المحيط (٧٢/٥)، مفاتيح الغيب (٢٠٠/٧)، التّوجيه اللُّغوي: د. صبري ص٨١ ـ ٨٢].

(٨٧٣) انظر [النشر (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧١].

(٨٧٤) انظر [لسان العرب (٢٨٠/٨)].

غيرهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطّع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم[(٨٧٥)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ﴾ يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدراً، أي: لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان. أمّا إذا كان البُنيان بمعنى المبنى، أو جمع بناية كان في الكلام حذفاً مضافاً تقديره: لا يزال بناء بنيانهم الذي بنوه ﴿رِيبَةً﴾ شكاً ونفاقاً في قلوبهم، والبُنيان هو مسجد الضِّرار والكفر، وهو مسجد النّفاق، فهم يظنّون أنّهم كانوا محسنين في بنائه ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ فلا يزال هذا البنيان شكاً في قلوبهم، حتى تتصدّع قلوبهم فيموتوا، أو حتى يتوبوا توبة يندمون على ما فعلوا، فيكونوا بمنزلة من قد قُطّع قلبُه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بجميع الأشياء، التي من جملتها ما ذُكر من أحوالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره إياهم، وتدبيره جميع خلقه[(٨٧٦)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن عامر، وحفص، وحمزة، وأبو جعفر **(إلاّ أن تَقطع)** بفتح التاء، والأصل إلا أن تتقطع، فحذفوا إحدى التّاءين؛ لاجتماع المثلين بحركة واحدة، وماضيه تقطّعت، فهي تتقطّع[(٨٧٧)].

وحجّة من قرأ بفتح التاء: أنّه جعله فعلاً لـ(القلوب) فرفعها به؛ لأنّها ـ القلوب ـ هي المتقطّعة بالبلاء، فهو محمولٌ على معنى تَبْلى قلوبهم فتتقطّع، و**(إلاّ)** حرف استثناء، والمستثنى منه محذوف، وقدّر **(إلاّ)** بتقدير (إلى وحتى)؛ لأنّ التّقطّع منتهى ينتهي إليه، (وإلى وحتى)، كلاهما للغاية فينتهي. ويعضده قراءة من قرأ حتى الممات **(وهو أُبيّ)**[(٨٧٨)] وقراءة من قرأ **(إلى أن)** وهي قراءة يعقوب[(٨٧٩)].

---

(٨٧٥) انظر [معاني القرآن: الزجّاج (٤٧١/٢)، معاني القرآن: النّحاس (٤٦٥/١ ـ ٤٦٦)].

(٨٧٦) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٢/١)، جامع البيان (٣٣/١١)، معاني القرآن: النّحاس (٤٦٦/١)، البحر المحيط (١٠١/٥)].

(٨٧٧) انظر [الحجّة: ابن زنجلة ص٣٢٤، الحجّة: ابن خالويه ص٩٩].

(٨٧٨) انظر [قراءة (أبي) في الكشف (٥٠٩/١)، وفي البحر المحيط (١٠١/٥)].

(٨٧٩) انظر [الكشف (٥٠٨/١)، المستنير: محمد سالم محيسن (٢٣٦/١)].

وفي هذه القراءة، أسند الفعل إلى القلوب، لمّا كانت هي البالية مثل مات زيد، ومرض عمر، وسقط الحائط، ونحو ذلك، ممّا يستند فيه الفعل إلى من حدث فيه، وإن لم يكن فيه(٨٨٠).

وعلى هذا فالمعنى: لا يزال هدم مبانيهم حزازة وغيظاً في قلوبهم؛ إلاّ أن تتقطّع قلوبهم قطعاً، وتتفرق أجزاءً بحيث لا يبقى لها قابلية إدراك، وإضمار (قطعاً). وهذا الاستثناء من أعمّ الأوقات وأعمّ الأحوال، ومحلُّه النّصب على الظّرفية، أي لا يزال بنيانهم ريبة في كلِّ الأوقات، أو كلِّ الأحوال؛ إلا وقت تقطّع قلوبهم، أو حال تقطّع قلوبهم فحينئذ يسْلون عنها، وأمّا ما دامت سالمة، فالرّيبة باقية فيها، فهو تصوير؛ لامتناع زوال الرّيبة عن قلوبهم، ويجوز أن يكون المراد حقيقة تقطّعها عند قتلهم أو في القبور، أو في النّار(٨٨١).

فقلوبهم لا تَثْلُج بالإيمان أبداً، ولا يندمون على الخطيئة، التي كانت منهم في بناء المسجد(٨٨٢).

وقرأ الباقون **(إلا أن تُقطّع)** بضم التاء على البناء للمفعول، مضارع قطع بالتشديد، و**(قلوبُهم)** نائب فاعل، والفعل أُضيف إلى المقطع المُبْلي(٨٨٣) للقلوب بالموت في المعنى وإن لم يُذكر في اللّفظ فأُسند الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة إلى القلوب. أي أنّه لمّا حُذِف الفاعل من اللفظ ولم يُسمَّ قامت **(القلوب)** مقامه، فارتفعت بالفعل، فالمعنى: إلاّ أن تُقطّع قلوبهم بالموت والبلاء، ويعضّد ذلك حرف أُبيّ **(حتى الممات)**(٨٨٤)

(٨٨٠) انظر [الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣٠)].

(٨٨١) انظر [إرشاد العقل السليم (٣/٤٤٣)].

(٨٨٢) انظر [الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣٠)].

(٨٨٣) يقال بلي الثوب، يبلى بلاءاً، أي رثَّ، والبلاء: بالضم كأنّه يبلي الجسم انظر [القاموس المحيط ص ١٦٣٢، منجد الطلاب ص٤٤، مادة بلا].

(٨٨٤) انظر [الكشف (١/٥٠٩)، الحجّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣١)، المستنير (١/٢٣٦)].

أو: إلاّ أن يُقطِّع الله قلوبهم بالإماتة، أي بأن يميتهم تعضدها، قراءة بعضهم، **(إلا ان تُقطِّع قُلُوبَهُم)**[٨٨٥] بضم التاء وكسر الطّاء على البناء للفاعل، وهو رسول الله ﷺ، على معنى: إلاّ أن تقطِّع أنت قلوبهم بقَتلهم[٨٨٦]، وهذا يدل على أنّهم يموتون على نفاقهم، فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوا من الإيمان، وأخذوا من الكفر[٨٨٧].

وهذه القراءة **(أن تُقطَّع)** الفعل المبني للمفعول يُعدُّ شاهداً رائعاً على بلاغة حذف المسند إليه حتى يرتسم في الذّهن كلُّ ما يمكن أن يُسند إليه الفعل، وهذا سبب من أسباب ثراء التَّفسير[٨٨٨].

الجمع بين القراءتين:

يقول الطبري: «والقول عندي في ذلك، أنَّ الفتح في التاء والضم متقاربا المعنى؛ لأن القلوب لا تتقطّع إذا تقطعت إلا بتقيطع الله إياها، ولا يقطّعها الله إلا وهي متقطعة، وهما قراءتان معروفتان»[٨٨٩].

أما القراءة الثّالثة: فقرأ بها يعقوب وهي **(إلى أن تَقَطَّع)** على معنى إلى أن يموتوا، أو إلى أن يتوبوا توبة نصوحاً، يكون معها من النّدم والحسرة على الذّنب ما يقطّع القلوب همّاً وفكراً[٨٩٠]. وبالجمع نلاحظ: أنَّ القراءة الثّالثة قد شرحت ووضّحت وساعدت، في فهم القراءتين السّابقتين.

الجمع بين القراءة الثّالثة والقراءتين السّابقتين:

والعلاقة بين قراءة **(إلى أن تقطّع)** وبين قراءة ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ (التاء: مضمومة ومفتوحة) تنوُّع أسلوب الآية في القراءتين وكلاهما خبر؛ إلاّ أنّه في

(٨٨٥) انظر [هذه القراءة في البحر المحيط (١٠١/٥)].

(٨٨٦) انظر [الفريد (٥١٥/٢)].

(٨٨٧) انظر [الحجّة: أبو علي الفارسي (٢٣١/٤)].

(٨٨٨) انظر [التّوجيه اللُّغوي والبلاغي: د. صبري ص٢٢٣].

(٨٨٩) جامع البيان (٣٥/١١).

(٨٩٠) انظر [المحرر الوجيز (٨٦/٣)].

القراءة الأولى (إلى) أخبر عن غاية الرّيبة في قلوبهم، وهي أن تقطّع يعني: إمّا بالموت وإمّا بالتّوبة[٨٩١].

أمّا في القراءة الثانية (إلا) أخبر عن الريبة، أنّها لا تزال في بنيانهم في كلِّ وقت، باستثناء وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال باستثناء حال، تقطيعها بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك والإضمار[٨٩٢].

٢٩ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التّوبة: ١١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (**فيُقتلون ويَقْتلون**) بتقديم الفعل المجهول فيهما.

٢ ـ وقرأ الباقون (**فيَقتلون ويُقتلون**) بتقديم الفعل المسمّي الفاعل فيهما[٨٩٣].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

قَتَلَ قَتْلاً وتَقْتَالاً أي أمات، وقَتَلْتُهُ قتلاً أزهقت روحه فهو قتيل، وأقتَلَهُ عرضه للقتل[٨٩٤].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ ترغيب للمؤمنين في الجهاد وذلك ببيان فضيلته، إثر بيان حال المتخلّفين عنه. وعبّر عن قبول الله من

---

(٨٩١) انظر [القراءات وأثرها في التّفسير والأحكام: محمد بازمول ق٢ (٩١٦/٢)].

(٨٩٢) انظر [إتحاف فضلاء البشر (٩٩/٢)].

(٨٩٣) انظر [النشر (١٨٥/٢)، البدور الزاهرة ص ١٧٢].

(٨٩٤) انظر [القاموس المحيط ص١٣٥٢، أساس البلاغة ص٣٥٤، المصباح المنير ص٢٩١].

المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بمقابلتها الجنّة بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية، ثم جُعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أَنفُسَ المؤمنين وأموالهم، والثمنُ الذي هو الوسيلة في الصّفقة الجنّةُ، ولم يُجعل الأمر على العكس. وذلك ليدل أنّ المقصد في العقد هو الجنّة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها. ثم أنّه لم يقل بالجنّة بل قيل: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ مبالغة في تقرير وصول الثّمن إليهم. واختصاصه بهم ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ استئناف؛ وذلك لبيان البيع الذي يستدعيه الشراء المذكور ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ المؤمن يقاتل في سبيل الله حتى يُقتل ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وعدهم الله الجنة وعداً مثبتاً ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ كما هو مثبت في القرآن ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ فالمقصود إنكار المساواة، ونفيها قطعاً.

أي: لا أحد أوفى بما وَعَدَ مِن الله ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ التفات إلى الخطاب، تشريفاً لهم على تشريف، والاستبشار إظهار السرور ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ أي أظهروا السرور على ما فزتم به من الجنّة ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي الجنّة أو البيع والشراء ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي لا فوز أعظم منه[٨٩٥].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف **(فيُقتلون ويَقتلون)** على البناء للمفعول والثاني على البناء للفاعل، فهنا يبدأ بالمفعولين قبل الفاعلين، وهذا مدحٌ؛ لأنّ من طلب الموت لا يقف له خصمه، فيكون المعنى، فطلبوا أن يكونوا مقتولين فقَتلوا أقرانهم[٨٩٦]. ففي هذه القراءة بيان لحبهم للشهادة في سبيل الله وحرصهم عليها.

(٨٩٥) انظر [إرشاد العقل السليم (٣/٤٤٦ ـ ٤٤٧)، المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص ٢٨٠، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة القرآن والسنة ـ ط١٨ ـ القاهرة ـ ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م].

(٨٩٦) انظر [نظم الدرر (٣/٣٨٩)].

ويجوز أنْ يكون النَّظر للمجموع، فيكون المعنى: بعد أن يُقتل منهم، ويروا مصارع أصحابهم، من غير أنْ يوهنهم ذلك، وإنما قُتل بعضهم، فقَتل الباقون القاتلين[897] وهو كقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وجاز أن يكون المعنى مثل القراءة الثانية. أي: يَقتلون فيُقتلون؛ لأنّ المعطوف بالواو، يجوز أن يراد به التّقديم[898].

وقرأ الباقون ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ على البناء للفاعل (المقدم) فهنا يبدأ بالفاعلين قبل المفعولين، وحجتهم في ذلك: أنَّ الله وصفهم بأنَّهم قاتلوا أحياء ثم قُتلوا بعد أن قاتلوا، وبحجَّة أيضاً: أنَّه إذا أخبر عنهم، وبدا بأنَّهم قد قُتلوا، فمحال أن يَقتلوا بعد هلاكهم. هذا ما يوجبه ظاهر الكلام[899]. وتدل هذه القراءة على شدة المسلمين وحرصهم على قتل أعدائهم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

الإسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما، ولا اشتراط الاتّصاف بأحدهما ألبتّة، بل بطريق وصف الكل بحال البعض، فأنَّه يتحقق القتال من الكل، سواء وُجد الفعلان أو أحدُهما منهم أو من بعضهم، بل يتحقق ذلك، وإن لم يصدر منهم أحدهما أيضا، وكذلك يتحقق للجهاد بمجرد العزيمة والنّفير وتكثير السواد، وتقديم حالة القاتلية (ويَقتلون) على حالة المقتولية للإيذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقاً لكون القتال بذلاً للنفس، وقرئ بتقديم المبني للمفعول (ويُقتلون) رعايةً؛ لكون الشهادة عريقة في الباب، وإيذاناً بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه أحب إليهم من السّلامة[900].

(٨٩٧) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص ٣٢٥، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٥٦/١)].
(٨٩٨) انظر [مجمع البيان (١٤٦/١١)].
(٨٩٩) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص٣٢٥، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٥٦/١)].
(٩٠٠) انظر [إرشاد العقل السليم (٤٤٥/٣)].

٣٠ - ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ هشام (إبراهام) في الموضعين بفتح الهاء وألف بعدها فيهما.

٢ - وقرأ الباقون ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ في الموضعين بكسر الهاء وياء ساكنة مدية بعدها فيهما(٩٠١).

ثانياً: المعنى اللغوي:

إبراهيم: هو اسم قديم ليس بعربي، وقد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها: إبراهيم، إبراهام، وأبراهم بحذف الياء، وإبْرَهَم، وهو اسم سريانيّ معناه: أبٌ رحيم، وقيل مشتق من البرهمة، وهي شدة النظر. وهو ابن آزر، ويرجع نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام ويقال أنه عاش مائة وخمسة وسبعين عام(٩٠٢).

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

وعد إبراهيم - عليه السلام - أباه أن يستغفر له؛ لرجائه إيمانه، فلما مات على شركه تبرأ من أفعاله ومن الاستغفار له، ووصفه الله سبحانه بالأوّاه حيث إنَّه يكثر التأوه، وهو كناية عن فرط ترحم ورأفة قلبه، ووصفه أيضاً بالحليم أي الصبور على الأذى(٩٠٣).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

ذكر أبو منصور أنَّ القراءة (إبراهيم) بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ (إبراهام) بالألف فهي لغة غير عربية تركت على حالها لم تُعرَّب(٩٠٤).

---

(٩٠١) انظر [النشر (٢/١٦٦) (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧٢].

(٩٠٢) انظر [معجم المقاييس ص١٦٦، الإتقان (٢/١٠٦٣ - ١٠٦٤)].

(٩٠٣) انظر [جامع البيان (١١/٤١ - ٥٣)، صفوة التفاسير (١/٦٥)].

(٩٠٤) انظر [معاني القراءات الأزهري ص٦٣].

والألف يعتبر حرف مد وعلة ولين دائماً لأنَّ ما قبله لا يكون إلا مفتوحاً، بخلاف الواو والياء فهما حرفا لين إن سكنا والفتح على ما قبلهما، وهما حرفا مد وعلة إن كانت حركة ما قبلهما من جنسهما(٩٠٥).

فقراءة الألف هنا تفيد زيادة في الوصف، والمبالغة فيه وذلك لزيادة مدة فتحة الألف على مدة فتحة الياء، وللكلام الذي سبق ذكره، فيكون تفسير الآية على هذا، أن إبراهيم عليه السلام كان شديد الرأفة والرحمة. أما قراءة (إبراهيم) بالياء تفيد ثبوت الصفة به وملازمتها له وأنها متأصلة فيه عليه السلام؛ وذلك لأن صيغة فعيل تدل على ثبوت الصفة(٩٠٦).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أن كل قراءة أثرت المعنى بمفهوم جديد فقراءة (إبراهيم) أفادت أنه يتصف بشدة الرحمة والرأفة، وقراءة (إبراهام) أفادت بأن هذه الصفة متأصلة به ولم يكتسبها اكتساب فإبراهيم اسم على مسمى، وجاء وصف الله له بأوّاه يؤكد هذه المعاني والله أعلم.

٣١ ـ ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمر (**العُسُرة**) بضم السين.

ب ـ وقرأ الباقون (**العُسْرة**) بسكون السين(٩٠٧).

٢ ـ أ ـ قرأ حمزة، وحفص (**كاد يزيغ**) بالياء على التذكير.

(٩٠٥) انظر [أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب ص٢٠٩].

(٩٠٦) انظر [معاني الأبنية في العربية ص٩٤].

(٩٠٧) انظر [النشر (١٦٢/٢)، البدور الزاهرة ص ١٧٢].

ب ـ وقرأ الباقون (كاد تزيغ) بالتاء على التأنيث[908].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(عسر) من العسْر، والعُسُر: ضد اليسر، وهو الضّيق والشّدة والصّعوبة، ويجوز أن يكون العُسُر لغة في العُسْر، كما قالوا: كلُّ اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن، من العرب من يثقّله، ومنهم من يخفّفه مثل عُسْر، وعُسُر. والعُسرة: قلة ذات اليد، والعُسْرة: الهم. والمصدر: الإعسار. وقيل: العسر هو المصدر[909].

(زيغ) الزيغ: الميل، زاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً وزيوغاً، تزيغ القلوب: أي تميل عن الهدى والقصد وتضل[910].

ثالثاً: سبب نزول هذه الآية:

روى البخاري عن كعب بن مالك قال: «لم أتخلّف عن النّبي ﷺ في غزوة غزاها إلا بدراً، حتى كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزوة، وآذن الناس بالرحيل . . . فأنزل الله توبتنا: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ إلى قوله. . . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التّوبة: ١١٨]، قال: وفينا نزل أيضاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التّوبة: ١١٩]»[911].

رابعاً: التّفسير الإجمالي للآية:

بعد شرح أحوال غزوة تبوك باستغراق، وأحوال المتخلّفين عنها، عاد في هذه الآية إلى شرح ما بقي من أحكامها. وهذا أسلوب القرآن في تفريق الآيات في الموضوع الواحد؛ للتأثير على النّفس، فذكر توبة الله على النّبي والمهاجرين. فقال سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وتوبة الله تكون على ثلاثة أقسام: دعاؤه إلى التّوبة، يقال: تاب الله على

(٩٠٨) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص ١٧٢].

(٩٠٩) انظر [لسان العرب (٤/٥٦٣ ـ ٥٦٤) مادة عسر].

(٩١٠) انظر [لسان العرب (٨/٤٣٢) مادة زيغ].

(٩١١) البخاري رقم (٤٤١٨) في فتح الباري (٨/١١٣ ـ ١١٦) ـ ٦٤ كتاب المغازي ـ ٧٩ باب حديث كعب بن مالك.

فلان، أي دعاه. ويقال: تاب الله عليه: يسَّره للتوبة، ويقال: تاب عليه: ثبَّته عليها، ويقال: تاب عليه: قَبل توبته، وذلك كلُّه صحيح، وقد جمع ذلك كلَّه لـ﴿ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وتوبة الله على النَّبي، ردُّه من حالة الغفلة إلى حالة الذكر ـ وليست التوبة نقص بحق الرسول ﷺ بل هي من أفضل الكمالات لأنها ترفعه درجات عند الله[٩١٢] ـ وتوبة المهاجرين والأنصار، رجُوعُهم من حالة المعصية إلى الطاعة، وانتقالهم من الكسل إلى النشاط وهكذا.

والمعنى: ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التَّوبة، حتى النَّبي ﷺ والمهاجرين والأنصار لقوله تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

وكأنَّه يذكر سبب توبتهم فيقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي في وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عُسْرة، وكانوا في شدَّة من الظهر، يعتقب العشرة على بعير واحد، وفي شدَّةٍ من الزاد، وبلغت بهم الشدَّة، أن يقسموا التمرة عليهم جميعاً، وفي شدَّةٍ من الماء، حتى نحروا الإبل، وشربوا من ماء كروشها من الحر، وفي شدَّة زمانٍ من الجدب والقحط؛ لذلك سمّيت بغزوة (الْعُسْرَة)، وسمّي جيشها بجيش العسرة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يقول ابن العربي[٩١٣]: «وهذا ليس للنبي ﷺ فيه مدخل باتفاق من الموحّدين» والمعنى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم من الشّباب على الإيمان، أو عن إتباع الرّسول في تلك الغزوة والخروج معه، وذلك للشّدّة، وليس أن يزيغ عن الإيمان ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ تكرير للتّأكيد، وفيه تنبيه على أن توبته سبحانه بمقابلة ما

(٩١٢) انظر [التفسير الكبير: ابن تيمية (٣٨٩/٤ ـ ٣٩٠) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م] تكلم في هذا المعنى بتوسع.

(٩١٣) أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي الاشبيلي المالكي من حفاظ الحديث، ولد سنة ٤٦٨هـ وتوفي سنة ٥٤٣هـ، انظر [الأعلام (٢٣٠/٦)، نفح الطيب (١٩٩/٢ ـ ٢١٢)].

قاسوه من الشَّدائد ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي بالمؤمنين لذلك تاب عليهم[٩١٤].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ أبو عمرو (العُسُرة) بضم السين، وقرأ الباقون (العسْرة) بسكون السين، وقد سبق نظير هذه القراءة[٩١٥]. مع مراعاة أنَّ الضم يدل على شدة وثقل هذه العسرة التي مرَّ بها المؤمنون.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة وحفص (**كاد يزيغ قلوب فريق منهم**) بالياء على التَّذكير (**يزيغ**) وهذا نمط فريد لجملة (**كاد**) من أفعال المقاربة، وهي تتكون أساساً مما يلي:

١ ـ الفعل النَّاقص (**كاد**) وهو يتصرف تصرفاً ناقصاً أي يأتي منه الماضي والمضارع فقط.

٢ ـ الاسم ويكون بعدها مرفوع.

٣ ـ الخبر ويكون جملة فعلية، فعلها مضارع يرفع ضمير الاسم السَّابق، مجرد من (**أن**) وهي تفيد الدِّلالة على وقوع الفعل بعَسْر، ونفيها نفي، وإثباتها إثبات. وفائدتها أنَّها ترد بمعنى أراد[٩١٦].

وقد أراد بعض العلماء، أن يجعل هذا الموضع شاهداً على التَّركيب الأصلي لجملة (**كاد**) فقدروا محذوفاً بعدها، تقديره (القوم)، فيكون المعنى: من بعد ما كاد القوم يزيغ قلوب فريق منهم.

---

(٩١٤) انظر [معاني القرآن وإعرابه: الزجّاج (٤٧٤/٢)، أحكام القرآن: ابن العربي (٥٩٥/٢)، مفاتيح الغيب (١٧٠/١٦ ـ ١٧١)، مدارك التنزيل (٤٤٨/٢)، إرشاد العقل السليم (٤٥٠/٣ ـ ٤٥١)].

(٩١٥) راجع آية ٩٩ من سورة التوبة ص٢٠١.

(٩١٦) انظر [الإتقان (٥٣٢/١ ـ ٥٣٣)].

وجنح بعض العلماء إلى جعل الجملة نمطاً فذاً لا يخضع لضوابط النُّحاة، وخلاصة ما قالوا:

١ ـ أنَّهم جعلوا اسم كاد، ضمير الشَّأن محذوفاً، وهو المنقول عن سيبويه[٩١٧] والتّقدير: من بعد ما كاد الشَّأن يزيغ قلوب فريق منهم، حين أشرفوا على الزَّيغ، ولكنَّ المرفوع هنا، ليس ضميراً يعود على اسم كاد، بل ولا سبباً له.

فيكون اسم كاد ضمير الشأن، وجعل الاسم هنا ضمير الشأن؛ لتهويل شأنِهم حين أشرفوا على الزيغ، وارتفعت القلوب بـ (الزيغ)، ولأجل هذا الإضمار أن يلي (يزيغ) كاد فكأنَّه ذلك المضمر حال بينهما وصارت (يزيغ قلوب) خبر كاد[٩١٨].

٢ ـ جعلوا اسم كاد كلمة (قلوب) على أساس توسط الخبر. والمعنى: من بعد ما كادت قلوب فريق منهم تزيغ[٩١٩]، وهذا التّقدير في قراءة من قرأ بالتاء يحسن، فأجازوا أن ترتفع (القلوب) بـ(كاد) ويقدر في (يزيغ) التَّأخير، ولكن المعهود أن يكون الخبر المتوسط اسماً مفرداً نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٣ ـ جعلوا (كاد) زائدة ومعناها مراد ولا عمل لها، واستأنسوا بقراءة عبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ الشاذة (من بعد ما زاغت) بإسقاط كاد؛ ولكنَّ المعهود أيضاً زيادة (كان) دون (كاد)[٩٢٠].

والحجَّة لمن قرأ بالياء: أنَّه حمله على تذكير كاد، أو لأنَّه جمعٌ ليس لتأنيثه حقيقة أو على تذكير الجمع[٩٢١]، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، وحجَّة هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة:

(٩١٧) انظر [كتاب سيبويه (٧١/١)].

(٩١٨) انظر [التحرير والتنوير (٥٠/١١)].

(٩١٩) انظر [الكشف (٥١٠/١)].

(٩٢٠) انظر [مفاتيح الغيب (١٧١/١٦)، البحر المحيط (١٠٩/٥)].

(٩٢١) انظر [كتاب سيبويه (٤٠/٢)].

١١٣][(٩٢٢)].

وقرأ الجمهور (كاد تزيغ) بالتأنيث، والتقدير: من بعد ما كادت قلوب فريق تزيغ. ونفس التوجيه الذي قلناه هنالك بخصوص تركيب جملة (كاد) نقوله هنا، مع ملحظ جديد يقتضيه المقام وهو أن:

١ ـ فعل جماعة يتقدم لمذكر أو مؤنث إن شئت أنَّث فعله إذا قدمته، وإن شئت ذكرته، فإذا أنَّثت أردت جماعة، وإذا ذكرت أردت جمعاً(٩٢٣)، والحجَّة في هذه القراءة الأخيرة قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤].

٢ ـ أنَّه يجوز تأنيث الفعل وتذكيره، لأنَّ الفاعل مؤنث غير حقيقي، ولأنَّ الفاعل جمع تكسير(٩٢٤).

٣٢ ـ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة (ضَاقَت) بالإمالة في الموضعين من الآية.

٢ ـ وقرأ الباقون (ضَاقَت) بالفتح بدون إمالة(٩٢٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ضاقت: من الفعل ضاق، وهو خلاف اتسع فهو ضيّق، وضاق صدره حَرِجَ فهو ضيق، وضاق بالأمر ذرعاً أي شق عليه، والمصدر الضيق بمعنى الشدة(٩٢٦).

---

(٩٢٢) انظر [الحجَّة: ابن خالويه ص١٠٠، الكشف (١/٥١٠)].
(٩٢٣) انظر [الحجَّة: ابن زنجلة ص٣٢٥].
(٩٢٤) انظر [كتاب سيبويه (٢/٤٨)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/٨٩ ـ ٩٥)].
(٩٢٥) انظر [النشر (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧٣، في هامش القرآن ص٢٠٦].
(٩٢٦) انظر [المصباح المنير ص٢١٩، منجد الطلاب ص٤٣٢].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

أخبر تعالى أنَّه تاب على النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار في الآية السابقة لهذه الآية، وأيضاً تاب على الثلاثة الذين خُلِّفوا، وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قبل، هم الآخرون الذين قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] فجاءت هذه الآية تبشرهم بأن الله تاب عليهم وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار(٩٢٧).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من قرأ (ضاقت) بالفتح فإن هذه القراءة توحي بالشدة والكربة والضيق الذي كان يشعر به هؤلاء الثلاثة لدرجة أنَّ الأرض (ضاقت) عليهم على سعتها بالخلق جميعاً؛ خوفاً من العاقبة، وجزعاً من إعراض النبي ﷺ، ومنع المؤمنين من مكالمتهم، وأمر أزواجهم باعتزالهم، حتى بقوا على هذه الحالة خمسين يوماً أو أكثر، وضاقت صدورهم أيضاً بسبب هذا الهم(٩٢٨)، فضاقت إشارة إلى عظيم الأمر وأكدها بأداة الإستعلاء.

ومن قرأ (ضاقت) بالإمالة، فقد ذكرت توجيه نظير هذه القراءة سابقاً فليرجع إليها(٩٢٩).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

تظهر في مسموع تلاوة النص سمة صوتية ونغمات يمثلها التناسب في الإمالة إذا كان القارئ يميل، وفي الفتح إذا كان يؤثر الفتح، وهذا من الإعجاز الموسيقي في القرآن، كما أنَّ قراءة الفتح بينت الشدة التي كان بها هؤلاء الثلاثة والإمالة بينت أنَّه لا بد من لين وفرج بعد هذه الشدة والله أعلم.

---

(٩٢٧) انظر قصتهم في صحيح البخاري رقم ٤٤١٨ في فتح الباري (١١٣/٨) ـ ٦٤ كتاب المغازي ـ ٧٩ باب حديث كعب بن مالك، وفي جامع البيان (٥٨/١١).

(٩٢٨) انظر [المحرر الوجيز (٩٤/٣)، نظم الدرر (٣٩٨/٣)، التفسير المنير (٦٧/١١)].

(٩٢٩) راجع ص٨٢ ـ ٨٣، ص١٦٩.

٣٣ ـ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٢٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (ولا يطَوْن) بحذف الهمزة فيصير النطق بواو ساكنة بعد الطاء المفتوحة، ولحمزة في الوقف عليه وجهان: الوجه المتقدم، والتسهيل بين بين.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾ بالهمزة المحققة.

٢ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر بخلف عنه (موطياً) بإبدال الهمزة ياء خالصة وصلاً ووقفاً، وبهذا الوجه وقف حمزة.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿مَوْطِئًا﴾ بالهمزة المحققة، وهو الوجه الثاني لأبي جعفر(٩٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

وطأ: كلمة تدل على تمهيد شيء وتسهيله، ووطي من وطّى توطية، ووطّى الشيء: أي خفضه وحطه ووطئته برجلي أطَؤه وطْئاً أي علوته(٩٣١).

ثالثاً: التفسير الإجمالى للآية:

﴿مَا كَانَ﴾ ما جاز ﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ سكان البوادي، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ﴿أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن

(٩٣٠) انظر [النشر (٣٠٩/١)، (٢١١/٢)، البدور الزاهرة ص١٧٢، في هامش القرآن ص٢٠٦].

(٩٣١) انظر [لسان العرب (٤٨/١٢) مادة وطأ، المصباح المنير ص٣٩٥، منجد الطلاب ص٩٢٧].

﴿رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ في الغزوة ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ لا يرغبوا بصحبة أنفسهم، عن صحبة النبي ﷺ في الجهاد ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخروج ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش في الذهاب والمجيء ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ ولا تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ ولا مجاعة ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الجهاد ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ولا يطؤون أرضاً يغيظ الكفار وطؤهم إياها ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ قتلاً وهزيمة ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾ ثواب عمل صالح في الجهاد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لا يبطل ثواب المؤمنين في الجهاد(٩٣٢).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

من قرأ (ولا يطؤون ـ موطئاً) بالهمز المحقق فإنه يدل على ثقل الوطأ، ويعم كل موطأ يغيظ الكفار سواء كان من أمكنة الكفار أم من أمكنة المسلمين إذا كان في سلوكه غيظهم، والوطأ يدخل فيه بالأرجل والأخفاف والحوافر وهذا المعنى يتناسب مع ثقل الهمز، ويجوز أن يكون الوطأ هنا مستعار لإذلال العدو وغلبته وإبادته(٩٣٣).

أما قراءة (ولا يطَوْن ـ موطِياً) بدون همز، فالحجة لمن قرأ بهما أنهم أرادوا التخفيف، ووطّى بمعنى خفض وحطّ، وحذف الهمزة يدل على الخفة فيكون المعنى أنهم لا يدوسون بأرجلهم أو حوافر خيولهم مكاناً صغيراً يُغضب الكفار.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يتبين أنَّ قراءة الهمز فيها العموم سواء في أمكنة الكفار أو أمكنة المسلمين ففي هذا الوطأ يكون غيظ الكفار، أما القراءة بدون همز فلم تعمم المكان، وقراءة الهمز فيها معنى ثقل الوطأ في حين أن القراءة بدون همز لا تحمل الثقل فيكون المعنى أنَّ هذا الوطأ سواء كان وطئاً خفيفاً أو ثقيلاً

(٩٣٢) انظر [جامع البيان (٦٤/١١)، معاني القرآن وإعرابه الزجاج (٤٧٥/٢)، المقتطف من عيون التفاسير (٤٤٠/٢)].

(٩٣٣) انظر [البحر المحيط (١١٢/٥)، التحرير والتنوير (٥٦/١١)].

يُكتب لهم به عمل صالح والله أعلم.

٣٤ ـ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة، ويعقوب (**أولا تَرون**) بالخطاب.

٢ ـ وقرأ الباقون (**أولا يَرون**) بالغيب[٩٣٤].

ثانياً: المعنى اللُّغوي للقراءات:

(رأى) يرى رأياً، ورؤية، وراءه، ورئيانا: نظر بالعين أو بالعقل، وأصلها يرأى ولا تستعمل؛ إلا نادراً على أصلها.

والرُّؤية: النَّظر بالقلب، وأما الرُّؤية بالعين: فتتعدَّى إلى مفعول واحد، وبمعنى العلم تتعدَّى إلى مفعولين[٩٣٥].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية عطف على جملة ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التَّوبة: ١٢٥]، فهي من تمام التَّفصيل، والاستفهام هنا ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ هو استفهام إنكار وتعجيب، لعدم رؤيتهم فتنتهم، فلا تعقبها توبتهم ولا تذكرهم أمر ربهم، والغرض منه بيان ازدياد كفر المنافقين[٩٣٦].

والمعنى العام للآية: ألا يزدجر هؤلاء المنافقون عن ضلالهم القديم، ويرجعون عن كفرهم، ويتذكرون، ويعتبرون، وهم يرون أنَّهم يُختبرون كل عام مرة أو مرتين، ويبتلون بالقحط والمرض، ويريهم الله في الجهاد ما يُنْزله على نبيه من نصر وتأييد، أو يفتنهم الشيطان فينقضون العهود مع رسول الله ﷺ، فيقتلهم وينكل بهم؟ ومع هذه الدلائل الواضحة الموجبة

---

(٩٣٤) انظر [النشر (٢/٢١١)].

(٩٣٥) انظر [لسان العرب (١٤/٢٩١)].

(٩٣٦) انظر [التحرير والتنوير (١١/٦٧)].

للإيمان، فهم لا ينزجرون ولا يعتبرون بما رأوه من تأييد الله لنبيه وللمؤمنين، ولا ينتهون عن كفرهم(٩٣٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، ويعقوب (**أولا ترون**) بالتاء على المخاطبة من الله للمؤمنين والتّنبيه لهم، فقد نبّه المسلمون على قلَّة اعتبار المنافقين، وقلَّة اتّعاظهم، بالرغم من أنَّهم يُمتَحنون بالأمراض والأسباب التي لا يؤمَنُ معها الموت، إلا أنَّهم لا يزدجرون بها عن نِفَاقهم.

فالخطاب هنا والرُّؤية (**أنتم فقط**) لمحمد ﷺ وأصحابه وعظة لهم، وهو على جهة التَّعجب(٩٣٨).

وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿أو لا ترى أنهم﴾(٩٣٩) والعرب تقول: ألا ترى للقوم، وللواحد، كالتَّعجب، وكما قيل: «ذلك أزكى لهم، وذلكم»(٩٤٠).

وقرأ الباقون ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء على الغيب، على الإخبار عن المنافقين؛ لتقدم ذكرهم، وفي الكلام معنى التَّوبيخ لهم، والتَّقريع على تماديهم على نفاقهم مع ما يرون من الفتن والمحن في أنفسهم، فلا يتوبون من نفاقهم.

وتكون: يرى من رؤية العين أو من رؤية القلب، وتسد (أنَّ) مسدّ المفعولين، وكونه من رؤية العين أحسن؛ لأنَّه عِلمٌ لا يدخله ريب، فذلك أقوى عليهم بالحجَّة، وأيضاً لأن رؤيتهم لِمَا يحل بهم أعظم في الحجَّة عليهم، من رؤية غيرهم لما يَحِل بهم.

---

(٩٣٧) انظر [الكشاف (٢/٢٢٢)].

(٩٣٨) انظر [الحجَّة: أبو علي الفارسي (٤/٢٣٢ ـ ٢٣٣)، والمستنير (١/٢٣٨)].

(٩٣٩) هذه القراءة عن ابن مسعود وأُبي، ذكرها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط (٥/١١٦).

(٩٤٠) انظر [معاني القرآن: الفرَّاء (١/٤٥٥)].

وجاء الفعل بالياء هنا جرياً على قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٥][٩٤١] فيكون معنى الآية: أفلا يرى هؤلاء المنافقون، أنَّهم يفتنون قيل: بالجوع، وقيل: بالمرض، وقيل: بالجهاد، ولكن ابن عطيّة[٩٤٢] يقول: «يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أنَّ الفتنة والاختبار، إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجَّة برؤيته وترك التَّوبة. أما الجهاد فلا يترقَّب معهما ما ذكرناه»[٩٤٣].

ومعنى الآية على هذا: أفلا يزدجر هؤلاء الذين تُفضح سرائرهم كلَّ سنة مرة أو مرتين، ويعلمون أنَّ ذلك من عند الله، فيتوبون ويتذكَّرون وعد الله ووعيده[٩٤٤].

وإذا كانت الفتنة بمعنى الجوع أو المرض أو الجهاد، فالمعنى: أفلا يرون أنَّهم يفتنون ويبتلون بالمرض، والقحط، ثم لا يتوبون من نفاقهم ولا يعتبرون، أو يبتلون بالجهاد مع رسول الله ﷺ، ويعاينون أمره وما يُنْزل الله عليه من النَّصر وتأييده، أو يفتنهم الشيطان، فينقضوا العهود مع رسول الله ﷺ فيقتلهم ثم لا ينزجرون[٩٤٥].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالنَّظر إلى قراءة الجمهور ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالغيب، تفيد أنَّ المقصود من

---

(٩٤١) انظر [الكشف (٥٠٩/١)، إعراب القراءات: ابن خالويه (٢٥٨/١)، المستنير (٢٣٩/١)].

(٩٤٢) ابن عطية: هو عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحاربي، بن محارب قيس الغرناطي، أبو محمد: مفسر، فقيه، أندلسي من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث، له شعر، ولد في سنة ٤٨١هـ ـ ١٠٨٨م، وولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات، وتوفي سنة ٥٤٢هـ ـ ١١٤٨م، انظر السيوطي، بغية الوعاة ٢٩٥، كحالة، معجم المؤلفين ٥/ ٩٣، الزركلي، الأعلام ٣/ ٢٨٢.

(٩٤٣) المحرر الوجيز (٩٩/٣).

(٩٤٤) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(٩٤٥) انظر [البحر المحيط (١١٧/٥)].

الخطاب هم المنافقون، وهذا فيه توبيخ لهم، وأمّا قراءة حمزة ويعقوب **(ترون)** فالمقصود: النّبي ﷺ والصحابة، فيكون من تنزيل الرّائي منزلة غيره، حتى ينكر عليه عدم رؤيته ما لا يخفى وهو على جهة التّعجب[٩٤٦]، وذلك الأسلوب من باب الالتفات[٩٤٧] فمعنى أسلوب الغيب (أَوَلا يَرَوْنَ) يدل على تفظيع ما عملوه، فهم ليسوا حريين بهذا الخطاب، ولكنَّ أسلوب الخطاب **(ترون)** فيه نظرٌ إلى جهة أخرى، وهو توجيه المؤمنين، والتنبيه لهم على قلة اتعاظ المنافقين، بالرغم مما يحصل وما حصل لهم، والله أعلم.

وجمع آخر: وهو أنَّ الله أراد أن تكون الرُّؤية للجميع - للنبي والمؤمنين - كما أشارت إليها قراءة الخِطاب، والرُّؤية للكفار كما أشارت إليها قراءة الغيب، وبذلك يكون الخطاب عامةً والله أعلم.

---

(٩٤٦) انظر [التحرير والتنوير (٦٧/١١)].

(٩٤٧) الالتفات: هو الانتقال من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صاحبه، أو هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى، والعرب تنتقل في كلامها من أسلوب إلى أسلوب، وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والتّصرف فيه، وانتقال الكلام من أسلوب إلى أسلوب أحسن تطرية لنشاط السامع، وفيه إيقاظ للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وصيانة لخاطره من الملل والضّجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، وهذه فائدة الالتفات العامة انظر [البرهان (٣١٤/٣)، الاتقان (٩٠٢/٢)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي ص٢٦١ - مؤسسة المعارف - بيروت، الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب البغدادي ص١٥٧ - منشورات الكتب - لبنان - ط٤، الفوائد المشوق في علوم القرآن: ابن الجوزية ص٩٨ - مكتبة المتنبي - القاهرة - ط١ - ١٩٨٣م].

الفصل الثالث

تفسير سورة يونس في ضوء القراءات القرآنية العشر



المبحث الأول:
بين يدي السورة

سورة يونس سورة مكية على المشهور[٩٤٨]، وقيل في بعض آياتها أنها مدنيّة على اختلاف في ذلك[٩٤٩].

ولكن صاحب الظلال ينفي ذلك حيث يقول عنها: «يصعب تقسيمها إلى قطاعات متميزة؛ لأنَّ الظاهر من سياقها، أنها لُحمة واحدة تواجه واقعاً متصلاً»[٩٥٠].

نزلت بعد سورة الإسراء وقبل سورة هود، وسورة يونس وهود متواليتان في ترتيب المصحف، وفي ترتيب النزول أيضاً[٩٥١]. عدد آيات سورة يونس مائة وتسع آيات في عد أكثر الأمصار ومائة وعشر في عد أهل الشام[٩٥٢].

وهي من أواخر ما نزل من القرآن بمكة، فهي السورة الحادية والخمسون في ترتيب نزول السور، نزلت سنة إحدى عشرة بعد البعثة[٩٥٣].

---

(٩٤٨) انظر [البحر المحيط (١١٩/٥)، نظم الدرر (٤١١/٣)].
(٩٤٩) انظر [معالم التنزيل (٢٨٩/٢)، مفاتيح الغيب (٣/١٧)].
(٩٥٠) الظلال (١٧٥٢/٣).
(٩٥١) انظر [تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني ص٥٠، والظلال (١٧٤٥/٣)].
(٩٥٢) انظر [التحرير والتنوير (٧٨/١١)].
(٩٥٣) انظر [المرجع السابق (٧٨/١١)].

تسميتها:

سميت سورة يونس، لذكر قصة نبي الله يونس - عليه السلام - فيها، ولكن قصة يونس - عليه السلام - لا تتجاوز إشارة سريعة على هذا النحو ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

ومع ذلك سميت باسمه؛ لأنَّها هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب.

فيثوبوا إلى ربهم وفي الوقت سعة، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيبهم، فكشف عنهم العذاب(٩٥٤).

وقد بحثت كثيراً في كتب التفاسير وغيرها فلم أجد اسماً آخرَ لهذه السورة.

موضوع سورة يونس:

وموضوعها هو موضوع السور المكية، حيث يدور على إثبات أصول التوحيد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة والبعث والجزاء، وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين وأصوله(٩٥٥).

من هو النبي يونس؟

يونس - عليه السلام - هو يونس ابن متّىَ بفتح الميم وشدة مثناه على التاء نسبة إلى أبيه(٩٥٦) وهذا الأصح وليس اسماً لأمّه، ولم يقف السّيوطي في

---

(٩٥٤) انظر [الظلال (١٧٥٢/٣)].

(٩٥٥) انظر [التّفسير المنير وهبه الزحيلي (٩٣/١١)، وتفسير المراغي (٥٨/١١)].

(٩٥٦) في البخاري (رقم٣٤١٣) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال النّبي ﷺ: «ما ينبغي لعبد أن يقول إنّي خير من يونس بن متىّ ونسبه إلى أبيه انظر [فتح الباري (٤٥٠/٦) - ٦٠ كتاب أحاديث الأنبياء - ٣٥ باب قول الله تعالى (وإنّ يونس لمن المرسلين)، المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفه كُنى الرّواة وألقابهم وأنسابهم: العلامة المحدّث محمد طاهر بن علي الهندي صاحب مجمع البحار في لغة الأحاديث والآثار (ت٩٨٦هـ) ص ٢٢٠ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م]

شيء من الأخبار على اتّصال نسبه، وقد قيل: إنّه في زمن ملوك الطوائف من الفرس[٩٥٧]، وفي يونس ست لغات، والقراءة المشهورة بضم النون مع الواو[٩٥٨]، وقد أورد السّيوطي أقوالاً عن مدّة مكثه في بطن الحوت، منها أربعون يوماً، وقيل: سبعة أيام، وقيل: ثلاثة، وقيل: أقل من ذلك[٩٥٩]، دعاه الله في القرآن بأحد عشر لقباً منها ذوالنون، ومغاضباً فقال ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧][٩٦٠]. وكان قوم يونس بنينوي في أرض الموصل[٩٦١].

فضل سورة يونس:

١ ـ من السّور المثاني[٩٦٢] التي أعطيها النّبي ﷺ مكان الزّبور، فهي من السّبع الطّوال فعن سعيد بن جبير[٩٦٣] في قوله تعالى **(سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي)** [**الحجر**: ٨٧] قال: (السّبع الطّوال، البقرة، وآل عمران، والنّساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونُس)[٩٦٤]. وذكر أبو عبيدة[٩٦٥] حديثاً عن فضائل السبع الطوال، عن الصّحابي واثلة بن الأسقع[٩٦٦]: عن النبي ﷺ قال:

(٩٥٧) انظر [الإتقان: السّيوطي (١٠٧١/٢)].
(٩٥٨) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].
(٩٥٩) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].
(٩٦٠) انظر [بصائر التمييز (٥٣/٦)].
(٩٦١) الجامع لأحكام القرآن (٦٧٩/٨).
(٩٦٢) التي تقصر عن المئين وتزيد عن المفصل كأن المئين مبادي والتي تليها ثاني، انظر [النهاية في غريب الحديث والأثر ص١٢٩]
(٩٦٣) سبقت ترجمة له ص١٦٧.
(٩٦٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ـ باب في تعظيم القرآن ـ فصل في فضائل السور والآيات ذكر السبع الطوال (٤٦٦/٢) ـ رقم ٢٤١٨، وذكره أبو عبيد في فضائل القرآن باب فضائل القرآن (٣٠/٢) رقم ٤١٢.
(٩٦٥) سبقت ترجمة له ص٢٣.
(٩٦٦) الكناني الليثي صحابي مشهور خدم رسول الله ﷺ كان من أصحاب الصُّفة، سكن البصرة والشام وتوفي ببيت المقدس أو بالشام سنة ٨٣هـ وقيل ٨٥هـ انظر [أسد الغابة (٦٢٨/٤ ـ ٦٢٩) ترجمة رقم ٥٤٢٢].

(أعطيت السبع الطوال مكان التوراة وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور، وفضلت بالمفصّل)[٩٦٧].

٢ ـ قرأها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ في صلاة الصبح، عن الأخنف[٩٦٨] قال: «صلّيت خلف عمر الغداة، فقرأ بيونس، وهود، ونحوهما»[٩٦٩].

مناسبتها لما قبلها (التوبة):

وجه مناسبة سورة يونس لما قبلها سورة براءة.

١ ـ إنَّ سورة براءة، ختمت بذكر الرسول ﷺ، وسورة يونس ابتدئت به.

٢ ـ سورة التوبة: فيها بيانٌ لما يقوله المنافقون عند نزول سورة من القرآن، وسورة يونس: بيانٌ لما يقوله الكفار في القرآن.

٣ ـ سورة التوبة: فيها ذمٌ للمنافقين بعدم التوبة، والتذكر إذا أصابهم البلاء، وفي هذه السورة ذم، لمن يصيبه البلاء، ثم يعود إذا كُشف عنه البلاء.

٤ ـ سورة التّوبة فيها براءة من الله ورسوله ﷺ من المشركين، مع

(٩٦٧) فضائل القرآن: ابو عبيد القاسم بن سلام، باب فضائل السبع الطوال (٢٩/٢) رقم ٤٠٩، والمفصل أي تفصيل آياته بالفواصل أو بمعنى التبيين انظر [لسان العرب (٥٢١/١١ ـ ٥٢٤) مادة فضل].

(٩٦٨) هو الأخنف بن قيس بن معاوية بن حصين التّميمي، أبو بحر، ولد في البصرة عام ٣ قبل الهجري = ٦١٩م وأدرك النّبي ﷺ ولم يره، روى عن عمر وعلي ـ ﷺ ـ وغيرهما ومات سنة ٧٢هـ ـ ٦٩١م انظر [تهذيب التهذيب (١٩١/١)، الأعلام (٢٧٦/١)].

(٩٦٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور في أول تفسير سورة يونس (٣٢٤/٣) وعزاه لإبن أبي شيبة، والحكم على الأثر إسناده صحيح حكم عليه: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى صاحب كتاب فضائل سور القرآن الكريم ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

الأمر بقتالهم، وفي هذه براءته ﷺ من عملهم، ولكن دون أمر بقتال(٩٧٠).

مناسبة بداية سورة يونس وخاتمتها:

الترابط في سياق السورة يوجد بين مطلعها وختامها فيجيء في المطلع قوله تعالى:

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ١-٢] ... ويجيء في الختام ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝١٠٩﴾ [يونس: ١٠٩].

فالحديث عن قضية الوحي هو المطلع وهو الختام، كما أنه هو الموضوع المتصل الملتحم بين المطلع والختام(٩٧١).

مناسبة سورة يونس لما بعدها (سورة هود):

١ ـ ذُكر في سورة يونس قصة نوح ـ عليه السلام ـ مختصرة جداً مجملة فشرحت في هذه السورة، وبسطت ما لم تبسط في سورة الأعراف ولا في سورة نوح.

٢ ـ مطلع سورة يونس شديد الارتباط بمطلع سورة هود، حيث إن مطلع سورة يونس قوله تعالى ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١] ومطلع سورة هود قوله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

٣ ـ بين مطلع سورة هود وختام سورة يونس ارتباط شديد، حيث ختمت بنفي الشرك واتباع الوحي، وافتتحت سورة هود ببيان الوحي والتحذير من الشرك(٩٧٢).

(٩٧٠) انظر [روح المعاني (٥٥/١١)].

(٩٧١) انظر [الظلال (١٧٥٢/٣)].

(٩٧٢) انظر [روح المعاني (١٨٩/١١ ـ ١٩٠)].

مقاصد سورة يونس:

١ ـ ابتدأت السورة بمقصد إثبات رسالة محمد ﷺ وعجز المشركين عن معارضة القرآن، ولذلك أتُبعت الحروف المقطّعة في أول السورة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ وذلك إشارة إلى أنَّ إعجازه لهم، هو الدّليل على أنّه من عند الله.

٢ ـ وانتقل بعد ذلك إلى إثبات انفراد الله ـ تعالى ـ بالألوهيَّة، بدلالة أنّه خالق كلّ شيء ومدبّره، ثمّ التّذكير بمصير الخلائق إليه بالبعث والجزاء.

٣ ـ وعيد منكري البعث المعرضين عن آيات الله، ووعد للمؤمنين، فكان معظم هذه السورة يدور حول محور تقرير هذه الأصول.

٤ ـ التّنبيه على أنَّ من حكمة الله إمهال الله تعالى الكافرين، دون تعجيل العذاب.

٥ ـ التذكير بما حلَّ بأهل القرون الماضية لمّا كذَّبوا الرسل وأشركوا.

٦ ـ ذكرت آثار القدرة الإلهية التي تدل على عظمة الله وضرورة الإيمان به؛ لأنّه مصدر الحياة والرزق والنعم.

٧ ـ ثم تناولت بإيجاز العبرة والعظة، وتقرير صدق القرآن قصص الأنبياء كقصة نوح ـ عليه السلام ـ مع قومه، وقصة موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون الجبّار، وذكرت قصة نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ الذي سميت السورة باسمه ـ وكل هذه القصص؛ لبيان سنة الله الكونية في إهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين.

وختمت السورة الكريمة بتأكيد نُبوّة النبي ﷺ والاستمساك بشريعة الله، وأمر الرسول ﷺ بالصبر على جفاء المشركين وأذاهم في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٩][(٩٧٣)].

(٩٧٣) انظر [بصائر ذوي التميز (٢٣٨/١ ـ ٢٣٩)، التحرير والتنوير (٨١/١١)، والتّفسير المنير (٩٤/١١ ـ ٩٥)، أهداف كل سورة ومقاصدها: عبد الله شحادة ص ١١٩ ـ ١٢٦].

المبحث الثاني
عرض وتفسير لآيات سورة يونس المتضمنة للقراءات العشر

١ ـ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمرو وابن عامر وشعبة والأخوان (حمزة والكسائي) وخلف (الٓر) بالإمالة في ألف الراء، وبالتقليل لورش.

ب ـ وقرأ الباقون (الٓر) بالفتح بدون إمالة[٩٧٤].

٢ ـ أ ـ سكت أبو جعفر في (الٓر) على ألف ولام وراء سكتة خفيفة من غير تنفس.

ب ـ وقرأ الباقون (الٓر) بدون سكت[٩٧٥].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

(الٓر) إشارة إلى أنَّ هذا الكلام البليغ المعجز مكوّن من جنس الأحرف التي يتكون منها كلامكم، يقول ابن كثير ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «إنّما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكرت فيها بياناً لإعجاز القرآن وأنَّ الخلق

(٩٧٤) انظر [النشر (٢/٥٠)، (٢/٢١٢)، البدور الزاهرة ص١٧٤].

(٩٧٥) انظر [النشر (١/٣٢٩)، (٢/٢١١)، البدور الزاهرة ص١٧٤، في هامش القرآن ص٢٠٨].

عاجزون عن معارضة مثله، مع أنَّه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها»[٩٧٦]. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ أي هذه السورة من آيات القرآن الحكيم الذي أحكمه الله وبينه لعباده[٩٧٧].

ثالثاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءة الأولى:

من فخم الراء المفتوحة مشى على الأصل.

ومن أمال أجرى ألف الراء مجرى الألف المنقلبة عن الياء، فإنهم يميلونها تنبيهاً على أصلها، وفي الإمالة دفع توهم أن راء حرف كـ ما ولا، فقد صرحوا أنَّ الحروف يمتنع فيها الإمالة، فـ (را) هنا الألف ليست منقلبة عن ياء لأنَّ (را) أسماء الأصوات، وهي ليست حرف إنما الحرف (ر)[٩٧٨].

والإمالة تكون في موضع اللين والخطاب الرقيق وترك الإمالة يكون في موضع الإنذار والتهديد.

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

يتبين بالجمع بين القراءتين أنَّ كل قراءة أثرت المعنى فقد جمع القرآن بين الخطابين في لفظ واحد، بالإضافة إلى أنَّ هذا كله يؤدي إلى اختلاف في المسموع ويغير في توالي أصوات العبارة في سياق الكلام ونطقه ويتباين في صوت المستمع ومزاجه وهذا من إعجاز القرآن والله أعلم.

القراءة الثانية:

سكت أبو جعفر على الألف واللام والراء في (الٓر)، والسكت يعامل معاملة الوقف لذلك لا يُمد اسم (را) في الآية، وإن كان هو في اللغة

(٩٧٦) تفسير القرآن العظيم (٣٨/١).

(٩٧٧) انظر [جامع البيان (٥/٣)، تفسير القرآن العظيم (٤٠٥/٢)].

(٩٧٨) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٤٤/٤ ـ ٢٤٨)، نظم الدرر (٤١١/٣)، روح المعاني (٥٧/١١)].

بهمزة في آخره؛ لأنه بالسكت تحذف الهمزة كما تحذف في الوقف لثقل السكوت على الهمزة في الوقف والسكت، فبذلك تصير الكلمة على حرفين فلا تمد، لذلك أجمع القراء على عدم مد الحروف: را ها يا طا حا التي في أوائل السور(٩٧٩). وفائدة السكت هو اشعار بالانفصال(٩٨٠).

الجمع بين القراءتين:

يتبين أنَّ قراءة السكت وضحت قراءة عدم السكت فجاء السكت ليشعر القارئ بانفصال الحروف، حتى لا يتوهم القارئ أنَّ (الٓر) كلمة واحدة والله أعلم.

٢ ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس: ٢].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب **(لَسِحْرٌ)** بكسر السين بدون ألف وإسكان الحاء.

٢ ـ وقرأ الباقون (حمزة، والكسائي، وخلف، وابن كثير وعاصم) **(لَسَاحِرٌ)** بألف بعد السين وكسر الحاء(٩٨١).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

السحر: لغة: هو كل ما لطف مأخذه ودقَّ، والسِّحر هو الخداع(٩٨٢).

قال ابن فارس(٩٨٣): «هو إخراج الباطل في صورة الحق، ويقال: هو

(٩٧٩) التحرير والتنوير (١١/٨٠).

(٩٨٠) الهدي شرح طيبة النشر (١/١٢٢).

(٩٨١) انظر [النشر (٢/١٩٢)، (٢/٢١٢)، إتحاف فضلاء البشر ص١٠٣].

(٩٨٢) انظر [القاموس المحيط ص١٥٩].

(٩٨٣) سبقت ترجمة له ص٥٧.

الخديعة، وسحره بكلامه: استماله برقته وحسن تركيبه»(٩٨٤).

قال الزهري(٩٨٥): «إنَّ السِّحر هو عمل تقرّب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وقيل: السحر البيان في فطنة»(٩٨٦).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ الهمزة لإنكار تعجبهم وتعجب السامعين فيه؛ لكونه في غير محله، والعجب: حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ﴾ أي عجيب من أمرهم أن ينكروا إنزال الوحي على رجل من جنسهم ومن أعقل رجالهم، وهو محمد ﷺ قد اتخذوه أعجوبة بينهم يستغربون من شأنها ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ أي أوحينا إليه، بأن أنذر كافَّة الناس، وخوفهم من عذاب الله وعاقبة ما هم فيه من كفر وضلال ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ أي: بشر المؤمنين بما أوحيناه إليك، بأن لهم منزلة رفيعة، ورحمة نالوها بصدق القول وحسن النية.

فلما أتاهم بوحي الله وتلاه عليهم ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: قال الكافرون ـ وهم المتعجبون ـ وإيرادها هنا بعنوان الكفر للتحقير قالوا: إنَّ هذا الذي جاء به محمد لسحر واضح ظاهر، يبيّن لكم أنه مبطل فيما يدّعيه(٩٨٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

اختلف القرّاء في قراءة ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ فقرأ عامة قراء أهل المدينة والبصرة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بغير ألف يعنون القرآن

(٩٨٤) انظر [المصباح المنير ص١٦٢ مادة سحر].

(٩٨٥) الزهري: هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر: محدث، حافظ، فقيه، مؤرخ، من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، ولد سنة ٥٨هـ ـ ٦٧٨م، وتوفي سنة ١٢٤هـ ـ ٧٤٢م، له تصانيف في مغازي الرسول ﷺ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦ وما بعدها، كحالة، معجم المؤلفين ١٢/٢١، الزركلي، الأعلام ٧/٩٧.

(٩٨٦) انظر [لسان العرب (٣٤٨/٤)].

(٩٨٧) نظر [جامع البيان (١١/٨٠ ـ ٨٣)، معالم التنزيل (٢/٢٩٠)، تفسير المراغي (٥٩/١١ ـ ٦٠)].

وحجّتهم: أنّ السحر يدل على الساحر، لأنّ الفعل لا يكون إلا من فاعل، والساحر قد يوجد ولا يوجد معه السحر، ويدلّ على قول من قال (**سِحْرٌ**). قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزخرف: ٣٠].

المعنى: أي: الذي تقولون أنتم فيه إنَّه أوحي: سحرٌ، وليس كما تقولون: إنَّه وحيٌ.

وقرأ الباقون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ بألف وفتح السين وحجتهم قوله تعالى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ...قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني النبي ﷺ ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ ويدّل على ساحر أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤][988] ومن قرأ ﴿لَسَٰحِرٌ﴾ فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به، وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً[989]، وهذا الكلام ظاهر الفساد، لذلك لم يَحتجْ إلى جواب؛ لأنّهم يعلمون نشأة الرسول ﷺ معهم بمكة وخلطتهم له وما كانت، وأنَّ القرآن الذي أتى به تضمن من قصص الأولين والإخبار بالغيوب والاشتمال على مصالح الدنيا والآخرة مع الفصاحة والبراعة التي أعجزتهم[990].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

١ ـ من قرأ (لَسِحْرٌ) أراد القرآن، والسحر لا يكون إلا من ساحر فشملت بالمعنى القراءتين، ومن قرأ (لساحر) أراد محمداً ﷺ، والساحر ذو سحر أو جعلوه إياه مبالغة، وإذا كان ذلك كذلك فالمعنى بين القراءتين متفق[991].

٢ ـ من قرأ (سحر) أشار إلى أن القرآن وما جاء به رسول الله ﷺ، ومن قرأ بالألف أشار إلى الرسول ﷺ، بمعنى: إنَّ محمداً هذا لساحر

---

(٩٨٨) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٢٧، الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥١/٤)].

(٩٨٩) انظر [مدارك التنزيل: النسفي (٤٥٢/٢)].

(٩٩٠) انظر [البحر المحيط (١٢٣/٥)].

(٩٩١) انظر [الدر المصون (١٤٧/٦)، جامع البيان (٨٣/١١)].

مبين، وليس كما يقولون بل هو وحي وموحى إليه ﷺ(٩٩٢).

٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ القول من جهة واحدة فهل قالوا ساحر، أم سحر؟ والجواب كأنَّ الله تعالى يقول لنا أنَّ جزءاً منهم قالوا هذا سحر، وجزء آخر قالوا هذا ساحر والله أعلم.

٣ ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو جعفر(أَنَّهُ يبدؤا) بفتح الهمزة.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟﴾ بكسر الهمزة(٩٩٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق إيراد معنى (إنّه وأنّه)(٩٩٤).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يخبر الله ـ تعالى ـ أنَّ (إليه) أي: الذي صفته ما وصف جل ثناؤه، في الآية قبل هذه مرجع الخلائق جميعاً يوم القيامة ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ وجاء وعد الله مصدراً؛ لأن فيه معنى الوعد، ومعناه: يعدكم الله أنّه يحييكم بعد مماتكم، وعداً حقاً. فهو كما بدأ الخلق كذلك يعيده ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي يثيب المؤمنين الذين يعملون ما أمرهم الله به من الأعمال، وينتهون عما نهاهم عنه بالعدل والجزاء الأوفى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والذين كذَّبوا بآيات الله، وكفروا لهم شراب في جهنم من حميم، أي يعذبون بأشد أنواع العذاب ﴿بِمَا كَانُوا۟

(٩٩٢) انظر [الفريد في إعراب القرآن (٥٣١/٢)].

(٩٩٣) انظر [النشر (٢١٢/٢)، طلائع البشر ص١١٥].

(٩٩٤) راجع ص٥٥، ٥٦، ٥٧.

﴿يَكۡفُرُونَ﴾ بالله ورسوله(٩٩٥).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ بكسر همزة (**إِنَّهُ**) على الاستئناف، ومعناه: التعليل؛ لوجوب المرجع إليه، فيكون المعنى: إنّ الله شأنه يبتدىء خلقه من التّراب ثم يعيده إلى التراب، أو بمعنى الإعادة للجزاء يوم القيامة(٩٩٦).

وقرأ أبو جعفر ﴿أَنَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ بفتح همزة (**أَنَّهُ**) ولها عدة أوجه أو تأويلات:

أحدهما: أنها في موضع نصب على تقدير حرف جر محذوف، وهو اللام أي؛ (لأنّه) أو الباء (بأنّه)(٩٩٧).

والمعنى: أي حق وعده بالبعث؛ لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده، فلا تعجزه الإعادة بعد الخلق الأول(٩٩٨).

والثاني : هو منصوب بالفعل الناصب لقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ أي المصدر مفعول مطلق منصوب بما نصب به ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۚ﴾(٩٩٩).

فالمعنى: وعد الله وعداً ﴿أَنَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ أي بدء الخلق ثم إعادته، فيكون بدلاً من ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بدلاً مطابقاً أو عطف بيان(١٠٠٠).

والثالث: يجوز أن يكون المصدر المكوَّن من (**أَنَّ**) وما بعدها مرفوعاً،

---

(٩٩٥) انظر [جامع البيان (٨٤/١١)، تفسير ابن كثير (٤٠٦/٢)].

(٩٩٦) انظر [مدارك التنزيل: (٤٥٣/٢)].

(٩٩٧) انظر [معالم التنزيل: (٢٩٠/٢)].

(٩٩٨) انظر [التحرير والتنوير (٩١/١١)].

(٩٩٩) انظر [المحرر الوجيز (٥٣٠/٢)].

(١٠٠٠) عطف البيان كالصفة في الإيضاح ولكن يفارقها في أنه وضع ليدل على الإيضاح باسم مختص به، بخلافها، فإنها وضعت لتدل على معنى حاصل في متبوعها انظر [الإتقان (٨٦٠/٢)، شرح قطر الندى ص٢٩٧].

أو في موضع رفع على أنه فاعل بما نصب (**حَقًّا**) والتقدير: حقَّ حقاً أنه يبدأ الخلق أي: حق حقاً بدء الخلق، ثم إعادته[١٠٠١] وهو مذهب الفرّاء[١٠٠٢] فإنه قال: «والتقدير: حقاً أنه يبدأ الخلق، فجعلها اسماً للحق في موضع رفع»[١٠٠٣].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

نجد في قراءة الكسر: أنّه قد ذهب أصحاب التّفسير القرآني، وتوجيه القراءات، أنّها قراءة واضحة جيدة، من جهة أنَّ المعنى مستقيم، حملاً على الظاهر دون الحاجة إلى تأويل، فقد كسر الهمزة على الاستئناف، وفيها زيادة في تأكيد قضية البعث، والبدء، والإعادة، فهذه القراءة حصل منها المعنى، حملاً على الظاهر دون خروج عليه.

أما قراءة الفتح: فتكون (أنَّ) مع معموليها مصدراً مؤولاً تأويله بدء الخلق، أو بتقدير حرف الجر اللام أو الباء. والمُشْكل هنا: أنّها لا تأتي مستأنفة[١٠٠٤]. فمن هنا لجأوا إلى التّأويل، وقد ذكرناه سابقاً في العلاقة التّفسيرية[١٠٠٥].

٤ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [يونس: ٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ أقرأ قُنبل (**ضِئاء**) بهمزة مفتوحة بعد الضاد.

(١٠٠١) انظر [التحرير والتنوير (٩١/١١)].
(١٠٠٢) سبقت ترجمة له ص٥٧.
(١٠٠٣) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٧/١)].
(١٠٠٤) انظر [كتاب سيبويه (١٤٢/٣ ـ ١٤٦)].
(١٠٠٥) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري (١٥٧ ـ ١٥٨)].

ب ـ وقرأ الباقون (ضِيَاء) بغير همز في الياء[١٠٠٦].

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وحفص (**يُفَصِّلُ**) بالياء.

ب ـ وقرأ الباقون (**نفَصِّلُ**) بالنون[١٠٠٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الضِيَاء: وجمعه أضواء وهو الضَّواءُ والضياءُ. والضَّوء والضياء: هو ما أضاء لك، وقد يكون الضياء جمعاً، وضاء الشيء يضوء ضَوْاً وأضاء.

والضوء: النور[١٠٠٨]، والضياء أقوى من الضوء؛ لأنَّه هو النور الساطع القوي الذي يضيء للرائي، أما الضوء: فهو النور الذي يوضح الأشياء[١٠٠٩].

الفَصْلُ: الحاجز بين الشّيئين، والتّفصيل التّبيين، ويُفَصِّل الآيات: إما تفصيل آياته بالفواصل، أو بمعنى التّبيين[١٠١٠].

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

بعد أن ذكر الله سبحانه الآيات الدالة على وجوده، وهو خلق السماوات والأرض، وإثبات الألوهية والتوحيد والبعث، خصَّص بالذكر للتّأكيد على أحوال الشّمس والقمر الدّالة على التّوحيد من جهه الخلق والإيجاد، وعلى إثبات المعاد، من جهة كونهما أداة لمعرفه السّنين والحساب، وذلك رصد للزّمن الذي لا بد له من نهاية، وموت أهله ففي هذه الآية تفصيل لما تقدم، وبيان له[١٠١١].

(١٠٠٦) انظر [النشر (٣١٥/١)، (٢١٢/٢)].

(١٠٠٧) انظر [المرجع السابق (٢١٢/٢)].

(١٠٠٨) انظر [لسان العرب (١٣٧/١ ـ ١٣٨) مادة ضَوَأَ، القاموس المحيط ص٥٨ مادة ضوا].

(١٠٠٩) انظر [التحرير والتنوير (٩٤/١١)].

(١٠١٠) انظر [لسان العرب (٥٢١/١١ ـ ٥٢٤) مادة فصل، القاموس المحيط ص١٣٤٧ مادة فصل].

(١٠١١) انظر [تفسير المراغي (٦٧/١١)، التَّفسير المنير: الزحيلي (١١٠/١١)].

فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾ أي جعل الشّمس في النّهار ضياء للكون، والقمر نوراً بالليل، يبدد الظلمات ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ يقول الزجاج:[(١٠١٢)] «يعني القمر، لأنه المقدر بعلم السنين والحساب، وقد يجوز أن يكون المعنى: وقدّرهما منازل، فحذف أحدهما اختصاراً».

فالضمير إمّا يعود على القمر أو يعود على القمر والشمس معاً، والأخفش ذكر القول الثاني قال: «هو ذكر الشمس والقمر»[(١٠١٣)]. ﴿لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾ فبالشّمس تعرف الأيّام، وبسير القمر تعرف الشّهور والأعوام.

وهذا قول ابن كثير[(١٠١٤)] ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي لم يخلق الله الشمس والقمر ومنازلهما إلا بالحق، فلم يخلقه باطلاً، بل اظهاراً لصنعه، دالاً على قدرته، ولحكمة عظيمة في ذلك ﴿يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ يبيّن الحجج والأدلّة ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ فينتفعون بالتّأمل فيها، لذلك خصّهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأنّهم إذا تدبّروها، يعلموا حقيقة وحدانية الله[(١٠١٥)].

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ قنبل: **(ضِئَاء)** بهمزة مفتوحة بعد الضاد، وقرأ الباقون **(ضِيَاء)** غير همز في الياء.

و(ضياء) فيها وجهان:

أحدهما: جمع ضوء، كسياط في جمع سوط.

(١٠١٢) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٢/٧)].

(١٠١٣) معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٦٥)، وانظر [الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٥٨)].

(١٠١٤) انظر [تفسير القرآن العظيم: (٢/٤٠٧)].

(١٠١٥) انظر [جامع البيان: (١١/١٨٦)، معالم التنزيل: (٢/٢٩١)].

والثاني: مصدر، يقال ضاء القمرُ يضوء ضوءاً أو ضياء، كصام يصوم صوماً، وقلبت الواو ياء، لكسرة ما قبلها في كلا الوجهين.

وعلى أي الوجهين حملته، فالمضاف محذوف، والمعنى: جعل الشمس ذات ضياء، والقمر ذات نور(١٠١٦).

ـ فحجة من قرأ بهمزتين أن (ضِئاء) فيها الهمزة في موضع العين من (ضياء)، يكون على القلب أي قلبت عين الفعل، وهو الياء المنقلبة إلى موضع لام الفعل، وهو الهمزة، وردت الهمزة في موضع الياء فأصبحت (ضئاياً) فلما تطرّفت الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة كما فُعل في (دعاء وسقاء) فصارت همزة قبل الألف، وهي الأصلية التي هي لام الفعل من (ضوء) وهمزة بعد الألف، وهي المنقلبة عن الياء، المنقلبة عن واو.

وإذا قدّرنا (ضئاء) جمع ضوء والجمع، يحسن فيه القلب ويكثر، وجائز أن نقول إنّ الهمزة انقلبت عن واو؛ لأنّ الياء لمّا تأخرت وزالت عنها الكسرة، التي قبلها، رجعت إلى أصلها، وهو الواو، وقلبت همزة كدعاء فوزنه فلاع (ضئاو) مقلوب عن فعال (ضواء) وإذا قدرنا (ضئاء) مصدراً كان أبعد؛ لأنَّ المصدر يجري على فعله في الصحة والاعتلال، والقلب ضرب من الاعتلال فإذا لم يكن في الفعل لم ينبغ أن يكون في المصدر أيضاً.

وحجّة من لم يهمز (ضياء) وترك الياء قبل الألف على حالها، أنه أتى بالاسم على أصله، ولم يقلب من حروفه شيئاً في موضع شيء وتكون الياء بدلاً من واو (ضوء) لانكسار ما قبلها، هذا إذا اعتبرنا (ضياء) مصدراً.

وهنا في عدم الهمز الأوْلى أن يكون (ضياء) مصدراً لا جمعاً، مثل قام يقوم قياماً، صام يصوم صياماً.

(١٠١٦) انظر [الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٥٨)].

أمّا إذا اعتبرنا ﴿ضِيَآءً﴾ جمعاً، فحجّة من لم يهمز أنه جمع غير مقلوب أتى على أصله فهو جمع (ضوء)(١٠١٧).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ ـ قراءة الهمز، الأوْلى أن تكون (ضئاء) جمعاً؛ لأن الجمع يحسن فيه القلب ويكثر، وفي قراءة عدم الهمز ضياء، الأوْلى أن يكون (ضياء) مصدراً لا جمعاً.

ب ـ قراءة الهمز فيها الثقل، فتدل على ثقل الضوء وشدته، والياء فيها اللين والخفَّة فهذا يدل على خفة الضوء، وبالجمع بين الخفّة والثّقل يتبيّن أنّ القراءتين أشارتا إلى درجة ضوء الشّمس، فمرّة يكون خفيفاً، ومرّة يكون شديداً، وهذا يظهر في اختلاف حالة الشّمس صباحاً وظهراً ومساءً وصيفاً وشتاءً، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ بالياء.

وقرأ الباقون ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ بالنون. من قرأ ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء فحجّتة على الغيب، وذلك جرياً على السّياق، فأضمر الاسم في الفعل؛ لأنه تقدم ذكر الله تعالى في قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ فجعلوا الفعل مسنداً إليه بلفظ التوحيد فكأنّه قال: ﴿يُفَصِّلُ الله الآيَاتِ﴾ فهو إذاً إخبار عن فعل الله. فيكون التقدير: قل يا محمد: الله يدبِّر الأمر، ويفصِّل الآيات(١٠١٨). ومنهم من ردّه إلى قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ [يونس: ٥] وعلى قوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ﴾ [يونس: ٥] وعلى قوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾

(١٠١٧) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥٨/٤ ـ ٢٥٩)، الكشف (٥١٢/١ ـ ٥١٣)، الجامع لأحكام القرآن (٦١٨/٨)، والدر المصون (١٥٢/٦)، فتح القدير (٥٣١/٢)].

(١٠١٨) انظر [الحجة ابن زنجلة ص٣٢٨، إعراب القراءات السبع وعللها (٢٦١/١)، معاني القراءات ص ٢١٩، الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥٢/٤)].

[يونس: ٣] وعلى قوله ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [يونس: ٣] وعلى قوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٤] كلّه بلفظ الغيبة عن الإخبار عن الله ﷻ[١٠١٩]. وأمّا حجة من قرأ بالنون وهي نون العظمة، التفاتاً من الغيبة إلى التكلم، فللتعظيم.

فالله ـ سبحانه ـ يخبر عن نفسه بلفظ الجماعة؛ لأنه ملك الأملاك ودليلهم ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ويقوّيه أنّ قبله ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ على الإخبار من الله ذكره عن نفسه[١٠٢٠].

الجمع بين القراءتين:

نجد أنّ القراءة بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم؛ فلأنّ سياق الآية في قوله تعالى ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يقتضي الغيبة فقال ﴿يُفَصِّلُ﴾ أي الله تعالى، لكنه التفت إلى التكلم، على أنّه إخبار من الله سبحانه عن نفسه، بأنّه وحده هو الذي جعل الشمس ضياءً، والقمر نوراً، وقدّره منازل، وذلك لمعرفة عدد السنين والحساب، وأنه يوضح هذه الآيات الدالة على قدرته ووحدانيته، لقوم يعلمون ذلك معرفة حقيقية، فيستدلون بهذه الآيات على وجود الله تعالى، وعلى أنه لا ينبغي أن يعبد سواه، فلو ظل الأسلوب القرآني على الغيبة، لما تحقق هذا المعنى[١٠٢١]، أيضاً للإلتفات فوائد ذكرناها سابقاً[١٠٢٢].

٥ ـ ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ [يونس: ١١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن عامر **(لَقَضَى إليهم أَجَلَهُم)** بفتح القاف والضاد، وقلب الياء ألف **(إِلَيهِمْ)** بكسر الهاء **(أَجَلَهُمْ)** بالنصب.

(١٠١٩) انظر [الكشف (٥١٣/١)].

(١٠٢٠) انظر [إعراب القراءات السبع (٢٦١/١)، الكشف (٥١٤/١)، الدر المصون (١٥٤/٦)].

(١٠٢١) انظر [القراءات وأثرها في علوم العربية: د. محمد سالم محيسن (١٣٥/٢)].

(١٠٢٢) راجع ص٢٤٦ في الهامش رقم٩٤٥.

٢ ـ وقرأ يعقوب (**لقَضَى إليهُمْ أجَلهُمْ**) بفتح القاف والضاد، وقلب الياء ألف (**إليهُمْ**) بضم الهاء (**أَجَلَهُم**) بالنصب.

٣ ـ قرأ حمزة (**لَقُضِيَ إِلَيْهُمْ أَجَلُهُمْ**) بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء (**إِلَيهُمْ**) بضم الهاء (**أَجَلُهُمْ**) بالرفع.

٤ ـ وقرأ الباقون (**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**) بضم القاف، وكسر الضاد، وفتح الياء (**إِلَيْهِمْ**) بكسر الهاء (**أَجَلُهُمْ**) بالرفع(١٠٢٣).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قُضِيَ: ومنه القضاء أي: الحكم، وأصله قضايٌ؛ لأنه من قَضَيْت، إلا أنّ الياء لما جاءت بعد الألف همز، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاًۖ﴾ [الأنعام: ٢]؛ ومعناه ثم ختم بذلك وأتمّه وقضي الأمر: أي تمّ إهلاكهُم(١٠٢٤).

أَجَلُ: الأجل: هو غاية الوقت في الموت، والأجل أيضاً: مدة الشيء، ومنه الآجلة، أي الآخرة(١٠٢٥).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ والتعجيل: هو تقديم الشيء قبل وقته والمراد في الآية قولان: **أحدهما**: قول الإمام مجاهد: «هو قول الرجل لولده وأهله وماله إذا غضب عليهم، اللّهم لا تبارك فيه، اللّهم الْعنه» ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ﴾ أيضاً قال: «لهلك من دعا عليه فأماته»(١٠٢٦).
فيكون المعنى: لو يعجّل الله للناس الشر إذا دَعَوْا على أَنْفُسهم عند الغضب

(١٠٢٣) انظر [النشر (٢/٢١٢)، فريدة الدهر (٣/٨١٨)].
(١٠٢٤) انظر [لسان العرب (١٥/١٨٦ ـ ١٨٧)].
(١٠٢٥) انظر [لسان العرب (١١/١٠ ـ ١١)].
(١٠٢٦) انظر [تفسير الإمام مجاهد بن جبر (١/٣٧٧ ـ ٣٧٨)].

وعلى أهلِيهِم، واستعجلوا به، كما يُعجّل لهم الخير؛ لهلكوا وماتوا.

والثّاني: لو يعجّل الله للكافرين العذاب على كفرهم، كما عجّل لهم خير الدنيا من المال والولد، لعُجِّل لهم قضاء آجالهم؛ ليتعجلوا عذاب الآخرة، فكان مشركو مكة يستعجلون رسول الله ﷺ بالعذاب الذي أنذرهم نزوله بهم، كما حكى الله عنهم من نحو قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [الرعد: ٦] ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ فنترك الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ في تجاوزهم حدود الله ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أي يترددون ويتحيرون، وقد تضمن المعنى نفي التعجيل لأنّه لا مصلحة لهم في إيصال الشّر إليهم إذ لو أوصله إليهم، لماتوا وهلكوا ولا صلاح في إماتتهم، فربما آمنوا بعد ذلك، أو خرج من أصلابهم من يؤمنون، أو أن يكون عدم التعجيل إمهالاً لهم، واستدراجاً(١٠٢٧).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ عامّة قرّاء الحجاز، والعراق ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ على وجه ما لم يسمّ فاعلُه، بضم القاف من ﴿لَقُضِيَ﴾، ورفع للأجل على أنه نائب فاعل والمعنى: لو يعجل الله للناس دعاء الشر أي: ما يدعون به من الشر على أنفسهم في حال ضجر وبطر استعجالهم إياه بدعاء الخير، فأضيف المصدر إلى المفعول، وحذف الفاعل كقوله ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] في حذف ضمير الفاعل، وهذا مذهب الفرّاء فقال: «وحسنت الكاف هنا (**كاسْتِعْجَالَهُم**)»(١٠٢٨). والتقدير: ولو يعجل الله للناس الشر استعجالاً مثل استعجالهم بالخير، لقضي أي: لفرغ من أجلهم وماتوا جميعاً. وهذا قريب من قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١].

(١٠٢٧) انظر [جامع البيان (٩١/١١)، زاد المسير (٣١٩/٢)، تفسير البيضاوي (٢٨٧/١١)، مدارك التنزيل (٤٥٥/٢)].

(١٠٢٨) انظر [معاني القرآن: الفرّاء (٤٥٨/١)].

وقرأ عامّة أهل الشام (**لَقَضَى إلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ**) بفتح القاف والضاد، وقلب الياء على البناء للفاعل، والفاعل: ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة، (**وأَجَلَهُمْ**) بالنصب على أنه مفعول به. فهنا أتى بالفعل على بناء ما سمي فاعله، وأضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه. وردّه على قوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [يونس : ١١] فجاء الفعل مضافاً إلى الله فيهما جميعاً، ونصب (أجلَهم) بوقوع القضاء عليهم، ودليله قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ [الأنعام: ٢] وحجتهم أيضاً: قراءة من قرأ (لقضينا إليهم أجَلَهم)[١٠٢٩] وعدى (قضى) بـ(إلى) لكونه أُريد به معنى السرعة أي: لأسرع إليهم أجلهم، والمعنى لقضى أي لأهلك من دُعي عليه وأماته[١٠٣٠].

٢ ـ خالف يعقوب ابن عامر في قراءة (**إلَيْهِمْ**) فقرأ: بضم الهاء، فكانت القراءة (**لقَضَى إليهُم أَجَلَهم**) أمَّا ابن عامر فقرأ (**إلَيْهِمْ**) بالكسر، ولأنّ الضمة أثقل من الكسرة[١٠٣١] فتوحي قراءة الضم بثقل القضاء الذي كان سينزل عليهم لو أنّ الله استجاب وعجّل للناس دعاءَهم بالشر وهذا القضاء سيكون الإهلاك أو الموت، والله أعلم.

وأمّا قراءة الكسر (**إليهِم**) فلأن الكسرة تأتي لما قلّ وعُدِم[١٠٣٢].

فقراءة الكسر: توحي أنّ هذا القضاء معدوم أي: لمن يكون؛ لأن الله سبحانه لطيف بعباده، فهو سبحانه لم يعد توازي الشر في هذا العالم بالخير، لطفاً منه ورفقاً، وفي ذلك منَّةٌ عظيمة على عباده، فجعل الذين يستحقون الشر، لو عُجّل لهم ما استحقوه؛ لبطل النظام الذي وضع عليه العالم، وهو نظام الرفق بالعباد، الذي جعله الله مستمراً غير منقطع عنهم؛

(١٠٢٩) ذكر هذه القراءة أبو حيان في تفسيره (١٢٩/٥).

(١٠٣٠) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٥٧/٤)، الكشف (٥٥١/١)، والحجة ابن خالويه ص١٠٠، معالم التنزيل (٢٩٢/٢)].

(١٠٣١) راجع ص٢١.

(١٠٣٢) راجع ص٢١.

لأنه أقام عليه نظام العالم[١٠٣٣].

كذلك انفرد حمزة في قراءة (**إِلَيْهُمْ**) عن باقي القراء، فقرأ (**لَقُضِيَ إِلَيْهُمْ أَجَلُهُمْ**) بضم الهاء، في حين أنَّ باقي القراء قرأوها بالكسر، ونفس التوجيه السابق في قراءة يعقوب أرى توجيه هذه القراءة أيضاً.

خامساً: الجمع بين القراءات:

من قرأ (**لَقَضَى**) أتى بالفعل على بناء ما سمّى فاعله؛ لكنه أضمر الفاعل فيه، ونصب المفعول بتعدي الفعل إليه، فلأنَّه ذكر الفاعل في بداية الآية (**لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ**) وحذفه في (**لَقُضِيَ**) لأنه ليس غريباً، فالسامع يتوقعه، لورود ذكره في بداية الآية، فُحسن إضماره وفيه من البلاغة ما فيه[١٠٣٤].

أما من قرأ (**لَقُضِيَ ـ أجلُهم**) فقد أتى بالفعل على بناء ما لم يسمّ فاعله، وأجلهم نائب فاعل، فأسند الفعل إلى أجلهم، وذلك للتأكيد والقوة على أنَّ الله سبحانه وتعالى أهلك الناس أو أماتهم لو استعجلوا الشر، فتقديم ذكر المحدَّث عنه يفيد التنبيه له، فيدخل على القلب دخول المأنوس به، ولقبله قبول المتهيئ له، المطمئن إليه، وذلك لا محالة أشد؛ لثبوته وأنفى للشبهة، وأمنع للشك، وأدخل في التحقيق. فهنا لا تضاد بين القراءتين، فإسناد الفعل إلى ما سمي فاعله مرة، ومرة إلى ما لم يسمّ فاعله ففيه من البلاغة ما فيه، وهو نوعٌ من تلوين الأسلوب في القرآن، كما أنَّ تقديم المسند إليه يفيد التأكيد والقوة، فمرة يؤكد على الفاعل، ومرة يؤكد على الفعل فيحصل التأكيد، والقوة في المعنى[١٠٣٥]، والله أعلم.

٦ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [يونس: ١٥].

(١٠٣٣) انظر [التحرير والتنوير (١١/١٠٦)].

(١٠٣٤) انظر [دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ص١٢٦].

(١٠٣٥) انظر [دلائل الإعجاز ص١٠١ ـ ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ ابن كثير (**بِقُرانٍ**) بالتسهيل، ووقف عليها حمزة أيضاً بالتسهيل.

ب ـ وقرأ الباقون (**بِقُرْآنٍ**) بالهمز[١٠٣٦].

٢ ـ أ ـ قرأ ابن كثير وابو عمر والمدنيان (أبو جعفر ونافع) (**لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن**) (**إِنِّيَ أَخَافُ**) بفتح ياءات الإضافة.

ب ـ وقرأ الباقون (**لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن**) (**إِنِّي أَخَافُ**) بالسُّكون مع المد[١٠٣٧].

٣ ـ أ ـ قرأ أبو عمر والمدنيان (**نَفْسِيَ إِنْ**) بفتح ياء الإضافة.

ب ـ وقرأ الباقون (**نَفْسِي إِنْ**) بالسُّكون مع المد[١٠٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قرأ قَرءاً وقِراءة وقرآناً. **قُرْآن**: بالهمز بمعنى الجمع، وسُمّي قرآناً؛ لأنه يجمع السور، فيضمها، أو لأنه جمع القِصَصَ والأمر والنهي والوعدَ والوعيدَ والآياتِ والسورَ بعضَها إلى بعض.

والقرآن مشتق من القَرء وهو في اللغة: الجمع، وقرأت القرآن: لفظتُ به مجموعاً، إذا كان القرآن مشتقاً من قَرأت[١٠٣٩].

أما **القران بدون همز**: فهو اسم، ولم يؤخذ من قَرأت، ولكنّه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل[١٠٤٠].

وقران مشتق من القرن، وقرنت الشيء بالشيء وصلته، وقارنته قراناً: صاحبته وبمعنى الالتصاق والإتّصال[١٠٤١].

(١٠٣٦) انظر [النشر (٣٣٦/١)].

(١٠٣٧) انظر [النشر (٢١٦/٢)].

(١٠٣٨) انظر [المرجع السابق (٢١٦/٢)].

(١٠٣٩) انظر [لسان العرب (١٥٧/١ ـ ١٦٢) مادة قرأ].

(١٠٤٠) انظر [المرجع السابق (١٥٧/١) مادة قرأ].

(١٠٤١) انظر [لسان العرب (٣٣٦/١٣) مادة قرن، منجد الطلاب ص٥٨٨ ـ ٥٨٩ مادة قرن].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ أي إذا قرىء على هؤلاء المشركين آيات القرآن الكريم الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات ظاهرات واضحات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي لا يخافون البعث ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾ أي إئت بقرآن من نمط آخر، أو غيره ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ أي ما يحل لي ﴿أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓ﴾ أي ليس هذا من عندي، والتبديل الذي سألوه فيما ذكر، أن يحوّل آية الوعيد وعداً، وآية الوعد وعيداً، والحلال حراماً والحرام حلالاً. فأمر الله نبيه أن يخبرهم بأنه ليس هذا إليه، إنما هو عبد مأمور ورسول مبلغ عن الله ﴿إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي لا أتبع إلا وحي الله من غير تبديل ولا تحريف ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي﴾ إني أخشى بتبديله ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ يوم القيامة(١٠٤٢) ووصف بالعظم لطوله، أو لكثرة شدائده أو للمجموع(١٠٤٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وحمزة (بقُرَان) بتسهيل الهمزة ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها على أنه مشتق من قرن وقرنت الشيء بالشيء أي شدّه به، وقرن من الاقتران بمعنى اتصل والتصق به(١٠٤٤).

وقرأ الباقون (بِقُرْآنٍ) بالهمز، على أنَّه وصف من القَرْء بمعنى الجمع(١٠٤٥) لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، أو أنه مشتق من القرائن؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، وهي قرائن. كذا نقل السيوطي عن الفرّاء(١٠٤٦).

ونقل السيوطي أيضاً: «أنَّه مصدر لقرأت، كالرجحان والغُفران، سمى

(١٠٤٢) انظر [جامع البيان (١١/٩٤ ـ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم (١١/٤١٠)].

(١٠٤٣) انظر [البحر المحيط (٥/١٣٢)].

(١٠٤٤) انظر [منجد الطلاب ص٥٨٨ ـ ٥٨٩، مناهل العرفان في علوم القرآن (١/١٣)].

(١٠٤٥) انظر [مناهل العرفان (١/٣)، المفردات في غريب القرآن ص٤٠٢].

(١٠٤٦) انظر [الاتقان (١/١٦٢)].

به الكتاب المقروء، من باب تسمية المفعول بالمصدر»[١٠٤٧].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

مَنْ قرأ بالتخفيف وتسهيل الهمزة، فهو من القرن: وسمي القرآن بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه[١٠٤٨]. ومن قرأ بالهمز: فهو إمَا من القرائن مشتق أو من القرء، وهو بمعنى: أنَّ الآيات منه يصدق بعضها بعضاً، ويشابه بعضها بعضاً، لذلك لا تضاد. فالقرآن كتاب مقروء، مجموعةٌ آياته بين دفتي الكتاب، مضمومةٌ السور والآيات والحروف فيه، أحدهما إلى الآخر، وجميعها يصدق بعضها بعضاً.

٢ ـ قرأ ابن كثير وأبو عمر والمدنيان (لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن) و(إِنِّيَ أَخَافُ) بفتح ياءات الإضافة، وقرأ الباقون **(لِي- أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن) (إِنِّي- أَخَافُ)** بالسكون مع المد.

يتبين لنا: أن رواية إسكان ياء الإضافة مع المد إنما جاءت للغة فصيحة نزل بها الوحي، وهي اختصار مقطعين قصيرين في مقطع طويل مفتوح، تحولت فيه ياء المتكلم من حرف علة يحمل حركة إلى صائت[١٠٤٩] طويل، انسجاماً مع الكسرة قبلها، وقُدّر لهذا الصائت البقاء حيث وقع قبل متحرك، فكانت قراءة السكون (لي- أن)، (إني- أخاف) أخذ مُدّةَ مدِهِ مُدَّة المدِّ المنفصل. أما قراءة الفتح (ليَ أن)، (إني أخاف) فكانت الياء بدون مد، فقد أثرت الكسرة القصيرة على الياء المعتلة ـ شبه الصامت ـ فجعلتها مثلها ـ امتداداً لها في المدى الزمنى ـ وأصبحت كلتاهما كسرة طويلة، أو صائتاً طويلاً، ومعلوم أنَّ الحركة القصيرة نصف الحركة الطويلة،

(١٠٤٧) الاتقان (١٦٢/١).

(١٠٤٨) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(١٠٤٩) الصائت حروف اللين، وهي أصوات هوائية ليس لها مخرج إنما هي هواء يخرج من الفم بدون عائق، انظر [الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ص٢٧ ـ الناشر مكتبه الأنجلو المصرية ط٥ ١٩٧٩].

وقد أحس بهذا ابن جنّي[١٠٥٠]: حيث يقول: «فإذا ثبت أن هذه الحركات أبعاض الحروف ومن جنسها ...» ويقول: «الحركة حرف صغير»[١٠٥١] مما سبق نرى أنَّ هذا الموضع، ممكن اعتباره شاهداً على المماثلة التقدمية بين صائتين[١٠٥٢] والفتح والإسكان في ياءات الإضافة من التغييرات الصوتية، وذلك أن المقاطع الصوتية نوعان: متحرك وساكن، فالمقطع المتحرك هو الذي ينتهى بصوت ليِّن قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن: فهو الذي ينتهي بصوت مغلق[١٠٥٣] أيضاً هو شاهد على فتح ياء المتكلم وسر جواز العدول عنه[١٠٥٤].

الجمع بين القراءتين:

أجد أنَّ قراءة (ليَ أن) بدون مد، أي: من طبيعتي ومبدئي أني أخاف الله فلن أبدِّله ولا لمرّة واحدة، أما قراءة المد (لي- أن) أي: أنني أخاف الله طوال حياتي وبذلك لن أبدّله أبداً، والله أعلم.

(١٠٥٠) سبقت له ترجمة ص٢١.

(١٠٥١) الخصائص: ابن جني (٣١٥/٢) باب مضارعة الحروف للحركات، والحركات للحروف - والمراد من الباب - صياغة ابن جنىّ للمصطلح الصوتي: الياء الصغيرة الكسرة والياء الكبيرة - والواو والفتحة أيضاً.

(١٠٥٢) المماثلة هي التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة، فالأصوات في تأثرها تهدف إلى نوع من المشابهة والمماثلة بينها، وذلك ليزداد مع مجاورتها قربها من الصفات أو المخارج، والمماثلة نوعان: إمّا تقدمية أو رجعية. فالأول تأثر الصوت الثاني بالأول أي السابق إلى اللاحق، والثاني تأثر الصوت الأول بالثاني انظر [الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس ص١٧٨ - ١٨٢] ومثال على المماثلة التقدمية: قلب تاء االافتعال دالاً بعد الزاي نحو «ازدجر» التي أصلها «ازتجر». فجهرت التاء تحت تأثير الزاي المجهورة، فتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال، ومثال على الرجعية: تحويل فاء الافتعال إذا كانت واواً إلى تاء مثل اتّعد من وعد انظر [دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر (ص٣٢٤ - ٣٢٥) عالم الكتب - القاهرة ط٢ - ١٩٨١].

(١٠٥٣) انظر [الأصوات اللغوية - إبراهيم أنيس ص١٦٠].

(١٠٥٤) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٤٦ - ٤٧].

٧ ـ ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس: ١٦].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير بخُلْف عن البزي (**وَلأَدْرَاكُمْ**) بحذف الألف التي بعد اللام فتصير لام توكيد.

٢ ـ وقرأ الباقون، وهو الوجه الثاني للبزي ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾ بإثبات الألف، على أنها (**لا**) النافية(١٠٥٥).

ثانياً: المعنى اللّغوي للقراءات:

دري: دَرَي الشيء دَرْياً ودِرْياً ودِرايةَ أي عَلِمهُ وأداره به: أي أَعْلَمه(١٠٥٦).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية بمثابة حجة على الكفار؛ لإثبات صحة ما جاءهم به النبي ﷺ وأنَّ هذا القرآن العظيم هو من عند الله ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي إنَّ الأمر كله بمشيئة الله، فلو شاء الله عدم تلاوتي له عليكم، بأن لم ينزله علَيّ، ولم يأمرني بتلاوته لفعل ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي: ولا أعلمكم به ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ يقول: فقد مكثت فيكم أربعين سنة من قبل أن أتلوه عليكم أي: من قبل نزول القرآن الكريم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٠٥٧) يقول الألوسي: «أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلاً من عند الله العزيز الحكيم فإن ذلك غير خاف على من له عقل سليم وذهن مستقيم، بل لعمري أن من كان له أدنى مسكة من عقل، إذا تأمل في أمره ﷺ وأنه نشأ فيها بينهم هذا الدهر

(١٠٥٥) انظر [النشر (٢/٢١٢) تحبير التيسير ص١٣٤].

(١٠٥٦) انظر [لسان العرب (١٤/٢٥٤) مادة دري، منجد الطلاب ص١٩٧ مادة دَرِيَ].

(١٠٥٧) انظر [جامع البيان (١١/٩٥)، والتَّفسير العظيم (٢/٤١٠)، والمقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٥٨)].

الطويل من غير مصاحبة العلماء . . .ولا مخالطة للبلغاء . . . لا يبقى عنده اشتباه في أنه وحي نزل من عند الله جل جلاله»[١٠٥٨].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

ـ روى قنبل بطرق عن ابن كثير بحذف الألف التي بعد اللام (**ولأدْرَاكُم**) وروى العراقيون والمغاربة والمصريون قاطبة عن البزي (**ولا أدراكم**) بإثبات الألف، وبذلك قرأ باقي العشرة[١٠٥٩]. وحجة من قرأ بألف أنه عطفه على (**مَا تَلَوْتُهُ**) فأتى بالفعل رباعياً على معنى: ولَوْ شَاء اللّهُ ما أعلمكم به، فعطف نفياً على نفي[١٠٦٠] وإثبات الألف هنا على أنها (لا) النافية.

والتَّفسير على هذه القراءة: قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ، وَلاَ يعلمكم الله به أي: ما أرسلني إليكم فتلوت عليكم القرآن، ولا أعلمكم الله ولا أخبركم به[١٠٦١].

وحجة من قرأ بدون ألف: أنَّه على تقدير أنَّ اللام في (**ولأدراكم**) جواب (لو) المضمرة؛ لأنَّ التقدير، لو شاء الله ما تلوته عليكم، ولو شاء الله لأدراكم به، أي: لأعلمكم به قبل إتياني إليكم، فيكون المعنى على هذا: أنَّ الفعل غير منفي[١٠٦٢] فيكون معنى الآية على هذه القراءة: لو شاء الله لأعلمكم به من غير أن أتلوه عليكم[١٠٦٣] أي: من غير طريقي، وعلى لسان غيري؛ ولكنه يمنّ على من يشاء من عباده، فخصني بهذه الكرامة، ورآني لها أهلاً دون الناس[١٠٦٤].

(١٠٥٨) روح المعاني (٨٢/١١).
(١٠٥٩) انظر [النشر (٢١٢/٢)].
(١٠٦٠) انظر [الكشف (٥١٤/١)].
(١٠٦١) انظر [جامع البيان (٦٢٦/٨)، والبحر المحيط (١٣٢/٥)].
(١٠٦٢) انظر [النشر ٢١٢/٢)، والكشف (٥١٤/١)].
(١٠٦٣) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٦٢٦/٨)].
(١٠٦٤) انظر [البحر المحيط (١٣٢/٥)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى المعنى: أنَّ الله - ﷻ - يأمر رسوله بأنْ يقول للكفار: لو شاء الله ما تلوت عليكم هذا القرآن، ولا علمتم به مطلقاً لا مني ولا من غيري، ولو شاء، لأعلمكم به غيري[1065].

٨ - ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨].

أولاً: القراءات:

١ - أ - قرأ أبو جعفر **(أتنبون)** بحذف الهمزة، وضم ما قبلها[1066].

وكذلك وقف عليها حمزة، وله التسهيل أيضاً[1067].

ب - وقرأ الباقون **(أَتُنَبِّئُونَ)** بالهمز.

٢ - أ - قرأ حمزة والكسائي وخلف **(عَمَّا تشْرِكُونَ)**، بالخطاب.

ب - وقرأ الباقون **(عما يشركون)** بالغيب[1068].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ - **أَتُنَبِّئُونَ**: مشتق من نبأ، والنَّبأ الخبر، والجمع أنباء، فتكون أتنبئون بمعنى: أتخبرون[1069].

أتنبون: مشتق من نبب أو نب ونبّ التيس ينبُّ نَباً ونبيباً ونُباباً[1070] ونبّ عتوده أي: تكبّر وتعاظم ونبنب: صاح عند

(١٠٦٥) انظر [القراءات وأثرها في التَّفسير والأحكام ق١ (٢/٥٧٣)].

(١٠٦٦) انظر [النشر (١/٣٠٨)].

(١٠٦٧) انظر [المرجع السابق (١/٣٤٥) (١/٣٣٩)].

(١٠٦٨) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١٠٦٩) انظر [لسان العرب (١/١٩٤ - ١٩٨) مادة نبأ].

(١٠٧٠) انظر [المرجع السابق (١/٨٧٨ - ٨٧٩) مادة نبب].

الهياج[1071] والمعنى: أتصيحون، والنب الصوت المرتفع[1072].

٢ ـ يشرك: مضارع الفعل أشرك، وأشرك بالله أي: جعل له شريكاً في ملكه تعالى الله عن ذلك. والاسم، الشّرْك، والشّرْكُ: أن يجعل لله شريكاً في ربُوبيته ـ تعالى الله عن الشركاء والأنداد ـ والشّرك، كالشّريك[1073].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ بيان لقبائح المشركين، فالضمير في ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ عائد على كفار قريش، الذين تقدمت محاورتهم، فهم يعبدون الأصنام التي هي جمادات لا تقدر دفع ضرر عنهم، فهي لا تضرهم إن لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهذا منطق المشركين، وفلسفتهم في الشرك، فهم يؤمنون بوجود الله الذي لا ينكره عاقل أصلاً؛ ولكنهم يشركون بعبادته الأصنام، رجاء شفاعتها عند الله ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: قل لهم يا محمد، أتخبرون الله تعالى بشريك أو شفيع كائن في السموات والأرض لا يعلمه الله ـ عز وجل ـ وهو علاّم الغيوب، قد أحاط علمه بجميع الكائنات والمخلوقات؟ والاستفهام على سبيل التهكم بما ادّعوه من المحال، ثم نزّه نفسه الكريمة عن شركهم وكفرهم فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي تنزه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عمّا يقوله هؤلاء المشركون، وعمّا يفعلونه من إشراكهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع[1074].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

١ ـ قرأ القراء ما عدا أبي جعفر (**أَتُنَبِّئُونَ**) بالهمزة من نبأ ينبىء من

(١٠٧١) انظر [القاموس المحيط (ص١٧٤) مادة نبَّ].

(١٠٧٢) انظر [بصائر التمييز (١٥/٥)].

(١٠٧٣) انظر [لسان العرب (٤٤٨/١٠ ـ ٤٤٩) مادة شرك].

(١٠٧٤) انظر [جامع البيان (٩٨/١١)، البحر المحيط (١٣٤/٥)، صفوة التفاسير (٥٧٦/١)].

الإنباء أي: الإعلام أو الإخبار، والمعنى: أتخبرون الله أنَّ له شركاء في ملكه، يُعبدون كما يعبد، أو أتخبرونه أنَّ لكم شفعاء بغير إذنه، وهو استفهام للإنكار والتوبيخ؛ لأنَّ الله لا يعلم له شريكاً ولا شفيعاً بغير إذنه في ملكوته، وأيضاً عدم وجود الشريك والشفيع لذلك نزّه الله سبحانه نفسه عن إشراكهم.

وقرأ جعفر (**أتنبون**) بدون همز، وهو من النبّ أي الصياح والصوت المرتفع والكبر والتعاظم، فكان هذا الاستفهام مع ما يحمل من إنكار وتوبيخ للمشركين وأقوالهم أيضاً يصف حال المشركين وهم يقولون قولتهم الشنيعة هذه، فكأنّهم حيوانات ينطقون بما لا يعقلون؛ لأن النبّ يُقال للتيس عند الهياج، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

نجد أنَّ قراءة الهمز: استفهام للإنكار والتوبيخ، وقراءة عدم الهمز فيها استهزاء بهم أكثر، ووصف لحالهم وهم يقولون قولهم الشنيع، فكانت صورة الاستهزاء أكثر في هذه القراءة والله أعلم.

القراءة الثانية:

٢ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (**عَمَّا تشرِكُونَ**) بالتاء على الخطاب، فحجة مَنْ قرأ بالتاء: أنّه ردّه على ما قبله من لفظ الخطاب في قوله: ﴿**أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ**﴾ فحمل آخر الكلام على أوله في الخطاب[(١٠٧٥)]، فيكون المعنى: قل لهم يا محمد: تعالى الله عما يشركون، يا كفرة[(١٠٧٦)].

وقرأ الباقون ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بالياء على الغيب، وهو خبر. وحجّتهم قوله تعالى: ﴿**وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ**﴾ ولم يقل: وتعبدون ما لا يضركم، فلذلك جاء الإخبار في قوله: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ فمن

(١٠٧٥) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٢٩، والكشف (٥١٥/١)].

(١٠٧٦) انظر [الحجة: ابن خالويه ص١٠١، وإعراب القراءات السبع: ابن خالويه (٢٦٥/١)].

قرأ بالياء، احتمل وجهين:

أحدهما: على ﴿قلْ﴾، كأنه قيل له أي للرسول ﷺ قل أنت: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. **والوجه الآخر**: على أنه يكون هو سبحانه نزَّه نفسه عما افتَرَوْه فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١٠٧٧).

الجمع بين القراءتين:

أرى أنّ من قرأ بالياء فهو خبر، ونوع من الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، وقد سبق ذكر فائدة الالتفات(١٠٧٨). أمّا من قرأ بالتاء، فهو مخاطبة، وهذا نوع من تلوين الأسلوب، مما يعطي جمالاً ورونقاً في أسلوب القرآن الكريم، والله أعلم.

٩ ـ ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ رَوح (**يمْكُرُونَ**) بالغيب.

٢ ـ وقرأ الباقون (تَمْكُرُونَ) بالخطاب(١٠٧٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

المكر: الاحتيال في خُفية، والمكر: الخديعة والاحتيال، مَكَرَ يَمْكُر مكراً مَكَرَ به.

ومكر الله: إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه، وقيل: هو استدراج العبد بالطاعات، فيتوهم أنّها مقبولة، وهي مردودة(١٠٨٠).

(١٠٧٧) انظر [الكشف (٥١٥/١)، الحجة ابن زنجلة ص٣٢٩، وانظر الحجة: أبو علي الفارسي (٢٦٤/٤)].

(١٠٧٨) راجع ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(١٠٧٩) انظر [النشر (٢١٢/٢)].

(١٠٨٠) انظر [لسان العرب (١٨٣/٥ ـ ١٨٤) مادة مكر].

ثالثاً: المعنى الإجمالي:

بعد أن ردّ الله ـ تعالى ـ على المشركين الطّالبين إنزال آية كونية غير القرآن، بأنّ هذا من الغيب المستأثِر به الله ـ تعالى ـ ذكر أنّ المشركين، لا يقنعون بالآيات حتى وَلَو رأوها بأعينهم؛ لأنّ من عادتهم المكر والجحود. قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ﴾ أي الكافرين(١٠٨١) ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ كالمطر بعد القحط، والأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، ونحو هذا مما لا ينحصر.

وهذه الآية تتناول أيضاً المنافقين، وتتناول من العاصين من لا يؤدي شكر الله تعالى بعد زوال المكروه عنه، ولا يرتدع بذلك عن معاصيه(١٠٨٢) ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ والمكر الجحود بها والرَّد لها(١٠٨٣)، وقال مجاهد: «استهزاءٌ بالرسل، وتكذيبٌ بالقرآن»(١٠٨٤) ﴿إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ﴾ جواب ﴿إِذَآ﴾ الأولى فإذا جواب إذا تقديره مكروا ومعناه استهزءوا وكذبوا(١٠٨٥) ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾ يقول ابن كثير: «أي أشد استدراجاً وإمهالاً حتى يظن الظان من المجرمين، أنّه ليس بمعذب، وإنما هو في مهلة ثم يؤخذ على غرَّة منه، والكاتبون الكرام يكتبون عليه جميع ما يفعله، ويحصون عليه ثم يعرضونه على عالم الغيب والشهادة، فيجازيه على الجليل والحقير»(١٠٨٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

ـ قرأ روح (**يمْكُرُونَ**) بالياء على الغيب جرياً على ما قبله في الآية: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يونس: ٢١].

(١٠٨١) انظر [معاني القرآن: الزجاج (١٢/٣)].

(١٠٨٢) انظر [المحرر الوجيز (١١٢/٣)].

(١٠٨٣) انظر [مجاز القرآن: أبو عبيدة (٢٧٦/١)].

(١٠٨٤) تفسير الإمام مجاهد (٣٨٠/١).

(١٠٨٥) انظر [مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب (٣٤١/١)].

(١٠٨٦) التَّفسير العظيم: ابن كثير (٤١٢/٢).

- وقرأ الباقون ﴿تَمْكُرُونَ﴾ بالتاء على الخطاب، وذلك من الالتفاف من الغيبة إلى الخطاب، وذلك مبالغة في الإعلام بمكرهم، والتفاتاً لقوله تعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فكان التقدير، (**قل لهم**) فناسب الخطاب.

وهذا إن كانت الجملة في حيِّز القول، ويكون (رُسُلَنَا) تحتاج إلى إضافة، فتكون (رسل ربنا). أمّا إن كانت الجملة لم تدخل في حيِّز القول، فتكون قراءة ﴿تَمْكُرُونَ﴾ تعليلاً للأسرعيه، أو الأمر المذكور، فيكون التقدير ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ﴾؛ لأنَّ رسلنا أو فرسلنا، يكتبون ما تمكرون[1087].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

قراءة (يَمْكُرُون) على الغيب وقراءة ﴿تَمْكُرُونَ﴾ على الخطاب فيها التفات من الغيب إلى الخطاب، وهذا من أساليب القرآن الجميلة العجيبة، ومع ذلك يفيد أيضاً المبالغة في الإعلام بمكرهم، وصيغة الاستقبال في الفعلين؛ للدلالة على الاستمرار والتجدد[1088].

١٠ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْۙ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس: ٢٢].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يَنْشُرُكُم**) بفتح الياء ونون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة، من النشر، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وغيرها.

٢ - وقرأ الباقون (**يُسَيِّرُكُمْ**) بضم الياء، وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء

(١٠٨٧) انظر [روح المعاني (١١/٩٠)، وحاشية الشهاب (٥/٢٩)].

(١٠٨٨) انظر [روح المعاني (١١/٩٠)].

مكسورة مشددة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم(١٠٨٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يَنْشُرُكُم: من النَّشر، وهو الريح الطيبَّة، والنشر خلاف الطيِّ، كالتنشير والتّفريق(١٠٩٠).

يُسَيِّرُكُمْ: من السَّيْر أي الذهاب، سار يسيرُ سيراً ومَسِيراً وتسياراً ومسيرة، وسار القوم يسيرون سَيْراً ومسيراً، إذا امتدَّ بهم السَّير في جهة توجهوا لها، والسير بالنهار وبالليل(١٠٩١).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي: هو تعالى بقدرته الذي يحملكم في البرّ على الدواب، وفي البحر على السُّفن التي تسير فوق سطح الماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ وهي السفن ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ أي جرت السفن بالناس، وهو أسلوب التفات من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة، وذلك لتعجبه من حالهم وإنكاره عليهم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ في البحر ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ بتلك الريح لطيبها ﴿جَآءَتْهَا﴾ فأجاءتها ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ عصفت ريح شديدة عليهم أو باتجاههم ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ وجاءهم الموج، وهو ما ارتفع من الماء من كل مكان من البحر ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أيقنوا بأنهم دنوا من الهلاك ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ تركوا الشرك، وأخلصوا لله الربوبية وقالوا: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال وهذه الريح العاصفة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الطَّائعين الموّحدين وورد كلمة ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ بصيغة اسم الفاعل للمبالغة والدِّلالة على الاستمرار في الشكر، والثبوت عليه(١٠٩٢).

(١٠٨٩) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١٠٩٠) انظر [القاموس المحيط ص٦٢٠ مادة نشر].

(١٠٩١) انظر [لسان العرب (٣٨٩/٤) مادة سير].

(١٠٩٢) انظر [جامع البيان (١٠٠/١١)، المحرر الوجيز (٤٩٤/١)، المقتطف من عيون التفاسير (٤٦٢/٢)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

- قرأ أبو جعفر وابن عامر (**يَنْشُرْكُم**) بفتح الياء، وإسكان النون، وضم الشين، من النشر وهو التفريق الذي هو خلاف الطّي ومن البث.

وحجّتهم أنها في المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، وقوله أيضاً: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [الشورى: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] فالبثّ تفريق ونشر في المعنى، فيكون معنى النشر في البحر: أي ينشرهم سبحانه في البحر، فيُنجي من يشاء ويُغرق من يشاء، وأيضاً المعنى: هو الذي يبثكم ويفرقكم في البر والبحر.

- وقرأ الباقون ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ بضم الياء، وفتح السين، من السير أي: يجعلكم تسيرون، وحجتهم في المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١، النمل: ٦٩، العنكبوت: ٢٠، الروم: ٤٢].

ومعنى تسييرهم في البر أنهم يمشون على أقدامهم التي خلقها لهم؛ لينتفعوا بها، ويركبون ما خلقه الله لركوبهم من الدواب، ومعنى تسييرهم في البحر، أنه ألهمهم لعمل السفائن التي يركبون فيها في البحر، ويسّر ذلك لهم، ودفع عنهم أسباب الهلاك. والمعنى العام: يحفظكم إذا سافرتم(١٠٩٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبعث عباده، فيبسطهم من النشر، نشر الثوب بسطه، براً وبحراً ثم ييسّر لهم، ويدفع عنهم أسباب الهلاك، فالله يحفظهم في السفر براً وبحراً.

وإسناد التسيير إلى الله، بإعتبار أنه سببه، و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا ابتدائية، وهي غاية للتسيير فمجيء الريح العاصفة هو غاية التسيير الهنيء المنعم به، إذ

(١٠٩٣) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٦٥ ـ ٢٦٦)، الحجة: ابن زنجلة ص٣٢٩، الكشف (١/٥١٦)، فتح القدير ٠٢/٥٤٣)].

حينئذ ينقلب التسيير كارثة ومصيبة(١٠٩٤).

١١ - ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس: ٢٣].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حفص (**مَتَاعَ**) بنصب العين.

٢ - وقرأ الباقون (**مَتَاعُ**) برفع العين(١٠٩٥).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مَتَاعَ: مصدر متع، وهو ماتع والماتع من كل شيء: البالغ في الجودة الغاية في بابه، وقد نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: «فأمّا المتاعُ في الأصل فكل شيء ينتفع به، ويُتبلّغ به، ويُتزوّدُ والفناء يأتي عليه في الدنيا»(١٠٩٦).

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

قوله تعالى ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ أي خلّصهم، وأنقذهم من الغرق والهلاك ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي يعملون في الأرض بالفساد والمعاصي، فالبغي هو الفساد والشر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: بالتكذيب، منهم أخلفوا الله ما وعدوه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ أي: إنّما يذوق وبال هذا البغي أنتم أنفسكم، ولا تضرون به أحداً غيركم ﴿مَتَاعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: إنّما بغيكم على أنفسكم متاعاً لكم في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا

(١٠٩٤) انظر [التحرير والتنوير (٥٤٣/١١)].

(١٠٩٥) انظر [النشر (٢١٢/٢)].

(١٠٩٦) لسان العرب (٣٢٨/٨ - ٣٢٩) مادة متع.

﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ مصيركم بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ نخبركم يوم القيامة بجميع أعمالكم ونجازيكم بها[1097].

وخلاصة المعنى: أنَّ الله اختبر بني آدم بالتكاليف في الدنيا التي هي دار العمل، فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، ولكن هناك فريق من الناس، يبغون في الأرض الفساد مقابل ثمن بخس، يتمتعون به في الدنيا، هؤلاء عندما يُرَدون إلى الله تعالى يوم القيامة، سيخبرهم بما كانوا يعملون.

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

هذه الآية تعتبر مثالاً في التطبيق على القواعد التحويلية التوليدية، حيث تتحول الكلمة في التركيب النحوي من موقع إلى موقع آخر، وتتبوأ وظيفة بعد أخرى، فيتولد من ذلك النظم، لطائف معاني النحو بين الكلم.

قرأ حفص (متَاعَ) بنصب العين، ولسوف تتبوأ الكلمة هذه الوظائف مولدة هذه المعاني[1098].

١ ـ مفعول له، والعامل هو المصدر (البغي) والبغي هو الترامي إلى الفساد أو العمل بالظلم[1099]، والبغي هو الطلب[1100]، وهنا الطلب المذموم، وهو الذي نهى عنه رسول الله ﷺ حيث يقول: (لا تبغ ولا تكن باغياً) فإن الله يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣][1101] والمعنى على هذا الوجه: إنّما بغيُ بعضكم على بعض، لأجل متاعِ الحياة الدنيا

(١٠٩٧) انظر [جامع البيان (١٠١/١١)، الجامع لأحكام القرآن (٦٣١/٨)، الأساس في التَّفسير (٢٤٤٢/٥)].

(١٠٩٨) انظر [التوجية اللغوي: د. صبري ص٢٢٨ ـ ٢٢٩].

(١٠٩٩) انظر [معاني القرآن: الزّجاج (١٤/٣)، معاني القرآن: النّحاس (٤٧٩/١)].

(١١٠٠) انظر [المصباح المنير ص٣٩].

(١١٠١) هذا الحديث عن أبي بكرة ـ ﷺ ـ ذكره الحاكم النيسابوري في كتابه المستدرك على الصحيحين (٣٦٩/٢) ـ ٢٧ كتاب التَّفسير/: باب تفسير سورة يونس رقم ٣٢٩٨ وقال عنه: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

و(على) متعلقة بـ (البغي) في صلته، وخبر البغي محذوف، تقديره (إنَّما بغي بعضكم على بعض) لأجل طلب الدنيا مذموم أو مكروه.

٢ ـ مفعول به وناصبه ﴿بَغْيُكُمْ﴾ على تأويل إنمّا طلبكم (بغيكم) على أنفسكم متاع الدنيا.

٣ ـ مفعول به بعد فعل محذوف مناسب، والتقدير: إنمّا بغيكم على أنفسكم، تبغون متاع الحياة الدنيا، ودلّ ﴿بَغْيُكُمْ﴾ على (**تبغون**) المحذوف.

٤ ـ مصدر مؤكد لعامله، أو مفعول مطلق مؤكد، والتقدير: إنمّا بغيكم على أنفسكم تتمتعون متاع الحياة الدنيا، فيكون (على أنفسكم) خبراً للبغي، غير داخل في صلة البغي.

٥ ـ مصدر في موضع الحال، وفي هذا يقول ابن مالك(١١٠٢):

ومصدرٌ منكرٌ حالاً يقع   بكثرةٍ كـ(بغتةٍ) زيد طلع(١١٠٣)

والتقدير: إنمّا يبغي بعضكم على بعض، متمتعين متاع الحياة الدنيا.

٦ ـ مصدر نائب عن ظرف الزمان، وفي هذا يقول ابن مالك:

وقد ينوب عن مكان مصدر   وذاك في ظرف الزمان يكثر(١١٠٤)

والتقدير: إنما بغيكم على أنفسكم، وقت متاع الحياة الدنيا ومن ذلك: آتيك طلوعُ الشمس، وقدوم الحاج أي: وقت الطلوع، ووقت القدوم، أو تقدير الحذف، مدة الحياة.

(١١٠٢) هو محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الأندلسي الإمام النحوي ولد بجيان سنة ٥٩٨هـ وقيل ٦٠٠هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢هـ انظر [غاية النهاية (٢/١٨٠) ترجمة ٣١٦٣)].

(١١٠٣) انظر [متن الألفية للعلامة الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ص٢٦ ـ المطبعة الخيرية: مالكها السيد عمر حسن القاهرة ـ مصر ـ ط سنة ١٣١٩هـ (وحيث يأتى ذكره، سأكتفى بقولي متن الألفية)].

(١١٠٤) انظر [متن الألفية ص٢٤].

٧ ـ منصوب بنزع الخافض، والتقدير لمتاع الدنيا[١١٠٥].

وقرأ الباقون (مَتَاعُ) وهي قراءة واضحة الإعراب، والجماعة عليها، والموقع الإعرابي خبر على أي حال:

١ ـ خبر لـ﴿بَغْيُكُمْ﴾ على أساس اتصال الجملة، و﴿بَغْيُكُمْ﴾ مبتدأ و﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مفعول معنى فعل البَغْي والمعنى: بَغْيُ بعضكم على بعض، منفعةُ الحياة الدنيا ولا بقاء لها.

٢ ـ خبر لمبتدأ محذوف على أساس الاستئناف فيكون ﴿بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ قد تمَّ الوقف عليه ثم نبتدئ: ﴿مَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ على تقدير: هو متاع الحياة الدنيا.

فالتقدير: بغي بعضكم، ووباله واقع على بعض، ذلك هو متاع الحياة الدنيا، ويجوز أن يكون خبراً ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ ونضمر مبتدأ أي ذلك متاع الحياة الدنيا[١١٠٦].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

تبين أنّ الكلمة في التركيب النحوي تتحول من موقع إلى موقع آخر، ويتولد نتيجة ذلك معاني النحو بين الكلم، فهذا الموضع شاهد على القواعد التحويلية التوليدية، حيث إنّ الكلمة تحتمل أكثر من معنى وأكثر من إعراب، فكانت القراءات سبباً في اختلاف النحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها وهذا الأسلوب أسلوب الإعجاز في القرآن[١١٠٧] والإيجاز، فنجد ملاءمة دقيقة بين وجازة الكلام وبين فزعهم المستخف وقلوبهم المستطارة، ففي هذا الإيجاز، تلخيص لِما في داخلهم من الضغائن

(١١٠٥) انظر [الكشف (٥١٦/١)، والحجة أبو علي الفارسي (٢٦٧/٤)، الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٤٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن (٦٣١/٤)].

(١١٠٦) انظر [معاني القرآن: الزجاج (١١٤/٣)، إعراب القراءات السبع: ابن خالويه (٢٦٦/١)، الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٠، الجامع لأحكام القرآن (٦٣١/٨)].

(١١٠٧) انظر [التوجيه اللغوي والبلاغي: د. صبري ص ٢٢٩].

والأحقاد، لكل من يحيطون بهم[1108].

١٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي **(قِطْعاً)** بإسكان الطاء.

٢ ـ وقرأ الباقون **(قِطَعاً)** بفتح الطاء[1109].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قِطْعاً: إذا أُسكنت الطاء فمعناه «بعضاً من الليل»، والجمع أقطاع من الليل أي ساعات من الّليل[1110]. وهو أيضاً اسم ما قطع يقال: قَطَعَهُ قَطْعاً.

قِطَعاً: بفتح الطاء جمع قِطَعَةٍ، واسم ما قطعت قطع[1111] وقال عامة الناس: قِطَعاً يريدون به جماعة (القِطْعَة)[1112].

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

أخبر الله ـ تعالى ـ في الآية التي تسبق هذه الآية عن حال السّعداء الذين يُضَاعف لهم الحسنات، ويزدادون على ذلك، ثم عطف على ذلك بذكر حال الأشقياء في هذه الآية، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي عملوا الشرك وعملوا السيئات في الدنيا، ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ أي فلهم جزاء سيئة ﴿بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يصيبهم ويعتريهم ذلّ، وخزيٌ، وهوان بعقاب الله لهم

(١١٠٨) انظر [الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لتراث أهل العلم: د. محمد محمد أبو موسى ص٩٣ ـ مكتبة وهبه الجمهورية ـ عابدين المحرم ١٤٠٥هـ سبتمبر ١٩٨٤م].

(١١٠٩) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١١١٠) انظر [مجاز القرآن (١/٢٧٨)].

(١١١١) انظر [معاني القرآن النحاس (١/٤٨١)].

(١١١٢) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٦٨)].

﴿مَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ﴾ من مانع يمنعهم ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾ ألبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾ طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وهو مظلم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ أي: هؤلاء الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة، هم أهل النار، لا يخرجون منها أبداً(١١١٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي **(قِطْعاً)** بإسكان الطاء، والقطع: ظلمة آخر الليل، أو طائفة من الليل، وهو أيضاً اسم للشيء المقطوع، والقطْع: اسم للجزء من زمن الليل المظلم، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١] وهذا يراد به الجزء من زمان الليل، وفي هذه الآية، الجزء من سواده(١١١٤).

(ومُظْلِماً) على هذه القراءة يَحتمل نصبه وجهين **أحدهما**: أن يكون صفة للقطع، ووصف بذلك مبالغة في وصف وجوههم بالسواد.

والثاني: يجوز أن يكون حالاً من الضمير الذي في الظرف في قوله: **(مِنَ اللَّيلِ)** ويكون المعنى: أي قطْعاً مستقرة من الليل، أو كائنه من الليل في حال إظلامه. ويجوز أنْ يكون **(قِطْعاً)** جمع قطعة أي اسم جنس، فيجوز حينئذ وصفه بالتذكير نحو (نخلٌ منقعر) [القمر: ٢٠] والتأنيث نحو: نخل خاوية [الحاقة: ٧](١١١٥) ووصف الليل وهو زمن الظلمة بكونه قِطَعاً، لإفادة تمكين الوصف منهم، كقوله، ليل أليل وظل ظليل، فالمراد من الليل الشديد الإظلام باحتجاب نجومه، وتمكن ظلمته، شبهت قترة وجوههم بظلام الليل(١١١٦).

وقرأ الباقون **(قِطَعاً)** بفتح الطاء، نحو سِدَر، سِدْره وكِسَر، كِسْرة،

(١١١٣) انظر [جامع البيان (١٠٩/١١ ـ ١١١)، تفسير القرآن العظيم (٤١٥/٢)].

(١١١٤) انظر [الكشف (٥١٧/١)، والحجة: أبو علي الفارسي (٢٧٠/٤)، البحر المحيط ١٥٠/٥، الدر المصون ١٨٦/٦)].

(١١١٥) انظر [الدر المصون (١٨٧/٦)].

(١١١٦) انظر [التحرير والتنوير (١٤٩/١١)].

وهو جمع قطعة وهي الجزء من الشيء سمّي قطعة؛ لأنّه يقتطع كله غالباً فهي فعْله بمعنى مفعول نقلت إلى الإسمية[1117] واختاروا الجمع؛ لأنّ معنى الكلام كأنّما أغشي وجه كل إنسان منهم قطعة من الليل ثم جمع ذلك؛ لأنّ الوجوه جماعة وجعلوا ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ حالاً من الليل، فيكون المعنى أغشيت وجوههم قطعاً من الليل في حال ظلمة[1118] وقطعاً منصوب بأغشيت مفعولاً ثانياً.

ومن فتح فيه المبالغة في سواد وجوه الكفار، ويكون ﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ حالاً من الليل ولا يكون حالاً من القطع ولا من الضمير في ﴿ٱلَّيۡلِ﴾؛ لأنّ ذلك جمع و﴿مُظۡلِمًاۚ﴾ واحد[1119].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى: أنّ (قطَعاً) بالفتح فيه مبالغة في سواد وجوه الكفار؛ لأنّه جمع قطعة، فزادت في المعنى بزيادة السواد فيه، فكأنّ وجوههم مغطاةٌ بالسّواد الشّديد، فقراءة الفتح وضحت قراءة السكون والله أعلم.

١٣ - ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾ [يونس: ٣٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة والكسائي، وخلف (تتلو) بتاءين من التلاوة.

٢ - وقرأ الباقون (تبلو) بالتاء والباء من البلوى[1120].

ثانياً: المعنى اللُغويّ للقراءات:

(١١١٧) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(١١١٨) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٠].

(١١١٩) انظر [المرجع السابق، وانظر الكشف ٠١/٥١٧)].

(١١٢٠) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

١ ـ تتلو: من الفعل تلا تلوته أتلوه، وتلوت عنه تلواً وتلاوة وتلوته تلواً: تبعته، وتلوت القرآن تلاوةً: أي قرأته[١١٢١].

٢ ـ تَبْلُو: من الفعل بلا، بَلَوْتَ بلواً بلاءً وابتليته أي اختبرته، والاسم البَلْوَى والبِلْوَة والبِلْيَةُ والبَلِيّةُ والبلاء، والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً[١١٢٢].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ﴾ هو ظرف أي: في ذلك الزمان أو ذلك المكان ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾. أي في ذلك الوقت تختبر كل نفس بما قدمت من خير أو شر، وتنال جزاء ما عملت ﴿وَرُدُّوٓا﴾ إلى الله مولاهم الحق، أي ورجعت الأمور كلها إلى الله الحكم العدل المقسط ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي ذهب وغاب عن المشركين ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي ضاع عنهم ما كانوا يعبدون من دون الله افتراءً عليه، وأنها تقربهم منه زلفى، وفي الآية تبكيت شديد للمشركين[١١٢٣].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ جماعة من أهل الكوفة، وبعض أهل الحجاز (تتلو كلُّ نفسٍ ما أسلفت) بالتاء. واختلف قارئوا ذلك كذلك، في تأويله فقال بعضهم: تتلو من تبع يتبع، فيكون المعنى:

هنالك تتبع كلُّ نفس ما أسلفت من عمل، أي تتبع كلُّ نفس ما قدمته من عمل، فيسوقها إلى الجنة أو إلى النار.

وقال البعض الآخر: تتلو من «التلاوة» منهم لأعمالهم، وهي القراءة لها من كتاب أعمالهم، فهو يتلوا كتاب حسناته وسيئاته، يعني يقرؤها يوم

(١١٢١) انظر [لسان العرب (١٠٢/١٤ ـ ١٠٥)].

(١١٢٢) انظر [المرجع السابق (٨٣/١٤ ـ ٨٤) مادة بلا].

(١١٢٣) انظر [جامع البيان (١١٢/١١ ـ ١١٣)، تفسير القرآن العظيم (٤١٦/٢)، صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني (٥٨٢/٠١)].

القيامة. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، وقوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: ١٤] ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقرأ الباقون ﴿تَبْلُوا۟﴾ بالتاء والباء من البلوى أي الاختبار، وهو هنا كناية عن التحقق وعلم اليقين. والمعنى: أنها تختبر حالته وثمرته، فتعرف ما هو حسن ونافع، وما هو قبيح وضار، إذا قد وضح لهم ما يفضي إلى النعيم بصاحبه وضده، كما يعرف الرجل الشيء باختباره. أو تَبْلُو بمعنى تَخْبُر: أي تعلم كلُّ نفسٍ ما قدَّمت[(١١٢٤)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

يقول الطبري: «إنهما قراءتان مشهورتان، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، وهما متقاربتا المعنى، وذلك أنَّ من تبع في الآخرة ما أسلف من العمل في الدنيا، هجم به على مورده، فيخبر هنالك ما أسلف من صالح أو سيء في الدنيا، وإن من خير من أسلف في الدنيا من أعماله في الآخرة، فإنما يخبر بعد مصيره إلى حيث أحله ما قَدَّمَ في الدنيا من عمله، فهو في كلتا الحالتين متْبع ما أسلف من عمله، مختبر له»[(١١٢٥)].

وبالجمع بين القراءتين يتبين: أنّ الله ـ سبحانه ـ يخبر أنَّه في ذلك الموقف والمقام المقتضي للحيرة والدهشة، تتبع كلُّ نفس ما أسلفت من عمل، وتتلوه وتقرأه وتختبره، فتعرف كيف هو؛ ليجزي به[(١١٢٦)].

ومن ثمرة الخلاف في القراءتين أيضاً: إضافة معنى جديد في تفسير الآية، حيث يلزم الاعتقاد أنّ العبد يوم القيامة يتلو ما أسلف. ويبلو ما أسلف، وبذلك يندفع عنه توهمه، ضياع بعض عمله في تلاوة الصحائف،

(١١٢٤) انظر [جامع البيان: (١١/١١٢ ـ ١١٣)، (البحر المحيط ٥/١٥٣)، التحرير والتنوير (١١/١٥٣) الكشف (١/٥١٧)، معاني القراءات ص ٢٢٣، الحجة: ابن زنجلة (١٠١ ـ ١٠٢)].

(١١٢٥) انظر [جامع البيان (١١/١١٣)].

(١١٢٦) انظر [القراءات وأثرها في التَّفسير ق (٢/٥٧١)].

ويندفع عنه توهمه، أنّه لم يؤت جزاء ما عمل بابتلاء الصحائف. فهذه المسألة من الغيبيات التي يكلف المؤمن باعتقادها، لذلك نرى أنّ كل واحد من المعنيين، دلَّت عليه قراءة متواترة يجب على المسلم التصديق، والالتزام بها[(١١٢٧)].

١٤ ـ ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس: ٣٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيون، ويعقوب وابن كثير وابن عمرو ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بغير ألف على التوحيد.

٢ ـ وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (كَلماتُ ربك) بألف على الجمع[(١١٢٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

كلم القرآن أي: كلام الله وكلم الله وكلماته وكلمته، وكلام الله لا يحد ولا يعد، و(الكلمة) لغة تميميَّة[(١١٢٩)] و(الكلمة) اللفظة حجازية[(١١٣٠)] وجمعها كَلِم، تذكر وتؤنث.

وكلمة ربك: تعني أمر الله[(١١٣١)].

(١١٢٧) انظر [القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني ص ٢١١].

(١١٢٨) انظر [النشر (١٩٧/٢)، (٢١٢/٢)].

(١١٢٩) نسبة إلى تميم بن مرّة، وهذه النسبة تنتسب إليها جماعة من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا انظر [الأنساب (٤٧٨/١ ـ ٤٨١)، النسب: لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ ص٢٠٨ ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م ـ تحقيق ودراسة: مريم محمد خير الحرع، تقديم: د. سهيل زكَّار (وحيث يأتي ذكره، سأكتفي بقولي النسب)].

(١١٣٠) نسبة إلى الحجاز وهي مكّة وما يتعلق بها إلى المدينة يقال لها الحجاز انظر [الأنساب (١٧٥/٢ ـ ١٧٦)].

(١١٣١) انظر [لسان العرب (٥٢٢/١٢ ـ ٥٢٥) مادة كلم].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ الكاف الداخلة قبل اسم الإشارة كاف للتشبيه والمشبه به هو المشار إليه، وهو حالهم وضلالهم. فالمعنى: كما كفر هؤلاء المشركون، واستمروا على شركهم وعبادتهم مع الله غيره، بالرغم من أنهم يعترفون بأنه الخالق الرازق المتصرف في الملك وحده، فكما حقت عليهم كلمة الله، أنَّهم لا يؤمنون بسبب إصرارهم وتعنتهم على محاربة الحق، فكذلك حقت كلمة الله، أي وجب عليهم قضاء الله وكلمة السابق ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ أي الذين خرجوا عن الطاعة وكفروا وكذَّبوا ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فحق على كل فاسق، أن لا يؤمن فتكون كلمة العذاب حقت عليهم، لضلالتهم، ولشقاوتهم(١١٣٢).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر: كلمات بالجمع وإنما اختاروا ذلك؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالتاء، فعملوا في ذلك على السَّواد، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وكلمات على الجمع على الأصل لأنّ كلمات الله كثيرة، أو أنه جعل الكلم التي تُوعِّدُوا بها كل كلمة واحد منها كلمة، ثم جمع فقال: كلمات.

وقرأ الباقون (**كَلِمَت**) بالتوحيد ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في موضع بدل من كلمت، وحجة إجماع الجميع على التوحيد في قوله ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، [الأنعام: ١١٥] فردّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، والحجّة لمن وحَّدَ أيضاً: أنه ينوب الواحد في اللفظ عن الجميع.

وقراءة (كَلِمَت) الإفراد احتمل وجهين:

الوجه الأول: أنه يجوز أن يكون جُعل ما أُوعد به الفاسقون كلمةً،

(١١٣٢) انظر [التَّفسير القرآن العظيم (٤١٦/٢)، جامع البيان (١١٤/١١)، الأساس في التفسير (٢٤٥٥/٥)].

وإن كانت في الحقيقة كلماً؛ لأنهم قد يسمون القصيدة والخطبة كلمة، وكذلك ما تُوُعِّدَ به الفاسقون من نحو قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [السجدة: ٢٠] كلمة تبقى له.

الوجه الثاني: يجوز أن يكون ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ التي يراد به الجنس وقد أُوقعت على بعض الجنس، كما أُوقع الجنس على بعضه في قوله سبحانه ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ﴾ [الصافات: ١٣٧ ـ ١٣٨][(١١٣٣)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى: أنَّ من قرأ بالإفراد ومن قرأ بالجمع، فإن المعنى واحد؛ لأنّ الكلمة تطلق على مجموع الكلام، ولأن الجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات، أو باعتبار تكرر الكلمة الواحدة بالنسبة لأناس كثيرين[(١١٣٤)].

وأيضاً يعتبر هذا الموضع شاهداً على جواز جمع المصدر لاختلاف الأنواع حيث إنّ (كَلِمَت) بصيغة الإفراد مصدر، والأصل في المصدر أن يفرد؛ لأنه دال على الجنس كله، بمعنى أن يقع على الكثير والقليل بلفظ واحد[(١١٣٥)].

١٥ ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٥﴾ [يونس: ٣٥].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وورش (لا يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال.

(١١٣٣) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٨٠، إعراب القراءات: ابن خالويه (١/٢٦٧ ـ ٢٦٨)، الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٧٣ ـ ٢٧٤)].

(١١٣٤) انظر [التحرير والتنوير (١١/١٦٠)].

(١١٣٥) انظر [الكشف (١/٥٠٥)، التوجيه اللغوي: د. صبري (٢١٨/٢١٩)].

٢ ـ وقرأ أبو جعفر وقالون (لا يَهْدِّي) بفتح الياء، وإسكان الهاء مع تشديد الدال.

٣ ـ وقرأ حمزة والكسائي وخلف (لا يَهْدِي) بفتح الياء، وإسكان الهاء، وتخفيف الدال (أي كسرها بلا تشديد).

٤ ـ وقرأ يعقوب وحفص (لا يَهِدِّي) بفتح الياء، وكسر الهاء، وتشديد الدال.

٥ ـ قرأ شعبة (أبو بكر) (لا يِهِدِّي) بكسر الياء والهاء، وتشديد الدال.

٦ ـ قرأ أبو عمرو، وقالون بخلف عنه (لا يَهَدِّي) بفتح الياء، واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال(١١٣٦).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الهدى ضد الضلال وهو الرَّشاد، والدِّلالة على طريق الحق.

نقل ابن منظور عن ابن جني قال فيمن قرأ (أَمَّنْ لا يَهِدِّى إلا أن يُهْدَى)، بالتقاء الساكنين فيمن قرأ به، قال: «لا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون الهاء مسكنة البته، فتكون التاء من يهتدي مختلسة الحركة، وإما أن تكون الدال مشددة، فتكون الهاء مفتوحة بحركة التاء المنقولة إليها أو مكسورة لسكونها وسكون الدال الأولى»(١١٣٧).

وقال الفراء: معنى قوله تعالى (أَمَّنَ لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَى) يقول: يعبدون ما لا يقدر على النُقلة من مكانه إلا أن يحوَّل وتنقلوه(١١٣٨) وقرأ عاصم (أم من لا يَهدِّي) بكسر الهاء بمعنى يهتديَ، ومن قرأ (أم من لا يَهْدِي) خفيفة، فمعناه يهتدي أيضاً، يقال: هديته فهدى، أي إهتدى(١١٣٩).

(١١٣٦) انظر [النشر (٢/٢١٢)].

(١١٣٧) لسان العرب (٣٥٣/١٥) مادة هَدَيَ.

(١١٣٨) انظر [معاني القرآن: الفراء (٤٦٤/١)].

(١١٣٩) انظر [لسان العرب (٣٥٤/١٥) مادة هدي].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال: قل يا محمد لهؤلاء المشركين، هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة من يهدي الناس إلى الحق والخير وطريق النجاة؟ فإذا قالوا: لا وأقروا بذلك، فقل لهم: الله هو الذي ﴿يَهْدِي لِلْحَقِّۗ﴾ إلى طريق الرشاد من يشاء ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾ أي: الله الذي يهدي ويرشد إلى الحق، وأهلَ الحقِّ أحقُّ أن يتبع أمرُهُ أم الأصنام التي لا تهدي أحداً ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ﴾ يرشد، وهي ـ وإنْ هُديت ـ لم تهتد ولكنَّ الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت؛ لأنهم لما اتخذوها آلهة عُبِّر عنها كما يُعبَّر عمَّن يعلم ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ فكأنه قيل: أيُّ شيء لكم في عبادة الأوثان؟ وهذا كلام تام ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يعني: كيف تقضون حين زعمتم أنَّ مع الله شريكاً؟[١١٤٠] وما لكم، استفهام معناه: التوبيخ والتنبيه[١١٤١].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

ـ قرأ ابن كثير وابن عامر وورش (أَمَّن لاَّ يَهَدِّي) بفتح الياء والهاء، وتشديد الدال. وكذلك قرأ أبو عمرو وقالون، غير أنهما اختلسا فتحة الهاء (يَهدِّي) تنبيهاً على أن الهاء ليس أصلها الحركة بل السكون.

ـ وقرأ حمزة والكسائي وعامة قراء أهل المدينة (لا يَهْدِي) بفتح الياء، وإسكان الهاء والتخفيف.

ـ وقرأ حفص بفتح الياء، وكسر الهاء، والتشديد وهي لغة سفلى مضر[١١٤٢] (لا يَهِدِّي).

(١١٤٠) انظر [جامع البيان (١١/١١٥)، مجمع البيان (١١/٤٧ ـ ٤٨) معاني القرآن: الزجاج (٣/١٩٠)].

(١١٤١) انظر [مشكل إعراب القرآن مكي بن أبي طالب (١/٣٤٥ ـ ٣٤٦)].

(١١٤٢) مُضر: قبيلة معروفة ينسب إليها قريش وهو مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان، أخو ربيعة بن نزار، وهما القبيلتان العظيمتان اللتان يقال عنهما: أكثر من ربيعة ومُضَر=

- وكذلك قرأ أبو بكر، غير أنه كسر الياء مع كسر الهاء (لا يِهِدِّي).

- وقرأ أهل المدينة - خلا ورش - بفتح الياء، وسكون الهاء، وتشديد الدال (لا يَهْدِّي).

نقل صاحب الدُّر المصون في تفسيره عن المبرد[1143] قوله: «من رام هذا فلا بد أن يحرك حركة خفيفة».

- وحجّة من قرأ (يَهَدِّي، يَهِدِّي، يَهْدِّي، يِهِدِّي).

أصل جميعها: يهتدي على وزن يفتعل، وإن اختلفت ألفاظها أدغموا التاء في الدال؛ لمقاربتها لها، فإنهما من حيز واحد، ثم اختلفوا في تحريك الهاء، فمن قرأ (يَهَدِّى) بفتح الهاء ألقى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء، ومن قرأ (يَهِدِّي) بكسر الهاء، فإنه حرّك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين، ومن سكّن الهاء (يَهْدِّي) جمع الساكنين، ومن أشم الهاء، ولم يسكن، فالإشمام في حكم التحريك (يَهَدِّي)، وليبيِّن أن حركة الفتحة حركة لغير الهاء، ولم يمكنه إبقاء الهاء ساكنة لسكون أول المدغم، ومن كسر الياء مع الهاء، أتْبعَ الياء ما بعدها من الكسرة (يِهِدِّي)؛ ليعمل اللسان في ثلاث كسرات عملاً واحداً.

وعلى هذا يتجه المعنى على أنَّ: من لا يهتدي إلاّ أن يُهْدى. والأصنام لا تهدي إلا أن تهدى، ونحن نجدها لا تهتدي، وإن هديت فوصفهم بأوصاف من يعقل، وهذا مجاز[1144].

= انظر [لب اللباب في تحرير الأنساب: للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٢٦١/٢) ترجمة رقم ٣٧٥٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م - تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، وأشرف أحمد عبد العزيز].

(١١٤٣) سبقت ترجمة له ص٢١٥.

(١١٤٤) انظر [جامع البيان (١١٥/١١)، الحجة أبو علي الفارسي (٢٧٥/٤ - ٢٨٠)، مجمع البيان (٤٦/١١ - ٤٧)، الكشف (٥١٨/١ - ٥١٩)، المحرر الوجيز (١١٩/٣)، الدّر المصون (١٩٩/١١ - ٢٠٠)].

وقال الفراء: «تعبدون ما لا يقدر على النُقلة من مكانه، إلا أن يُحول تنقلوه»[(١١٤٥)].

وإدغام تاء الافتعال للإيماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية، حتى أدانيها، فإن التاء عند أرباب القلوب معناه: انتهاء التسبب إلى أدناه وكما قلنا المعنى إلا أن يُهْدى فلا يهتدي أي يهديه هادٍ غيره كائناً مَنْ كان، وهذا يعم كلَّ ما عُبد من دون الله، مَنْ يعقل ومَنْ لا يعقل[(١١٤٦)].

وعلى قراءة حمزة والكسائي (يَهْدي) بتخفيف الدال يكون فيها وجهان:

ـ إمَّا أن يكون الفعل لازماً بمعنى يهتدي، كما هو أحد استعمالات فعل الهداية.

ـ وإما أن يكون الفعل متعدياً أي: لا يَهْدي غيره، ومفعوله محذوف، فيكون المعنى أمّن لا يَهْدي أحداً إلا أن يُهْدى ذلك الأحد بهداية من عند الله.

والراجح الثاني رُجّح بأنّه الأوفق بما قبل؛ لأنَّ المفهوم منه نفي الهداية لا الإهتداء[(١١٤٧)].

تعتبر هذه الآية مثالاً أو شاهداً صوتياً على توافق الصوائت أو المماثلة المتباعدة[(١١٤٨)].

(١١٤٥) معاني القرآن: الفرّاء (١/٤٦٤).

(١١٤٦) انظر [نظم الدرر (٣/٤٤١)].

(١١٤٧) انظر [روح المعاني (١١/١٠٧ ـ ١٠٨)].

(١١٤٨) كما قلنا سابقاً ص٢٧٧ أن المماثلة هي التعديلات التكيفية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى والمماثلة التباعدية هي بين أصوات متاخمة وتسمى تجاورية، مثل تفخيم السين في سراط، وسيطر تحت تأثير الطاء المفخمة انظر [دراسات الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر ص٣٢٥) نقلاً عن كتب أجنبية عالم الكتب القاهرة ط٢ ـ ١٩٨١م، الأصوات اللغوية ص٢٨٣ د. عبد القادر عبد الجليل ـ دار الصفاء ـ عمان ـ الأردن ـ ط سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م].

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءات أرى ما يلي:

أنه أدغمت التاء في الدال بسبب التجانس، والصوت المؤثر هو الدال؛ لأنَّه الأقوى، فالتاء حرف مهموس، والدال حرف مجهور ومعروف أنَّ الهمس فيه الضعف، والجهر فيه القوة والشدة(١١٤٩). ممَّا يدل على قوة الخطاب من الله تعالى لهؤلاء المشركين، وامتناع جميع أسباب الهداية عنهم حتى أدانيها، واستخدام الحركات - الفتحة والكسرة والسكون - يُعضد من هذا المعنى.

١٦ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حمزة، والكسائي، وخلف **(ولكنِ النَّاسُ)** بتخفيف النون من (ولكنْ) ورفع الاسم بعدها.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ بتشديد النون في (ولكنَّ) ونصب الاسم بعدها(١١٥٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

(لكنَّ) سبق تعريفها(١١٥١).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ

(١١٤٩) انظر [سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦ هـ) - ص ٣٠ - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م].

(١١٥٠) انظر [النشر (٢/١٦٥)، (٢/٢١٣)].

(١١٥١) راجع ص٤٢ - ٤٣.

يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤] قال القرطبي: «لما ذكر الله أهل الشقاء، ذكر أنَّه لم يظلمهم، وأنَّ التقدير: الشقاء عليهم، وسلب سمع القلب وبصره ليس ظلماً منه، لأنه تصرَّف في ملكه بما شاء، وهو في جميع أفعاله عادل ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالكفر والمعصية ومخالفة أمر خالقهم»[١١٥٢]. فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان العقل، وركب فيه الشهوة، ثم أرسل الرسل، يبينوا الحلال من الحرام، وترك لهم حرية الاختيار، فمن حاد عن الطريق المستقيم، فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

والنفي للظلم يحتمل أن يكون في الدنيا، وذلك بأن لا يظلمهم شيئاً من مصالحهم. أو أن يكون في الآخرة ما يلحقهم من العقاب هو عدل منه سبحانه، وذلك لأنَّهم هم الذين تسببوا باكتساب ذنوبهم، كما قدَّر تعالى عليهم[١١٥٣].

كما في الحديث القدسي (يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...)[١١٥٤].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة والكسائي وخلف (ولكنِ النَّاسُ) بتخفيف النون من (لكنْ) ورفع الاسم بعدها. والحجّة لمن خفف ورفع: أن (لكنْ) وأخواتها إنما عملن لشبههن بالفعل لفظاً ومعنى، فإذا زال اللفظ زال العمل، والدليل على ذلك أن (لكنْ) إذا خففت وليها الاسم والفعل، وكل حرف كان كذلك ابتدئ ما بعده، وقراءة التخفيف تفيد الاستدراك فقط، ولكن المخففة تهمَل لزوال اختصاصها بالجملة الاسمية[١١٥٥] وقرأ الباقون ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ بتشديد النون في (لكن) ونصب (الناسَ)، والحجّة لمن شدد ونصب: أنه أتى بلفظ

(١١٥٢) الجامع لأحكام القرآن (٦٤٨/٨).
(١١٥٣) انظر [البحر المحيط (١٦٢/٥)].
(١١٥٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨/١٠) باب تحريم الظلم والحديث رواه أبو ذر عن النبي ﷺ...
(١١٥٥) انظر [شرح قطر الندى ص ١٥٣].

الحرف على أصله[1156] ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بمنزلة (إنَّ)[1157] وهي تفيد تأكيد الخبرْ وتقريره، ومعناها أيضاً الاستدراك. وهو: تعقيب الكلام برفع ما يتوهم بثبوته أو نفيه[1158]. قراءة التّشديد أفادت التأكيد على عدم الظلم من الله للناس والمبالغة في نفي الظلم عنه سبحانه يقول القرطبي: «(لكنَّ) كلمة لها معنيان: نفي الخبر الماضي، وإثبات الخبر المستقبل»[1159]. وقال مكي بن أبي طالب: «وحجة من شدد النون ونصب بها بعد (لكنَّ) أنه أجرى الكلام على أصله، فأعمل (لكنَّ) لأنها من أخوات إنَّ، فشددها على أصلها، وما دلَّ في ذلك معنى التأكيد الذي في معنى الاستدراك»[1160].

١٧ - ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [يونس: ٤٥].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ حفص ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء.

٢ - وقرأ الباقون (ويوم **نَحْشُرُهُم**) بالنون[1161].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

حشر حَشَرهُم يَحْشُرُهم ويَحْشِرُهم حشْراً أي: جمعهم ومنه يوم المَحْشَر: والحشر جمع الناس يوم القيامة[1162].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي المشركين ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ

(١١٥٦) انظر [الحجة لابن خالويه ص ٣٥].
(١١٥٧) انظر [كتاب سيبويه (١٤٦/٢)].
(١١٥٨) انظر [شرح قطر الندى ص ١٤٨].
(١١٥٩) الجامع لأحكام القرآن (٤٦٤/٢).
(١١٦٠) الكشف (٢٥٧/١).
(١١٦١) انظر [النشر (١٩٣/٢) (٢١٤/٢)، غيث النفع ص ١٣٣].
(١١٦٢) انظر [لسان العرب (٤/ ١٩٠) مادة حشر].

﴿ٱلنَّهَارِ﴾ فيه قولان: **الأول**: كأن لم يلبثوا في قبورهم؛ إلا قدر ساعة من النهار.

والثاني: في الدنيا ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتعارف: أي يعرف بعضهم بعضاً تعارف توبيخ، لأن كل فريق يقول للآخر أنت أضللتني، أو أنَّ أهل المحشر يعرف بعضهم بعضاً، فيعرف الآباء الأبناء، والعكس، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ خسر ثواب الجنة الذين كذبوا بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ من الضلالة(١١٦٣).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حفص ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، إخبار عن الله أي: أنّ الفاعل ضمير مستتر، تقديره هو يعود على الله في الآية السابقة؛ وذلك لأنّ الضمير يعود إلى اسم الجلالة في قوله قبله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤] فجاءت هذه القراءة، متسقة مع السياق.

وقرأ الباقون (ويوم نحشرهم) بنون العظمة، والفاعل ضمير مستتر تقديره «نحن» فالله سبحانه يخبر عن نفسه على سبيل الالتفات من الغيبة إلى التكلم، ولعل اللطيفة المعنوية التي يشير إليها هذا اللون البلاغي هي كمال التعبير عن تهويل الأمر باستحضار صور الحساب(١١٦٤). والدليل على ذلك: أنّه قدَّم الظرف على عامله، حيث إنّ (يَوْمَ) انتصب على الظرفية لفعل (خَسِر) وذلك للاهتمام؛ لأنّ المقصود الأهم تذكيرهم بذلك اليوم، وإثبات وقوعه مع تحذيرهم ووعيدهم بما يحصل لهم، والتقدير: قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يوم نحشرهم(١١٦٥).

(١١٦٣) انظر [زاد المسير (٢/٣٣٣)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٧٥)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (١٣٢٠ ـ ١٣٩٣) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم (١/٥١٣ ـ ٥١٤) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م].

(١١٦٤) انظر [الحجة لابن زنجلة ص ٣٣٢، تفسير أبو السعود (٣/ ٥٠٥)، التوجيه اللغوي: د. صبري ص ١٦٩].

(١١٦٥) انظر [التحرير والتنوير (١١/ ١٨١)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ المعنى واحد في (نحشرهم ويحشرهم)، فالله هو الحاشر، لا شريك له[(١١٦٦)].

كما أنّ أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، يدل على روعة وإعجاز أسلوب القرآن الكريم.

١٨ ـ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾ [يونس: ٥١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ورش، وقالون بخلف عنه، وابن وردان (**آلان**) بالنقل، أي: نقل حركة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ بالتحقيق، تحقيق الهمزة الثانية التي بعد اللام[(١١٦٧)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

قال الجوهري:[(١١٦٨)] «(الآن) اسم للوقت الذي أنت فيه، وهو ظرف غير متمكن، وقع معرفةً، ولم تدخل عليه الألف واللام للتعريف؛ لأنه ليس له ما يشركه. وقالوا: آلان متحركة اللام بغير همز من لان[(١١٦٩)] ولان من اللين: ضد الخشونة.[(١١٧٠)]

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(١١٦٦) انظر [معاني القراءات ص ١٦٩].

(١١٦٧) انظر [النشر (٣١٨/١)، (٢١٤/٢)].

(١١٦٨) هو إسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر، أول من حاول الطيران ومات في سبيله، لغوي من الأئمة، من أشهر كتبه «الصحاح» «مجلدان» توفي سنة ٣٩٣هـ ـ ١٠٠٣م. انظر [الأعلام (٣١٣/١)].

(١١٦٩) انظر [لسان العرب (٤٢/١٣ ـ ٤٣) مادة أين].

(١١٧٠) انظر [المرجع السابق (٣٩٤/١٣) مادة لين].

يقول تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ دخول الهمزة على (ثم)، كدخوله على الواو والفاء كما في قوله ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الأعراف: ٩٨]، وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ [الأعراف: ٩٧] وهو يفيد التوبيخ والتقريع ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ وحلَّ بكم ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ وصدقتم به بعد نزوله، حين لا ينفعكم الإيمان، ويقال لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: آلآن تؤمنون وترجون الانتفاع بالإيمان، مع أنكم كنتم قبل ذلك به تستعجلون في الدنيا على سبيل السخرية والاستهزاء(١١٧١).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ ورش وقالون وابن وردان (ألآن) بنقل حركة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها، فتكون من (لان) كما ذكرنا في المعنى اللغوي، وهي تفيد الليونة، وهذا إن دلَّ على شيء، فيكون الاستغراب والاستفهام من حصول الإيمان، ولينهم بعد ما كانوا مصرين على الكفر في وقت وقوع العذاب، فكان التركيز في هذه القراءة على لينهم وإيمانهم بعد إصرارهم وعنادهم على الكفر.

أما الباقون: فقرأوا، ﴿ءَآلْـَٔنَ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية التي بعد اللام، فهو استفهام إنكاري عن حصول إيمانهم عند حلول ما توعدهم، فعبر عن وقت وقوعه باسم الزمان الحاضر، وهو (الآن) فكان التركيز في هذه القراءة على الوقت أي: وقت إيمانهم، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءات:

بالجمع بين القراءتين: أجد أنه لا تضاد بين القراءتين.

فقراءة عدم تحقيق الهمزة الثانية: كان الاهتمام والاستغراب على حصول إيمانهم وقراءة تحقيق الهمزة الثانية: كان الاستغراب من الوقت الذي

(١١٧١) انظر [الكشاف (٢/٢٤٠)، مفاتيح الغيب (١٧/٨٩)، إرشاد العقل السليم (٣/٥٠٩ - ٥١٠)].

حصل به الإيمان، وهو وقت وقوع العذاب.

فحصيلة القراءتين: يكون الاستفهام والاستغراب من حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، والله أعلم.

١٩ ـ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر (ويستنبونك) بالتسهيل بغير همز، وضم الباء، ووقف عليها حمزة بالتسهيل، وأيضاً الإبدال ياء.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ بالهمز، وكسر الباء[١١٧٢].

٢ ـ أ ـ قرأ المدنيان (أبو جعفر، نافع) وأبو عمرو (وربيَ إنه) بفتح ياء الإضافة.

ب ـ وقرأ الباقون (وربيْ إنه) بإسكان ياء الإضافة مع المد[١١٧٣].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يستنبئونك: من النبأ، وهو الخبر، وأنبأه: أي أخبره واستنبأ النَّبأ: بحث عنه[١١٧٤].

يستنبونك: من الفعل بنسب والنسب الصياح عند الهياج[١١٧٥].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي يستخبرونك يا محمد فيقولون:

(١١٧٢) انظر [النشر (٣٤٣/١)، (٢١٤/٢)، في هامش القرآن الكريم في القراءات العشرة المتواترة ص ٢١٤].

(١١٧٣) انظر [النشر (٢١٦/٢)].

(١١٧٤) انظر [لسان العرب (١٩٤/١ ـ ١٩٥) مادة نبأ، القاموس المحيط ص ٦٧ مادة نبأ]

(١١٧٥) انظر [القاموس المحيط ص ١٧٤ مادة نبا، لسان العرب (٨٧٨/١) مادة نبب].

أحقٌ، أي: أثابت (هو) عائد إلى عذاب الخلد في الآية السابقة بمعنى: أحق ما وعدتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أي: قل لهم يا محمد نعم، والله إنه كائن لا شك فيه، فأُجيبوا على طريقة الأسلوب الحكيم بحمل كلامهم على خلاف مرادهم، تنبيهاً لهم، أنَّ الأوْلى لهم سؤال الاسترشاد ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لستم بمعجزي الله بهربٍ، أو امتناع من العذاب؛ بل أنتم في قبضته وسلطانه(١١٧٦).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ أبو جعفر وحمزة (يستنبونك) بغير همز، وضم الباء، ويستنبون من الفعل نبّ أو نبب والنبّ كما ذكرنا في المعنى اللغوي: بأنه الصياح. فكان المشركون يسألون ويستفهمون عن عذاب الخلد، وسؤالهم الرسول ﷺ بصوت وصياح عالٍ، والنبُّ لا يقال إلا للحيوانات فهو نوع من الاحتقار لهؤلاء المشركين.

وذلك؛ لأنهم عندما سألوا عن العذاب، كان سؤالهم على جهة الإنكار والاستهزاء. فقولهم (أحق هو) يقول المفسرون أنه استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء(١١٧٧).

وقرأ الباقون ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ﴾ بالهمز، وكسر الباء، والاستنباء من الاستخبار فيكون المعنى: يستخبرونك يا محمد فيقولون لك: أحق ما تعدنا به من عذاب الله والبعث؟

خامساً: الجمع بين القراءتين:

قراءة الهمز بيَّنت أنَّ المشركين استخبروا، وسألوا الرسول عن عذاب الله الخالد. وقراءة عدم الهمز بيَّنت لنا طريقة هذا السؤال، أنَّه كان

(١١٧٦) انظر [جامع البيان (١٢٢/١١)، التحرير والتنوير (١٩٥/١١ ـ ١٩٦)].

(١١٧٧) انظر [مدارك التنزيل (٤٦٧/٢)، البحر المحيط (١٦٨/٥)].

بصوت وصياح عالٍ؛ لأنه صدر منهم على جهة الإنكار والتهكم، فكانت قراءة عدم الهمز استهزاء بهم مقابل استهزائهم، والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ المدنيان وأبو عمرو (وربيَ إنه) بفتح ياء الإضافة.

وقرأ الباقون (وربي- إنه) بإسكان ياء الإضافة، مع المد أيضاً. وقد بيَّنت توجيه فتح ياء الإضافة وإسكانها(١١٧٨) وذكرت أنّ الفتح والإسكان من التغييرات الصوتية، ولكن مع ذلك نضيف أن إسكان الياء والمد فيها - والمد زيادة في إطالة الزمن - يفيد أنّ ذلك زيادة تأكيد في وقوع العذاب على المشركين يوم القيامة، بالإضافة إلى التأكيدات اللفظية التي وردت في الآية، وهي حرف (إي) وهو حرف جواب، يحقق به المسئول عنه، وأيضاً الجملة الدالة على ما دلَّ عليه حرف الجواب، والقسم (ربي) وإنَّ ولام الابتداء (لحق)، فكلها مؤكدات للجواب(١١٧٩) وأيضاً يدل على أنَّ هذا الجواب يخرج من صدر ممتلئ، حسرة على هؤلاء المشركين، والله أعلم.

٢٠ - ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ ابن عامر، وأبو جعفر ﴿فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ بالغيب (تَجْمَعُون) بالخطاب.

٢ - وقرأ رويس (فَلْتَفْرَحُوا) بالخطاب (تَجْمَعُون) بالخطاب، وهي قراءة أُبَيْ(١١٨٠)، مسندة عن النبي ﷺ.

(١١٧٨) راجع ص٢٧٦ - ٢٧٧.

(١١٧٩) انظر [التحرير والتنوير (١١/١٩٦)].

(١١٨٠) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار كان مِنْ أقرأ الصحابة مات سنة اثنتين وعشرين بالمدينة، وقيل: مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين، وهذا ما رجحه ابن سعد انظر [الطبقات الكبرى: ابن سعد (٣/٣٧٨ - ٣٨١) ترجمة رقم ١٧٤، مشكاة المصابيح: محمد التبريزي (٣/١٧٢٧) حديث رقم ٦١٢ عن أنس عن النبي ﷺ، (وأقرأهم أُبي بن كعب) قال عنه الترمذي: « حديث حسن صحيح»].

٣ ـ وقرأ الباقون ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب (يجمعون) بالغيب[١١٨١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

فرح: الفرح نقيض الحُزْن، والفرح أن يجد في قلبه خفَّة، فرِحَ فَرَحاً، والفرح أيضاً: البطر[١١٨٢] والفرح: شدة السرور[١١٨٣].

تجمعون: من الجمع وجمع الشيء عن تفرقة يجمعه جمعاً، وجمَّعَه وأجمعه فاجتمع، والجمع أن يجمع شيئاً إلى شيء[١١٨٤].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد: من فضل الله عليكم القرآن ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ أن جعلكم من أهله أو الإسلام ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة؛ ليفرح المؤمنون به ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ هو خير مما يجمعون في الدنيا من أموال وكنوز؛ وما إلى ذلك[١١٨٥].

فالإسلام والقرآن: من أجلِّ نعم الله على الإنسان، وهما يستوجبان الفرح والسرور الشديد قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ ابن عامر، وأبو جعفر ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب (تجمعون) بالخطاب، والمعنى فليفرح المؤمنون بفضل الله أي: الإسلام والقرآن، وهو خير مما

(١١٨١) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١١٨٢) انظر [لسان العرب (٢/٥٤١) مادة فرح].

(١١٨٣) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٠٤)].

(١١٨٤) انظر [لسان العرب (٨/٥٣ ـ ٥٨) مادة جمع].

(١١٨٥) انظر [جامع البيان (١١/١٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٥٣ ـ ٦٥٤)].

تجمعون أنتم من أعراض الدنيا[1186] وجاءت ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ مناسبة لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] وجاءت (تجمعون) بالتاء على الخطاب؛ لأنَّ الآية التالية لهذه الآية قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ وقوله ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ﴾، وقوله ﴿ءَاذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس: ٥٩] فحمل صدر الكلام في هذه الآية على آخره وذلك ليتفق اللفظ[1187] فهنا عنى المخاطبين، والغيب جميعاً؛ إلا أنه غلّب المخاطب على الغيبة، كما غلّب التذكير على التأنيث، فكأنه أراد به المؤمنين وغيرهم[1188] وقراءة تجمعون: تحتمل وجهين **أحدهما**: من باب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، فيكون المعنى لقراءة الجماعة ﴿يَجْمَعُونَ﴾ فإن الضمير يراد به ما يُراد بالضمير في قوله: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾.

والثاني: أنَّه خطاب لقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم﴾ [يونس: ٥٧] وهذه تناسب قراءة الخطاب في قوله: (فلتفرحوا)[1189].

القراءة الثانية:

وقرأ رويس (فلتفرحوا) بالخطاب (تجمعون) بالخطاب، وحجتهم أنَّ هذه القراءة بالخطاب، جاءت مناسبة لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧].

وحجتهم قراءة أُبَي المسندة عن الرسول ﷺ.

والمعنى: فلتفرحوا أيها المؤمنون بإيمانكم وإسلامكم، فهو خير مما تجمعون في الدنيا من أموال ومتاع وغير ذلك، فالفرح الحقيقي هو الفرح بالإسلام والقرآن، وأن جعلكم الله من أهله.

(١١٨٦) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٤].

(١١٨٧) انظر [الكشف (٥٢٠/١)].

(١١٨٨) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٢٨٣/٤)].

(١١٨٩) انظر [الدر المصون (٢٢٦/٦)].

القراءة الثالثة:

وقرأ الباقون ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ بالغيب ﴿يَجْمَعُونَ﴾ بالغيب أي: فليفرح أصحاب محمد أو المؤمنون بالإسلام والقرآن؛ لأنه خير مما يجمعه الكافرون في الدنيا ﴿يَجْمَعُونَ﴾ يكون خطاباً للمشركين، الذين شملهم الخطاب في الآية السابقة في قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فإنه بعد أن عمَّمَ الخطاب، خصّ المؤمنين بالذكر بالجدارة بالفرح، فبقي الخطاب لمن عدا المسلمين، وهم المشركون(١١٩٠) فهناك احتمال آخر في التوجيه ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ أنْ يكون موجهاً للمشركين، فيكون المعنى: بالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه فليفرح هؤلاء المشركون لا بالمال الذي يجمعونه، فإنّ الإسلام والقرآن، خير من المال الذي يجمعون(١١٩١).

خامساً: الجمع بين القراءات:

ليفرح المؤمنون بإيمانهم وإسلامهم، فهو خير مما يجمع الكفار من دنياهم، وليفرح هؤلاء الكفار بالإيمان لو اتفق لهم أو لو سعدوا بالهداية إلى تحصيل ذلك لأنَّه لا مفروح به أحق منهما فهو خير مما يجمع هؤلاء الكفار في دنياهم(١١٩٢).

أو على تقدير: لو كنتم مؤمنين لوجب أن تفرحوا بفضل الله وبرحمته، فهو خير مما تجمعون في دنياكم أيها الكفار(١١٩٣).

فتكون حصيلة القراءات: أنّ الجميع إن فرحوا بشيء، فليفرحوا بالإيمان والإسلام والقرآن وبفضل الله؛ لأنَّه خير مما يُجمع في الدنيا من مال ومتاع وغيره؛ وذلك لأنّ الآخرة خير وأبقى، وما كان كذلك فهو أولى

(١١٩٠) انظر [التحرير والتنوير (٢٠٦/١١)].

(١١٩١) انظر [جامع البيان (١٢٦/١١)].

(١١٩٢) انظر [البحر المحيط (١٧١/٥)].

(١١٩٣) انظر [المغني (٢٣٤/٢)].

بالطلب والتحصيل[1194] وأيضاً في القراءتين التفات من الغيبة إلى الخطاب والله أعلم.

٢١ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: ٥٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو جعفر ونافع (أرايتم) بتسهيل الهمزة الثانية بين بين، ولورش إبدالها ألفاً مع إشباع المد للساكنين، وقرأ الكسائي بحذفها.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بإثبات الهمزة محققة، وإذا وقف حمزة فليس له إلا تسهيلها[1195].

٢ ـ أجمع القراء على عدم تحقيق همزة الوصل الواقعة بعد همزة الاستفهام في ﴿ءَآللَّهُ﴾؛ لكونها همزة وصل، وهمزة الوصل لا تثبت إلا ابتداء، وأجمعوا على عدم حذفها وإثباتها مع همزة الاستفهام فرقاً بين الاستفهام والخبر.

وأجمعوا على تليينها، واختلفوا في كيفيته:

أ ـ إبدال همزة الوصل ألفاً مع المد المشبع لاجتماع الساكنين.

ب ـ تسهيلها بين بين مع القصر، ولا يخفى ما لورش من النقل، وما لخلف عن حمزة، وما لخلاد عنه وصلاً ووقفاً[1196].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

أرأيتم: من الفعل رأى وسبق تعريفه[1197].

(١١٩٤) انظر [مفاتيح الغيب (٩٦/١٧)].

(١١٩٥) انظر [النشر (٣٠٩/١) (٢١٤/٢)، البدور الزاهرة ص١٧٨، في هامش القرآن ص٢١٥].

(١١٩٦) انظر [النشر (٢٩٣/١) (٢١٤/٢)، البدور الزاهرة ص١٨٣، في هامش القرآن ص٢١٥].

(١١٩٧) راجع ص٩٥.

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

بعد أن أقام ـ سبحانه وتعالى ـ الأدلة العقلية على إثبات الوحي والرسالة في الآيات السابقة، قفّى على ذلك بذكر فعل من أفعال الكفار لا ينكرونه ولا يجادلون في وجوده، ذلك أنَّ التشريع بالتحليل والتحريم هو حق الله تعالى وحده، وأنَّ الأصل في الأرزاق وسائر الأشياء التي ينتفع بها الإباحة، فتحريم بعض الأشياء وتحليل بعض، إما بأمره تعالى بوساطة رسله وأنتم تنكرونه وتزعمون أنه مُحال، وإما بالافتراء على الله وهو الذي يلزمكم بإنكار الأول إذ لا واسطة بينهما(١١٩٨).

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءتين:

القراءة الأولى:

الحجة لمن حقق الهمزتين في (أرأيتم): أنه أتى باللفظ على الأصل.

والحجة لمن لين الثانية أنه كره حذفها فأبقى دليلاً عنها.

والحجة لمن حذف الثانية أنه اجتزأ بهمزة الاستفهام من همزة الوصل، لأنها في الفعل المضارع ساقطة بإجماع(١١٩٩).

و(أرأيتم) إما من الرؤية البصرية أو بمعنى أخبروني(١٢٠٠). فقراءة عدم تحقيق الهمز رجحت أن المعنى المقصود بـ (أرأيتم) هو أخبروني، وقراءة تحقيق الهمز تحمل في طياتها ثقل الخطاب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمشركين وهذا يتناسب مع ثقل الضم. الذي يتناسب مع ما فعله المشركون من تحليل لما حرمه الله وتحريم لما حلله الله والله أعلم.

القراءة الثانية:

قراءة ﴿ءَآللَّهُ﴾ بإبدال همزة الوصل ألف مع المد فيها زيادة في تقريع

(١١٩٨) تفسير المراغي (١١/١٢٤).

(١١٩٩) الحجة: ابن خالويه ص٢٤٩.

(١٢٠٠) انظر [جامع البيان (١١/١٢٧)].

وتوبيخ ما فعله المشركون وذلك لأن المد فيه إطالة زمن فيكون وقعها أثقل، وإيذاؤها أكبر لقلوب الكافرين، وهذه القراءة تتناسب مع قراءة (أرأيتم) بالهمز، أما قراءة تسهيل بين بين ففيها تخفيف فهي تتناسب مع قراءة (أرايتم) بدون تحقيق الهمز، فهي ألين ولعل لينها يكون له وقع ألطف فتلين لها قلوب الكافرين والله أعلم.

٢٢ ـ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ الكسائي (**يَعْزِب**) بكسر الزاي.

ب ـ وقرأ الباقون (يَعْزُب) بضم الزاي[١٢٠١].

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب وحمزة وخلف (**أَصْغَرُ مِنْ ذالك وَلاَ أَكْبَرُ**) برفع الراء فيهما.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾ بنصب الراء فيهما[١٢٠٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

عَزَبَ عنه يَعْزُب عزوباً: أي ذهب وأعزبه الله، أذهبه. وما يعزب عن ربك: أي لا شيء يغيب عن علمه. وفيه لغتان عَزَب يعزُب ويعزِب إذا غاب[١٢٠٣].

أصغر: مفرد أصاغر والصِّغر: ضد الكبر[١٢٠٤].

(١٢٠١) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١٢٠٢) انظر [المرجع السابق (٢/٢١٤)].

(١٢٠٣) انظر [لسان العرب (١/٦٩٥ ـ ٦٩٦) مادة عزب].

(١٢٠٤) انظر [لسان العرب (٤/٤٥٨ ـ ٤٥٩) مادة صغر].

أكبر: ضد أصغر وأكبر الشيء جعله كبيراً وأكبره رآه كبيراً[(١٢٠٥)] وعظم عنده.

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

يقول سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ أي في أمر أو عمل مهم أو حال مهم ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ وما تقرأ من كتاب الله من القرآن، الذي أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ أيها الناس من خير أو شر ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ نشاهد ما تعملون ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ إذ تأخذون فيها، وتعملونها ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ويبعد ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ من زنة نملة صغيرة، أو وزن ذرة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ يريد: اللوح المحفوظ الذي أثبت الله سبحانه فيه الكائنات[(١٢٠٦)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ الكسائي (وما يعزِبُ) بكسر الزاي.

وقرأ الباقون ﴿يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي، وهما لغتان فصيحتان نقول (عزَب يعزُب ويَعزِب) مثل (عكف يَعكُف ويعكِف) مثل يعرِشُ ويعرُش[(١٢٠٧)] وبالرغم من أنها لغات؛ إلا أننا نستطيع أن نوجِّه هذه القراءات، فقراءة (يعزُب) بالضم، فلثقل الضم، فإنه يتناسب مع قوله تعالى (من مثقال) حيث إنَّ المثقال: اسم آلة لما يُعرف به مقدار ثِقَل الشيء، فهو وزن مفعال من ثِقل وهو اسم لصنج[(١٢٠٨)] مُقَدر بقدر معين، يوزن به الثقل فناسب ثقل الضم مع ثقل المثقال.

(١٢٠٥) انظر [القاموس المحيط ص ٦٠١ مادة كَبُرَ].

(١٢٠٦) انظر [جامع البيان (١١/ ١٢٩ ـ ١٣٠)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٥٥ ـ ٦٥٦)].

(١٢٠٧) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٤، اعراب القراءات السبع: ابن خالويه (١/٢٧٠)، الكشف (١/٥٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٥٦)].

(١٢٠٨) صنج: صفيحة مدورة من النحاس الأصفر تضرب على أخرى مثلها للطرب، وصنجة الميزان وسنجته انظر [لسان العرب (٢/٣١١)، القاموس المحيط ص٢٥١، المصباح المنير ص٢٠٩، المنجد ص٤١٣ مادة صنج].

وأما قراءة (يعزِب) بالكسر، فلخفة الكسر فإنه يتناسب مع قوله تعالى (ذرة) في خفتها، حيث إنّ الذرة هي النملة الصغيرة، وأيضاً يطلق على الهباءة التي ترى في ضوء الشمس كغبار دقيق جداً.

والكسرة تتناسب أيضاً مع الخفاء، فالعزوب وهو البعد فهو هنا مجاز للخفاء وفوات العلم؛ لأنَّ الخفاء لازم للشيء البعيد، ولذلك عُلِّق باسم الذات دون صفة العلم فقال: (عن ربك)(١٢٠٩).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

من قراءة الضم: نأخذ ثقل المثقال، وقراءة الكسر: نأخذ خفة الذرة، فلا يغيب عن علم الله ثقل الذرة أو خفتها ولا بعدها ولا قربها، ... والله أعلم.

القراءة الثانية:

قرأ حمزة ويعقوب وخلف (ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ) بضم الراء فيهما.

أولاً: حملاً على موضع الموصوف، وذلك أنَّ الموصوف الذي هو (من مثقال ذرة) الجار والمجرور فيه في موضع رفع، فيكون (ولا أصغرُ) عطفاً على محل (من مثقال) لأن (من مثقال) في محل رفع فاعل يعزب(١٢١٠)، والتقدير: وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر؛ إلا في كتاب مبين.

ثانياً: على الابتداء قال الزَّجاج: «ويجوز رفعه من جهة أخرى على الابتداء»(١٢١١). والخبر قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

(١٢٠٩) انظر [التحرير والتنوير (٢١٤/١١)].

(١٢١٠) انظر [الحجة أبو علي الفارسي (٢٨٥/٤)، المغني (٢٣٥/٢)].

(١٢١١) نقله ابن زنجلة في كتابه الحجة عن الزجاج انظر [ص ٣٣٤، وذكره الشوكاني في الفتح القدير (٥٧١/٢)].

ويكون المعنى: ولا ما هو أصغر من ذلك ولا ما هو أكبر؛ إلا في كتاب مبين.

وقرأ الباقون: ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ بفتح الراء فيهما؛ لأن أفعل في الموضعين، في موضع جرّ؛ لأنه صفة للمجرور الذي هو في قوله: ﴿مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ﴾ [يونس: ٦١]، وإنَّما فتح؛ لأنّ أفعل إذا اتصل به منك كان صفة، وإذا كان صفة لم يتصرف في النكرة.

ـ وقد يجوز أن يُعطف قوله: ﴿ولا أصغر من ذلك) على (ذرةٍ) فيكون التقدير: ما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر[1212].

ـ وقال الزجاج: «الموضع موضع جر؛ إلا أنه فتح، لأنه لا ينصرف»[1213].

ـ وإما أنْ تكون (لا) هي النافية للجنس، وما بعدها اسمها ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ متعلق بمحذوف خبرها[1214].

الجمع بين القراءتين:

قال الفراء: «فمن نصبهما فإنما يريد الخفض يُتبعهما المثقال أو الذرة. ومن رفعهما أتبعهما معنى المثقال؛ لأنك لو ألقيت من المثقال (من) كان رفعاً. وهو كقولك: ما أتاني من أحد عاقلٍ وعاقلٌ»[1215].

٢٣ ـ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۝٧١﴾ [يونس: ٧١].

(١٢١٢) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٨٥ ـ ٢٨٦)].
(١٢١٣) معاني القرآن: الزجاج (٣/٢٦).
(١٢١٤) انظر [المستنير (١/٢٤٧)].
(١٢١٥) معاني القرآن: الفراء (١/٤٧٠).

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ رويس (**فاجْمَعُوا**) بوصل الهمز، وفتح الميم.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟﴾ بتحقيق الهمزة، وكسر الميم(١٢١٦).

٢ ـ أ ـ قرأ يعقوب (**وَشُرَكَاؤُكُم**) برفع الهمزة.

ب وقرأ الباقون ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ بنصب الهمزة(١٢١٧).

٣ ـ أ ـ قرأ يعقوب (ولاَ تُنظِرُونِي) بإثبات الياء الزائدة في الحالتين (في الوصل وفي الوقف).

ب ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ بحذف الياء الزائدة(١٢١٨).

نافع، أبو عمر، حمزة، الكسائي وأبو جعفر أثبتوها وصلاً لا وقفاً، أما ابن عمرو وعاصم وخلف، فحذفوها في الحالين(١٢١٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

١ ـ ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾: أي: ادعوا شركاءكم، لأنه لا يقال: أجمعوا شركاءكم، وإنما يقال جمعت أو المعنى: أجمعوا مع شركائكم على أمركم(١٢٢٠) والواو بمعنى «مع» والإجماع الإحكام والعزيمة على الشيء، وقراءة (فاجمعوا كيدكم) معناه لا تدعوا شيئاً من كيدكم إلا جئتم به(١٢٢١).

٢ ـ شركاؤكم: جمع شريك، وهو المشارك وهو من الشرك، بمعنى: أن تجعل لله شريكاً في ربوبيته، تعالى الله عن الشركاء والأنداد(١٢٢٢).

(١٢١٦) انظر [النشر (٢/٢١٤)].
(١٢١٧) انظر [نفس المرجع السابق نفس الصفحة (٢/٢١٤)].
(١٢١٨) انظر [النشر (٢/٢١٦)].
(١٢١٩) انظر [المرجع السابق (٢/١٣٧)].
(١٢٢٠) انظر [القاموس المحيط ص ٩١٧ ـ ٩١٨ مادة جمع].
(١٢٢١) انظر [لسان العرب (٨/٥٣ ـ ٥٧) مادة جمع].
(١٢٢٢) انظر [المرجع السابق (١٠/٤٤٨ ـ ٤٤٩) مادة شرك].

٣ ـ **تنظروني**: من الفعل نظر، والنَّظر حس العين ونظر ينظر نظراً، والنظر تأمل الشيء بالعين، والنظر الانتظار. يقال: نظرتُ فلاناً وانتظرته بمعنى واحد. وأنظرني أي أمهلني(١٢٢٣).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لما ذكر الله تعالى الدلائل على وحدانيته، وذكر ما جرى بين الرسول وبين الكفار، ذكر قصصاً من قصص الأنبياء، تسلية للرسول ﷺ؛ ليتأسى بهم فيهون ويخف عليه ما يتعرض له من الشدائد، وما يلقى منهم من التكذيب، وتذكيراً للمشركين بما جرى لمن سبقهم في مثل فعلهم، وكيف كانت عاقبة الذين كذبوا الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ، ذكر تعالى هنا في هذه الآية قصة نوح مع قومه.

يقول تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي: اذكر لهؤلاء المشركين الذين قالوا: اتخذ الله ولداً من قومك، وخالفوك وكذبوك، أذكر لهم خبر نوح ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ يقول: يا قوم إن كان قد شق عليكم، وعَظُم قيامي معكم للدعوة إلى عبادة ربكم ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي تذكيري ووعظي إياكم بآيات الله أي: بحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وعزمتم على قتلي أو طردي من بينكم فعلى الله اعتمادي واتكالي ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ اعزموا على ما تريدون من أمر تفعلونه بي أنتم واستعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي ليكن الذي تعتزمونه ظاهراً منكشفاً تتمكنون فيه مما شئتم، لا كمن يكتم أمراً ويخفيه، فلا يقدر أن يفعل ما يريد ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ثم امضوا إلي بمكروهكم ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ ولا تؤخروا أمري، وهذا الموقف من نوح ـ عليه السلام ـ موقف الواثق بالله ونصره؛ لأنَّه متوكل على الله، غير خائف من أعداء الله، واثق أنهم لن يضروه إلا بمشيئة الله، فكان ذلك حثاً للنبي ﷺ

(١٢٢٣) انظر [المرجع السابق (٥/٢١٥ ـ ٢١٦) مادة نظر].

على التأسي به[1224]. لذلك على أصحاب الدعوة أن يكون لهم أسوة حسنة في رسل الله، وإنَّه لينبغي لهم أن تمتلئ قلوبهم بالثقة حتى تفيض وأن يتوكلوا على الله وحده في وجه الطاغوت أياً كان!

وضرر الطاغوت لهم وأذاهم هو ابتلاء للمؤمنين لا عجزاً منه سبحانه عن نصرة أوليائه، ولا تركاً لهم ليسلمهم إلى أعدائه، ولكنه الإبتلاء الذي يمحص القلوب والصفوف، ثم تعود الكرة للمؤمنين، وبذلك يحق وعد الله لهم بالنصر والتمكين[1225].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ رويس (فاجْمَعُوا) بوصل الهمزة وفتح الميم، وحجتهم قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩][1226] فيكون (فاجْمَعُوا) فعل أمر من جمع ضد فرّق كقوله تعالى ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٠].

ويقال الإجماع في الأحداث مثل جمعت أمري، والجمع في الأعيان: مثل جمعت القوم وقد استعمل كل مكان الآخر[1227] فيكون المعنى على تقدير: فاجمعوا ذوي الأمر منكم أي، رؤساءكم ووجوهكم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] فحذف المضاف، وجرى على المضاف إليه ما كان يجري على المضاف؛ لو ثبت. وعلى هذه القراءة حمل الشركاء على هذا الفعل الظاهر، لأنك جمعت الشركاء وجمعت القول، فيكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [هود: ١٠٣][1228].

(١٢٢٤) انظر [جامع البيان (١١/١٤١ ـ ١٤٣)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن الواحدي (١/٥٠٤)].

(١٢٢٥) انظر [الظلال (٣/١٨١١)]

(١٢٢٦) انظر [الحجة ابن خالويه ص ١٠٣]

(١٢٢٧) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١٢٢٨) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٢٢٨)].

وقرأ الباقون ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بتحقيق الهمزة، وكسر الميم على أفعل من الفعل.

أجمع الأمر: إذا نواه وعزم عليه، وهذا ما قاله الفراء[١٢٢٩]. فأضمر للشركاء فعلاً آخر، كأنَّه فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم، فيكون جعل الأمر ما كانوا يجمعون من كيدهم الذي كانوا يكيدون به، فيكون بمنزلة قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ﴾ [طه: ٦٤][١٢٣٠] وفي فتح القدير نقلاً عن أبي الهيثم[١٢٣١]: «وأجمع أمره: جعله جمعاً بعدما كان متفرقاً، وتفرقه أن تقول مرة افعل كذا، ومرة افعل كذا، فلما عزم على أمر واحد فقد جمعه فهذا هو الأصل في الإجماع ثم سار بمعنى العزم»[١٢٣٢].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: يتضح المعنى الواسع من خلال القراءتين، والتقدير: اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الأسباب التي توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل أمرهم أن يضموا إلى أنفسهم شركاءهم. الذين كانوا يزعمون أن حالهم يقوى بمكانهم، وبالتقرب إليهم[١٢٣٣].

القراءة الثانية:

قرأ يعقوب (وشركاؤُكم) برفع الهمز، وفي ذلك وجهان:

(١٢٢٩) انظر [معاني القرآن: الفراء (٤٧٣/١)].

(١٢٣٠) انظر [الحجة أبو علي الفارسي (٢٢١/٤)].

(١٢٣١) هو مالك بن التّيهان الأنصاري الأوسي أبو الهيثم صحابي، كان أول من أسلم من الأنصار بمكّة، أحد النقباء الاثنى عشر شهد بدراً وأحداً، وتوفي في خلافة عمر، وقيل: شهد صفيل مع علي، وقتل بها سنة ٣٧هـ، وكان شاعراً انظر [الأعلام (٢٥٨/٥)].

(١٢٣٢) فتح القدير: (٥٧٧/٢) وانظر [البحر المحيط قول أبو الهيثم أيضاً (١٧٩/٥)].

(١٢٣٣) انظر [مفاتيح الغيب (١١٢/١٧)].

أ ـ أن تكون (شركاؤكم) عطفاً على ضمير (فأجمعوا) وحسنه، الفصل بالمفعول فيكون التقدير: فأجمعوا أنتم وشركاؤكم أمركم.

ب ـ ويحتمل أن يكون مبتدأ محذوف الخبر؛ للدلالة عليه، ويكون التقدير: وشركاؤكم فليجمعوا أمرهم كذلك[(١٢٣٤)].

ـ وقرأ الباقون (وَشُرَكَآءَكُمْ) بنصب الهمز، وفيه ثلاثة أوجه:

الأول : بمعنى وادعوا شركاءكم، يؤيدها في مصحف أُبي (وادعوا شركاءكم)[(١٢٣٥)] وهذا ما قاله الكسائي والفراء أي ادعوهم لنصرتكم، فهو على هذا منصوب بفعل مضمر والتقدير: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم[(١٢٣٦)].

والثاني: أن يكون معطوفاً على المعنى، أي معطوفاً على الأمر، والتقدير: فأجمعوا أمركم وشركاءكم.

الثالث : قاله الزَّجاج : «والمعنى مع شركائكم، فالواو على هذا واو مع» فيكون التقدير: فأجمعوا مع شركائكم أمركم[(١٢٣٧)].

ونقل ابن خالويه قولاً عن البصريين: هو مفعول معه؛ لأن الواو بمعنى مع، والتقدير: (فأجمعوا أمركم مع شركائكم)[(١٢٣٨)].

الجمع بين القراءتين:

نجد أنَّ من رفع (شركاؤكم) حمله عطفاً على ضمير (فأجمعوا) أو جعله مبتدأ محذوف الخبر، ومَنْ نصب جعل الواو بمعنى (مع) أو عطفه على الأمر، أو قدر له فعلاً محذوفاً فنصبه، وكما ذكرنا سابقاً الجمع في ذلك[(١٢٣٩)].

(١٢٣٤) انظر [النشر (٢/٢١٤)].

(١٢٣٥) انظر [البحر المحيط (٥/١٧٩)].

(١٢٣٦) انظر [معاني القرآن: الكسائي ص ١٥٩، معاني القرآن، الفراء (١/٤٧٣)].

(١٢٣٧) انظر [معانى القرآن الزجاج (٣/٢٨)، الحجة أبو علي الفارسي (٤/٢٨٨ ـ ٢٨٩)].

(١٢٣٨) انظر [إعراب القراءات: ابن خالويه (١/٢٧١)].

(١٢٣٩) راجع الآية ٢٣ من سورة يونس ص٢٨٨.

القراءة الثالثة:

قرأ يعقوب (ولا تنظروني) بإثبات الياء الزائدة، وهذا يتسق مع السياق في الآية، مع ياءات قوله تعالى (مقامي، تذكيري)، والوقف بالياء يكون اتباعاً لرسم المصحف.

وأيضاً جاءت الياء الزائدة، تأكيداً لمدلول التضمين المشار إليه بـ (إليَّ) وقرأ الباقون ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ بحذف ياء المتكلم، وذلك للتخفيف، وهو حذف كثير في فصيح الكلام، وبقاء نون الوقاية مشعر به[١٢٤٠].

وقد تأتي الياء في مقام الإطالة والتفصيل، وتجتزأ عنها بالكسرة في مقام الإيجاز والاختصار[١٢٤١].

لذلك كان التخفيف هنا؛ لأنه اختصر السياق إلى تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة، واختصر تفصيلات الحلقة الواحدة إلى نتائجها الأخيرة، فناسب اختصار الياء وحذفها هذا الاختصار، حيث إن الهدف من القصة في هذا الموضع، كان إبراز التحدي والاستعانة بالله وحده[١٢٤٢].

أيضاً تخفيف الياء يدل على: قلة المبالاة بهم للاعتماد على الله؛ لأنه لا يعجزه شيء، ومعبوداتهم لا تعني شيئاً.

الجمع بين القراءتين:

١ ـ بالجمع بين القراءتين: أرى أنَّ مَنْ قرأ بالياء، نظر إلى أنَّ المقام مقام شرح وتفصيل... وذلك للتحدي فناسب التفصيل الإتيان بالياء، ومن خفف نظر إلى اختصار تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة، فناسب التخفيف، والله أعلم.

٢ ـ الوقف بالياء اتباعاً لرسم المصحف، ورسم المصحف أشبه برموز

(١٢٤٠) انظر [التحرير والتنوير (١١/٢٤٠)].

(١٢٤١) انظر [بلاغة الكلمة ص ٢٤].

(١٢٤٢) انظر [الظلال (٣/١٨١٠)].

التلحين، فكل رمز منها تعني صوتاً أو إيقاعاً أو درجة في الإيقاع، وائتلاف هذه الرموز بعضها مع بعض هو اللحن الذي يمكن سماعه إذا رتل القارئ هذا النص أو ذالك من نصوص القرآن الكريم، والإيقاع الذي يتيح الرسم سماعه ويعطي للقراء فرصة الاختيار(١٢٤٣).

٢٤ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢].

أولاً: القراءات:

١. قرأ المدنيان (نافع وأبو جعفر) وأبو عمرو وابن عامر وحفص (أجريَ إلا) بفتح ياء الإضافة.

٢. وقرأ الباقون (أجري- إلا) بإسكان ياء الإضافة مع المد(١٢٤٤).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

الأجر: الجزاء على العمل، والجمع أجور، والأجر: الثواب؛ وقد أَجَرَه الله يأجُرُه ويأْجِرُه أجْراً وآجَرَه الله إيجاراً، أجرته الدار: أكريتُها(١٢٤٥)

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

نقل الفخر الرازي عن المفسرين قولهم في هذه الآية: «هذا إشارة إلى أنه ما أخذ منهم مالاً على دعوتهم إلى دين الله تعالى، ومتى كان الإنسان فارغاً من الطمع كان قوله أقوى تأثيراً في القلب»(١٢٤٦).

وفيه تبيين منه ـ عليه السلام ـ بأنه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه(١٢٤٧). قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي فإن دام إعراضكم وتوليكم عما جئت به إليكم من توحيد الله، ورفض آلهتكم، فلست أبالي

(١٢٤٣) انظر [الإعجاز الموسيقي ص١٠٧ ـ ١١١].
(١٢٤٤) انظر [النشر (٢/٢١٦)].
(١٢٤٥) انظر [لسان العرب (٤/١٠ ـ ١١) مادة أجر].
(١٢٤٦) مفاتيح الغيب (١٧/١١٢).
(١٢٤٧) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

بكم وذلك؛ لأن توليكم لا يضرني، وذلك لأن ما دعوتكم إليه وما وعظتكم به، لم أسألكم عليه أجراً ولا مالاً ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ في تبليغ رسالته، فكانت النصيحة لوجه الله، لا لغرض دنيوي ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي سواء قبلتم دين الإسلام أم لم تقبلوه، فأنا مأمور أن أكون على دين الإسلام، ذلك الدين الحنيف الذي هو توحيد الله والعمل بطاعته أو يكون المعنى: أني مأمور بالانقياد والاستسلام لحكم الله وأمره، والاستسلام لكل ما يصيبني من البلاء(١٢٤٨).

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قد ذكرت التوجيه على فتح وإسكان ياء الإضافة(١٢٤٩).

ولكني أضيف هنا، أنَّ قراءة إسكان ياء الإضافة (أجرى- إلا) تتناسب مع السياق في الآية السابقة في قراءة إثبات الياء الزائدة في (تنظروني) وقراءة فتح ياء الإضافة تتناسب مع قراءة حذف الياء من ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ وعليه، فإن التوجيه الذي ذكرته في الآية السابقة يصح أن نعمله على هذه القراءات، وأيضاً المد في قراءة التسكين تدل على التعب والإرهاق الشديد وعلى هم نفس النبي نوح عليه السلام، وشدة حسرته على قومه، وحرصه على أن يؤمنوا، وفي المد أيضاً إطالة بالزمن وذلك بأنه لا يريد الأجر في الدنيا، وإنما سيناله يوم القيامة والله أعلم.

٢٥ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝٧٨﴾ [يونس: ٧٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو بكر (شعبة) **(وَيَكُونُ لكما الكبرياء) بالياء على التذكير.**

٢ ـ وقرأ الباقون، وأكثر أصحاب أبي بكر ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ بالتاء

(١٢٤٨) انظر [المحرر الوجيز (١٣٣/٣)، مفاتيح الغيب (١١٢/١٧)، الجامع لأحكام القرآن (٦٦٢/٨)، البحر المحيط (١٨٠/٥)].

(١٢٤٩) راجع ص٢٧٦ ـ ٢٧٧.

على التأنيث[1250].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

يكون وكان من كنت من الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار، كقولك كان زيد قائماً، ويكون عمرو ذاهباً، والمصدر كوناً وكياناً والكون الحدث، وقد كان كَوْناً وكَيْنونة[1251].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

حكى الله تعالى في هذه الآية عن فرعون وقومه، أنهم لم يقبلوا دعوة موسى عليه السلام، وعلَّلوا عدم القبول بأمرين:

الأول: قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ ذكر الأخفش اللفت بمعنى اللوي[1252] فيكون المعنى لتصرفنا وتلوينا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ عن عبادة الأصنام وعبادة فرعون.

الثاني: في عدم القبول وقوله: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي ويكون لكما الملك والعز في أرض مصر، والخطاب هنا لموسى وهارون. وقال الزجاج: «وإنّما سمّي الملك كبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا»[1253]. فلما ذكر القوم هذين السببين صَّرحوا بالحكم، وقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمقرّين بأنّكما رسولان أرسلتما إلينا[1254].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو بكر (وَيَكُون لكما الكبرياء) بالياء على التذكير، وذلك لمراعاة اللفظ والمعنى، فلمراعاة اللفظ؛ لأنَّ الكبرياء مؤنث غير حقيقي، ولأنه فُصل بينه وبين الفعل، ولأنَّه اسم (ويكون جمع تكسير).

(١٢٥٠) انظر [النشر (٢/٢١٤ ـ ٢١٥)].
(١٢٥١) انظر [لسان العرب (١٣/٣٦٣ ـ ٣٦٥) مادة كون].
(١٢٥٢) انظر [معاني القرآن: الأخفش (٢/٥٧٢)].
(١٢٥٣) معاني القرآن الزجاج (٣/٢٩).
(١٢٥٤) انظر [جامع البيان (١١/١٤٦ ـ ١٤٧)، مفاتيح الغيب (١٧/١٢٤)].

ولمراعاة المعنى فلأنَّ الكبرياء بمعنى المُلك، فناسب تذكير الفعل يكون.

وقرأ الباقون ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ بتاء التأنيث، وهو الوجه الثاني لشعبة (أبو بكر) وذلك لتأنيث اسم ﴿وَتَكُونُ﴾[(١٢٥٥)].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: أرى أن من ذكّر الفعل حمل التذكير على المعنى، ومن أنّث الفعل حمل التأنيث على اللفظ . . . والله أعلم.

٢٦ ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۝٧٩﴾ [يونس: ٧٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (سَحَّارٍ) على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿سَٰحِرٍ﴾ على وزن فاعل والألف قبل الحاء[(١٢٥٦)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ساحر: اسم فاعل من السحر يُقال رجل ساحرٌ من قوم سحرة وسَحَّار، وسحّار من قوم سحارين[(١٢٥٧)]. والسِّحر سبق تعريفه[(١٢٥٨)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ادّعى فرعون وأتباعه أن ما جاء به موسى هو سحر، فأخذوا في معارضته بأنواع من السِّحر؛ ليظهر لسائر الناس أن ما أتى به موسى هو من باب السِّحر، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي﴾ أسند الفعل إليه وحده؛

(١٢٥٥) انظر [البحر المحيط (١٨٢/٥)، الدر المصون (٢٤٨/٦)، المغني في توجيه القراءات (٢٣٨/٢)].

(١٢٥٦) انظر [النشر (٢٠٣/٢) (٢١٥/٢)].

(١٢٥٧) انظر [لسان العرب (٣٤٨/٤) مادة سحر].

(١٢٥٨) راجع ص ٢٥٩.

لأن الأمر من وظائفه، أي: قال لخدمه والمتصرفين بين يديه ﴿بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ في فن السِّحر ماهر به(١٢٥٩).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (**سحّار**) على وزن فعّال بتشديد الحاء وألف بعدها، وهي على صيغة فعَّال التي تدل على الحرفة والصناعة وتقتضي الاستمرار والمزاولة.

وقرأ الباقون ﴿سَٰحِرٍ﴾ على وزن فاعل والألف قبل الحاء، وهي على وزن فاعل وهذه الصيغة تفيد عدم المزاولة والاستمرار(١٢٦٠).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أمر فرعون بإحضار جميع السحرة المتمكنين في علم السحر المزاولين له، وذلك لأنهم أبصر بدقائقه وأقدر على إظهار ما يفوق خوارق موسى في زعمه، وهذا المعنى نأخذه من قراءة (**سحّار**) صيغة المبالغة.

أما قراءة ﴿سَٰحِرٍ﴾ فأرى أنه أراد حضور السحرة؛ فجاءت قراءة صيغة المبالغة تبين أنَّ طلبه هو السحرة المتمكنين المتمرسين الذين يمارسون مهنة السحر والله أعلم(١٢٦١).

٢٧ ـ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: ٨١].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ أبو عمرو وأبو جعفر (**بهءآلسِّحْرُ**) بزيادة همزة استفهام قبل همزة الوصل وعندها تمد مداً مشبعاً للساكنين، أو تسهل بين بين، وعلى ذلك توصل هاء الضمير في (به) بياء.

(١٢٥٩) انظر [البحر المحيط (١٨٢/٥)، المقتطف من عيون التفاسير (٤٩١/٢)].

(١٢٦٠) انظر [معاني الأبنية ص١١٠، ص١٧٥].

(١٢٦١) انظر [التحرير والتنوير (٢٥٣/١١)].

٢. وقرأ الباقون ﴿بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ بهمزة وصل على الخبر فتسقط وصلاً، وتحذف ياء الصله في الهاء قبلها؛ لالتقاء الساكنين(١٢٦٢).

ثانياً: التَّفسير الإجمالي للآية:

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ﴾ ما هم ملقوه من العِصي والحبال، واسترهبوا الناس، قال لهم موسى هذه المقالة، وهو غير مكترث بما صنعوا ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ الذي جئتم به أيها السحرة هو السحر، لا آيات الله التي سماها فرعون بأنها سحر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي إن الله سيذهبه ويمحقه بالكليّة، وحقاً أذهبه الله بأنْ سلّط عليه عصا موسى، حيث حوَّلها ثعباناً، فلقفت كل ما ألقى السّحرة من الحبال والعِصِيّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يعني: لا يصلح عمل من يسعى في الأرض الفساد من معاصي وغيرها(١٢٦٣).

ثالثاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر (ءَآلسِّحْرَ) بهمزة استفهام في أوله، وبالمد لتسهيل الهمزة الثّانية، فتكون (ما) في قوله: ﴿ما جئتم به) استفهامية، وهي في موضع رفع على الابتداء. فكأنّه قال: أي شيء جئتم به؟ ثم قال على وجه التوبيخ والتقريع (آلسِّحْرُ) فتكون بدل من المبتدأ ذلك وهو اسم الاستفهام (ما) ولذلك أعيد الاستفهام ليساوي المبدل منه؛ لأن ذلك كما تقول كم مالك، أعشرون أم ثلاثون؟ فجعلت (عشرون) بدلاً من (كم) وهذا يوافق القاعدة التي تقول: «إذا استبدل اسم من اسم مضمن معنى حرف استفهام، ذكر ذلك الحرف مع المبدل»(١٢٦٤). ولا يلزم أن يضمر للسّحر خبر؛ لأنك إذا أبدلته من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبراً عن

(١٢٦٢) انظر [النشر (١/٢٩٣ ـ ٢٩٤) (٢/٢١٥)].

(١٢٦٣) انظر [جامع البيان (١١/١٤٧ ـ ١٤٨)، المقتطف من عيون التفاسير (٢/٤٩١)].

(١٢٦٤) انظر [أوضح المسالك عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) (٣/٣١٠) دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٥ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك محمد محي الدين عبد الحميد].

المبدل منه خبراً عنه، فتكون (جئتم به) الخبر. فكان الاستفهام هنا ليس على معنى الاستخبار؛ لأن موسى ـ عليه السلام ـ أيقن أن الذي جاءوا به سحر، لكنه استفهام في اللفظ، ومعناه التقرير[(١٢٦٥)]. وخلاصة الكلام أنَّ (آلسّحر) استفهام مبيِّن لـ(ما) الاستفهامية وهو مستعمل للتّحقير، والمعنى: أنه أمر هيِّن يستطيعه ناس كثيرون[(١٢٦٦)]. وقرأ الجمهور[(١٢٦٧)] (آلسِّحْرُ) بهمزة وصل في أوله هي الهمزة (أل) فتكون (ما) في قوله: (ما جئتم به) اسماً موصولاً بمعنى الذي، وهو في موضع رفع الابتداء و(السّحر) خبر المبتدأ و(جئتم به) صله (ما). والتّقدير: الذي جئتم به السّحر، لا آيات الله التي سمّاها فرعون سحراً.

ويؤيد هذا التّقدير قراءة أُبي[(١٢٦٨)] وما في مصحفه: (ما أتيتم به سحر)، وقراءة عبد الله والأعمش[(١٢٦٩)] والتّعريف في السّحر هنا يقول فيه ابن عطيّة: «أرتب؛ لأنّه قد تقدم منكراً في قولهم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ﴾ [يونس: ٧٦] فجاء هنا بلام العهد، كما يقال في أول الرّسالة: سلام عليك وفي آخرها والسّلام عليك»[(١٢٧٠)]. وقد ذكر السّمين الحلبي خمسة أوجه في قراءة أبي عمرو، وأربعة أوجه في قراءة الجمهور، وناقشها ورد منها ما ردّ، وقَبِل منها ما قَبِل، وما ذكرته هنا في هذه القراءات هو الخلاصة[(١٢٧١)].

رابعاً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين لنا: أنَّ الأسلوب تعدد، فجاء مرّة أسلوباً

(١٢٦٥) انظر [الكشف (٥٢١/١)، الحجة ابن زنجلة ص ٣٣٥، الحجة أبو علي الفارسي (٢٩٠/٤ ـ ٢٩١) مفاتيح الغيب (١١٥/١٧)].
(١٢٦٦) انظر [التحرير والتنوير (٢٥٦/١١)].
(١٢٦٧) انظر [مراجع الهوامش السابقة جميعها].
(١٢٦٨) ذكرها أبو حيان في تفسيره (١٨٣/٥).
(١٢٦٩) سبقت ترجمة له ص ١٣٥.
(١٢٧٠) المحرر الوجيز (٣/ ١٣٥).
(١٢٧١) انظر [الدر المصون (٢٤٩/٦ ـ ٢٥٤)].

خبرياً، ومرّةً إنشائياً، وهذا يدل على جمال القرآن الكريم وإعجازه، فالبرغم من أنَّ الأسلوب اختلف؛ إلا أنه أدى نفس المعنى، وزاد أسلوب الاستفهام بمعنى آخر وهو تقريع وتوبيخ السّحرة.

وأيضاً بالجمع نجد أن هذه القراءات ترتّب عليها وجوه إعرابية في الآية الواحدة، فكانت القراءات سبباً في اختلاف النّحاة في توجيه الآية القرآنية من حيث إعرابها كما رأينا سابقاً في العلاقة التفسيرية.

٢٨ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ الكوفيّون (عاصم، حمزة، الكسائي، خلف) ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ بضم الياء.

٢ ـ وقرأ الباقون (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء[١٢٧٢].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ليضلّوا: من الفعل ضلل ومنه الضّلال والضّلالة وهما ضد الهدى والرشاد. ضَلَلْتُ تَضِلُّ هذه اللغة الفصيحة، وضَلِلْتُ تَضَلُّ وضلالةً، وأضَلَّهُ جعله ضالاً[١٢٧٣].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لمّا بالغ موسى في إظهار المعجزات الظاهرة، ورأى القوم مصرّين على الجحود والإنكار، أخذ يدعو عليهم وذكر سبب إقدامهم على جرائمهم، وهو أنهم لأجل حبهم الدّنيا تركوا الدّين، فلهذا السّبب قال موسى ـ عليه السلام ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا﴾ يقول

(١٢٧٢) انظر [النشر (٢/١٩٧) (٢/٢١٥)].

(١٢٧٣) انظر [لسان العرب (١١/٣٩٠ ـ ٣٩٣)، مادة ضلل].

الرّازي: «والزّينة عبارة عن الصّحة والجمال واللّباس والدّواب وأثاث البيت والمال، وما يزيد على هذه الأشياء من الصّامت والنّاطق»[١٢٧٤]. ثم قال ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ أي جعلت هذه الأشياء السّابقة سبباً لضلالهم؛ لأنهم بطروا فاستكبروا عن الإيمان، فكانت الأشياء التي أمدّهم الله بها على سبيل الاستدراج، ليزدادوا إثما، وقوله هذا ذكره، ليمهد للتّخلص إلى الدّعاء عليهم .﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي أهلكها قاله مجاهد[١٢٧٥] ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني الضلالة ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾[١٢٧٦] بالله فيما يرون من الآيات ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يعني الغرق، فاستجيب في ذلك، فلم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق[١٢٧٧].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ أهل الكوفة ﴿لِيُضِلُّواْ﴾ بضم الياء: أي ليضلوا غيرهم، أي يُضلوا الناس عن الهدى. والحجّة: أنه جعل الفعل متعدياً منهم إلى غيرهم، فدل على أنَّ ماضي الفعل على أربعة أحرف.

وحجّتهم أيضاً في ذلك أنَّ ما تقدم من وصف فرعون بما وصف أنه بذلك ضال غير مهتد؛ فكان وصفه بعد ذلك بأنه مع ذلك مضل لغيره، ويزيد الكلام فائدة ومعرفة ما لم يكن مذكوراً فيما تقدّم من وصفه[١٢٧٨].

يقال ضللت الطّريق أضِلُّه وضلِلْتُه أضَلُّه، وأضلّ الشيء إذا ضيّعه[١٢٧٩].

(١٢٧٤) مفاتيح الغيب (١٧/١١٩).

(١٢٧٥) انظر [تفسير الإمام مجاهد (١/٣٨٣)].

(١٢٧٦) انظر [المرجع السابق نفس الصفحة].

(١٢٧٧) انظر [جامع البيان (١١/١٦٠)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن الواحدي (١/٥٠٦)].

(١٢٧٨) انظر [الحجة: ابن خالويه ص٨٠، والحجة ابن زنجلة ٣٣٥، زاد المسير (٢/٢٤٦)].

(١٢٧٩) انظر [معاني القراءات ص ١٦٨].

وقرأ الباقون: (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء أي ليضلّوا هم أو يضلّوا في أنفسهم، وحجّتهم قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [النّحل: ١٢٥] وقد ضلّوا(١٢٨٠).

والحجّة أنه جعل الفعل لازماً إليهم غير متعدٍ إلى غيرهم، فدّل على أنَّ ماضيه على ثلاثة أحرف. يقال ضلّ فلانٌ الشّيء يضله: إذا جعلَه في مكان ثم لم يهتد له(١٢٨١). واختلف في اللاّم التي في (ليضلّوا) وأصح ما قيل فيها وهو كما نقل القرطبي عن قول الخليل وسيبويه أنها لام العاقبة والصّيرورة.

أي: لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنّه أعطاهم ليضلوا(١٢٨٢) كما قال ـ ﷻ ـ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ﴾ [القصص: ٨] أي فآل أمرهم إلى ذلك، وكأنَّهم فعلوا ذلك لهذا(١٢٨٣).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: لاحظت أنّ قراءة (لَيَضلّوا) أي يصيرون ضُلّالاً، وقراءة (لِيُضِلّوا) بضم الياء ليضلّوا غيرهم. فجاءت القراءة الثّانية توضح وتزيد في المعنى على القراءة الأولى؛ ففيها من البلاغة ما فيها، لأنّه قد يضل في نفسه، ولا يُضِل غيره. أما القراءة الثّانية: فتفيد أنه ضال مضل: أي أنهم ضالّون بشركهم مضلّون غيرهم(١٢٨٤).

٢٩ ـ ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩].

(١٢٨٠) انظر [الحجة ابن زنجلة ص ٣٣٦].

(١٢٨١) انظر [الحجة: ابن خالويه ص ٨٠، معاني القراءات ص ١٦٨].

(١٢٨٢) انظر [الجامع لأحكام القرآن (٨/٦٧٠)، وفتح القدير (٢/٥٨٥)].

(١٢٨٣) انظر [إعراب القرآن للنحاس (١/٤٨٩)].

(١٢٨٤) انظر [الحجة ابن زنجلة ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، روح المعاني (١٣/٢١٩)، علم القراءات د. نبيل آل إسماعيل ص٤٨].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان **(ولا تَتَّبِعانِ)** بتخفيف النّون.

ـ وقرأ الباقون ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ بتشديد النّون والتّاء وكسر النون.

٢ ـ انفرد ابن مجاهد(١٢٨٥) عن ابن ذكوان(١٢٨٦)ولا تَتْبَعانِّ بتخفيف التّاء الثّانية ساكنة وفتح الباء مع تشديد النّون ولكن هذا الوجه قال فيه الداني إنه غلط ممن رواه عن ابن ذكوان، وصحح هذه القراءة ابن الجزري من غير طريق ابن مجاهد(١٢٨٧).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

تتّبعان: مشتق من الفعل تبع، وتبع الشّيء تبعاً وتباعاً في الأفعال وتَبِعْت الشّيءَ تبوعاً أي سِرْت في إثره، واتبعه وأتْبعه وتتبعه اتّباعاً، وتبعت القوم تَبعاً وتباعه بالفتح، إذ مشيت خلفهم أو مرّوا بك فمضيت معهم(١٢٨٨).

ثالثاً: التّفسير الإجمالي للآية:

يقول الطّبري في صدر تفسيره لهذه الآية: «وهذا خبر من الله عن إجابته لموسى عليه السلام وهارون دعاءهما على فرعون وأشراف قومه وأموالهم»(١٢٨٩).

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ أي قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السّلام قد استجبت دعوتكما على فرعون وقومه، وقد نسب الدّعوة إليهما

(١٢٨٥) سبقت ترجمة له ص٦٣.

(١٢٨٦) ابن ذكوان: وهو عبدالله بن أحمد بن بشر، ويقال بشير بن ذكوان، أبو عمرو القرشي الدمشقي، شيخ الإقراء بالشام، وإمام جامع دمشق، ألف كتاب، ولد يوم عاشوراء سنة ثلاث وسبعين ومائة، وتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الاثنين سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

(١٢٨٧) انظر [النشر (٢/٢١٥)].

(١٢٨٨) انظر [لسان العرب (٨/٢٧ ـ ٢٩) مادة تبع].

(١٢٨٩) جامع البيان (١١/١٦٠).

مع أنَّ موسى هو الداعي، وذلك لأن هارون أمّن على الدعاء، فالتّأمين كالدّعاء؛ لأنَّ آمين معناها استجب[1290].

﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أُمرا بالاستقامة على أمرهما، والثّبات عليه، حتى يأتيهما تأويل الإجابة ويُقال: إنّه كان بينهما أربعون سنة[1291] أي بين الدعاء وبين الإجابة وهي غرق فرعون وجنوده، واحتمال أن يكون معنى ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي استقيما على ديني أو استقيما على الرّسالة وما أمرتكما به[1292].

﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي لا تسلكان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله، أو الذين يجهلون حقيقة وعد الله، فإن وعد الله لا خلف له[1293].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

١ ـ قرأ ابن ذكوان (ولا تتّبعانِ) بتخفيف النّون مع كسرها، ولا تحتمل أن تكون للنّفي أو النّهي وفيه ثلاثة أوجه:

أحدهما: أ ـ أنَّ الفعل معرب مرفوع، والنّون علامة الرفع، و(لا) هنا نافية، ويصير اللّفظ لفظ الخبر، ومعناه النهي كقوله تعالى (لا تضارُ والدة) على قراءة أبي عمر وابن كثير[1294] برفع الرّاء[1295] فالجملة وإن كانت خبرية لفظاً؛ إلا أنها طلبية المعنى، لأنَّ المراد منها النّهي، والنّهي المخرج بصورة المخبر أبلغ من النّهي المخرج بصورته، ويجوز أن تعتبر الجملة مستأنفة للإخبار بأنهما لا يتبعان سبيل الجاهلين[1296].

ب ـ أو أن يُجعل (ولا تتّبعان) حالاً من الضّمير في (فاستقيما)

(١٢٩٠) انظر [معاني القرآن الفراء (٤٧٨/١)، معاني القرآن النحاس (٤٩٠/١)، مفاتيح الغيب (١٢٢/١٧)].

(١٢٩١) انظر [معاني القرآن الفراء (٤٧٨/١)، البحر المحيط (١٨٧/٥)].

(١٢٩٢) انظر [زاد المسير (٣٤٧/٢)].

(١٢٩٣) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٤٩٤/٢)].

(١٢٩٤) انظر [النشر (١٧١/٢)].

(١٢٩٥) انظر [المرجع السابق (٢١٥/٢)، الكشف (٥٢٢/١)].

(١٢٩٦) انظر [روح المعاني (١٦٣/١١)].

والتقدير: أي فاستقيما غير مُتَّبِعَيْن سبيل الذين لا يعلمون أي: فاستقيما، وأنتما لا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون(١٢٩٧).

ثانياً: أنه مبني والنّون نون التّأكيد الخفيفة كُسرت كما كُسرت الثقيلة أو كسرت لالتقاء السّاكنين تشبيهاً بالنون (من رجلان ويفعلان) ومنع ذلك سيبويه؛ لأنّه لا يرى وقوع النّون الخفيفة بعد الألف، سواءً كانت الألف ألف تثنية أو ألف فصل بين نون الإناث ونون التّوكيد نحو: «هل تضربنان يانِسْوَن» وكذلك النون الخفيفة إذا لقيها ساكن، لزم حذفها، ولا يجوز تحريكها(١٢٩٨).

ولكن ذكرت كتب التَّفسير بأن الفرّاء وغيره أجازوا ذلك(١٢٩٩) وأبقوا النّون ساكنة؛ لأنَّ الألف بخفّتها، أو لأنَّ المد الذي على الألف يقوم مقام الحركة، وكسروها على أصل التقاء السّاكنين(١٣٠٠).

ثالثاً: أنّه مبني، والنّون هي الثّقيلة أي نون التّأكيد الدّاخله على النّهي؛ إلا أنّها استثقل تشديدها فخففت كما خُففت رُبَ وحذفت النّون الأولى، ولم تحذف الثانية، لأنّها لو حذفت لحذفت نون محرّكة، واحتيج إلى تحريك السّاكنة وحذف السّاكنة أقل تغييراً.

بمعنى أننا لو حذفنا الثّانية المتحرّكة التقى ساكنان، فنحتاج إلى الحذف والتّحريك، فيكون حذف السّاكن أسهل(١٣٠١).

٢ ـ وقرأ الباقون (ولا تَتّبعانِّ) بتشديد النّون، وذلك على أصلها؛ لأنّها النّون المشدّدة (التّأكيد) التي تدخل الأفعال للتّأكيد في الأمر والنّهي وشبهه(١٣٠٢). وهنا دخلت على النّهي، فـ(لا) هنا النّاهية، وموضع (تتبعان)

(١٢٩٧) انظر [الكشف (٥٢٢/١)، الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٦].

(١٢٩٨) انظر [كتاب سيبويه (٥٢٠/٣ ـ ٥٢٦)].

(١٢٩٩) انظر [روح المعاني (١٦٤/١١)، الدر المصون (٢٦٢/٦)، النشر (٢١٥/٢)].

(١٣٠٠) انظر [الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٩٠/٢)].

(١٣٠١) انظر [المرجع السابق (٥٩٠/٢)، النشر (٢١٥/٢)].

(١٣٠٢) انظر [الكشف (٥٢٢/١)].

وهو الفعل المبني في محل جزم بحذف النّون؛ إلاّ أن النّون الشديدة دخلت للنّهي مؤكدة، وكسِرت لسكونها وسكون النّون التي قبلها واختير لها الكسر؛ لأنّها بعد الألف، فشبهت (نون التّوكيد) بنون الاثنين[١٣٠٣] وشبهها في كونها مزيدة مثلها، وداخلة لمعنى كدخولها وحذف النّون التي هي علامة الرّفع في فعل الاثنين كحذف الضّمة التي هي علامة للرفع في فعل الواحد[١٣٠٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين يتبين أنَّ قراءة التّخفيف:

أ ـ كانت (لا) فيها إما ناهية أو نافية على أسلوب الخبر، وجاءت قراءة التّشديد مؤكدة للنّهي، فكانت (لا) فيها ناهية فأفادت التّأكيد على الاستقامة؛ لأنَّ اتباع طريق الذين لا يعلمون شاملٌ للاستقامة وأيضاً هو تنبيهٌ على توخي السّلامة من العدول عن طريق الحق اهتماماً بالتّحذير من الفساد، ومن الاستقامة أن يستمرا على الدّعوة إلى الدّين ولا يضجرا، فجاءت قراءة التّشديد تتناسب مع المعاني الكثيرة التي أفادتها الآية.

ب ـ وقراءة التّشديد أفادت بأن النّون الخفيفة في قراءة التخفيف، هي للتّوكيد وليست نون الاثنين، ودخولها على الفعل في أربعة مواضع للتّأكيد في الأمر والنّهي والاستفهام والجزاء[١٣٠٥].

٣ ـ وقراءة (ولا تتْبَعانّ) بتخفيف التّاء الثّانية ساكنة، وفتح الباء، وتشديد النّون، في حين قرأ الباقون (تتّبِعانّ) بتشديد التّاء الثّانية، وكسر الباء مع تشديد النّون.

والحجّة لمن خفف التّاء الثّانية: أنه أخذه من تبع يتْبع، والحجّة لمن شدد: أنه أخذه من اتّبع يتّبع[١٣٠٦]. ومعنى تبعه بشيء: خلفه، واتّبعه

(١٣٠٣) انظر [معاني القرآن: الزجاج (٣١/٣)، فتح القدير (٥٨٦/٢)].
(١٣٠٤) انظر [الفريد في إعراب القرآن المجيد (٥٩٠/٢)].
(١٣٠٥) انظر [الحجة: ابن خالويه ص ١٠٣].
(١٣٠٦) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

كذلك، إلا أنه حاذاه في المشي، واتبعه: لحقه(١٣٠٧) والمعنى على قراءة التّخفيف: النّهي لهما عن سلوك طريقة من لا يعلم بعادة الله سبحانه وتعالى في إجراء الأمور على ما تقتضيه المصالح تعجيلاً وتأجيلا(١٣٠٨).

فأرى الجمع بين قراءة التخفيف في التاء والتشديد هو ما يلي:

قراءة التّخفيف أفادت: بأن لا نتبع سبيل الجاهلين، بأن نكون خلفهم، أي: لا نقلدهم التّقليد الأعمى، ونسير خلفهم كالإمّعةِ في حين أنَّ قراءة تشديد التّاء أضافت معنىً آخر بجانب هذا المعنى، أن لا نكون جنباً إلى جنب مع هؤلاء الجاهلين ونساعدهم ونشجعهم على جهلهم هذا، بل وننتصر وندافع عنهم، فكل ذلك منهيٌّ عنه، والله أعلم.

٣٠ ـ ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف (ءامنت إِنَّه) بكسر همزة إِنَّه.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ بفتح همزة أنه(١٣٠٩).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق الكلام على «إِنَّه» و«أَنَه»(١٣١٠).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

ذكر الله ـ تعالى ـ في هذه الآية خاتمة قصة فرعون مع موسى ـ عليه السلام ـ الدّالة على تأييد الله لموسى ـ عليه السلام ـ وأخيه على ضعفهما، وقوة فرعون

(١٣٠٧) انظر [الدر المصون (٦/٢٦٢)].

(١٣٠٨) انظر [فتح القدير (٢/٥٨٧)].

(١٣٠٩) انظر [النشر (٢/٢١٦)].

(١٣١٠) انظر [المرجع السابق بنفس الصفحة].

وجنوده، فكان موضوع الآية كيفية إغراق فرعون وجنوده، فقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي جاوز بنو إسرائيل البحر بمعونته تعالى وقدرته وحفظه، وجاوزنا من جاوز المكان إذا تخطّاه ﴿ٱلۡبَحۡرَ﴾ بفرقه - تعالى - بهم البحر، وانفلاقه لهم، وبجعل الأرض يبساً حتى بلغوا الشّاطىء، فتكون هذه المجاوزة معجزة من الله لموسى - عليه السلام - وأتباعه المؤمنين ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ فلحقهم فرعون وجنوده ﴿بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ﴾ أي: باغين ظالمين عليهم، وذلك ليفتِكوا بهم، ويسومونهم سوء العذاب، وذلك أنَّ موسى - عليه السلام - خرج ببني إسرائيل وقد كانوا استعاروا من القبط حِلياً كثيرة، وخرجوا به معهم، فاشتدّ غضب فرعون عليهم، فتبعهم هو وجنوده حتى لحقهم، ووصل إلى الساحل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ وفي الكلام حذف دلّ عليه السياق، والتقدير: فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً فغرّقناه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ حتى إذا أشرف على الغرق قال آمنت وأقررتُ أنّه لا إلَه بحق إلا الرب الذي آمنت به جماعة بني إسرائيل بدعوة موسى ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الذين أسلموا وانقادوا لأمره وكرر المعنى الواحد بثلاث عبارات أولها قوله (آمَنتُ) وثانيها، قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وثالثها، قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ حرصاً منه على النّجاة[١٣١١] وعلى سبيل التّلعثم، إذ ذلك مقام تَحار فيه القلوب؛ ولكن هيهات فقد فات الأوان، وجاء الإيمان حين اليأس.

رابعاً: العلاقة التّفسيرية بين القراءات:

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف (آمنتُ إنّه) بكسر همزة إنّه على الاستئناف، حجتهما في ذلك: أنَّ الكلام متناه عند قوله: (آمنتُ) وأن الإيمان وقع على كلام محذوف وتقديره: آمنتُ بما كنتُ به قبل اليوم مكذباً، ثم استأنف: (**إنَّهُ لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسراءيل**)[١٣١٢] أو

(١٣١١) انظر [جامع البيان (١٦٢/١١)، تفسير القرآن العظيم (٤٣٠/٢) المقتطف من عيون التفاسير (٤٩٥/٢)، البحر المحيط (١٨٨/٥)].

(١٣١٢) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٦].

احتمال أن تكون بدلاً من آمنت، وتفسيراً له، أو على إضمار القول أي قائلاً إنه فيكون التقدير: آمنت، فقلت (إنّه)[1313] أو آمنت قائلاً (إنه).

ـ وقرأ الباقون ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُ﴾ بفتح همزة (أنه) على التقدير (آمنت بأنه) فلما سقط الخافض عمل الفعل فنصب[1314].

فالحجّة لمن فتح: أنه وصل آخر الكلام بأوله وهو يريد «أمنت بأنه»، فلما أسقط الباء وصل الفعل إلى (أنّ) فعمل فيها[1315].

أو أنها في محل نصب على المفعول به، أي: (آمنت توحيدَ)، لأنه بمعنى صدّقت، أو أنها في موضع نصب بعد إسقاط الجارّ أي: لأنه[1316] ويجوز أن يكون أوقع (آمنت) على أنه وما بعدها نفي الإلهية عن كل شيء غير من استثنيته من أن أعبده أو أرجع عنه[1317].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

لقد ترتَّب على القراءتين أوجهُ إعرابية في الآية الواحدة، فمن قرأ بالكسر، فهو على الاستئناف وقطع الفعل (آمنت) عمّا بعده، ومَن قرأ بالفتح، فهو على الوصل، فَوَصل الفعل آمنت بما بعده.

ولكنَّ قراءة الكسر: تفيد التأكيد على شدة خوف فرعون من الغرق، لدرجة أنه لا يكتفي بأن يعلن بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل؛ بل زاد في استسلامه وقال وأنا من المسلمين والله أعلم.

٣١ ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٢].

أولاً: القراءات:

(١٣١٣) انظر [البحر المحيط (١٨٨/٥)، المحرر الوجيز (١٤١/٣)].
(١٣١٤) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٦، إعراب القراءات السبع (٢٧٣/١)].
(١٣١٥) انظر [الحجة: ابن خالويه ص ١٠٣].
(١٣١٦) انظر [الدر المصون (٢٦٤/٦)].
(١٣١٧) انظر [نظم الدرر (٤٧٨/٣)].

١ ـ قرأ يعقوب (نُنْجِيك) بتخفيف الجيم وإسكان النون الثانية، ووافقه يونس والكسائي.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿نُنَجِّيكَ﴾ بتشديد الجيم وفتح النون الثانية[(١٣١٨)].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

نُنَجِّيْك: مشتق من الفعل نجا والنجاء أي الخلاص من الشيء، نجا ينجو نجواً ونجاءً ممدود، ونجاةً مقصور ونجّي واستنجى كنجا وأنجيت غير ونجيته وقُرئ بها قوله تعالى: فاليوم نُنَجِّيك ببدنك، المعنى نُنَجيك لا بفعل بل نُهْلِكُكَ، فأضمر قوله لا بفعل. قال ابن بري[(١٣١٩)]: «قوله لا بفعل يريد أنه إذا نجا الإنسان ببدنه على الماء بلا فعل فإنه هالك، لأنه لم يفعل طفوه على الماء، وإنما يطفو على الماء حياً بفعله إذا كان حاذقاً بالعوم، ونجّاه الله وأنجاه»، والنجوة والنجاة ما ارتفع من الأرض فلم يعله السيل، فظننته نجاءَك والجمع نِجاء وقوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك، أي: نجعلك فوق نجوة من الأرض فنظهرك أو نلقيك عليها لتُعرف؛ لأنه قال ببدنك ولم يقل بروحك[(١٣٢٠)]، قال الزَّجاج: «معناه، نلقيك عرياناً، لتكون لمن خلفك عبرةً»[(١٣٢١)].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

هذه الآية تعتبر المشهد الأخير لخاتمة فرعون اللعين، وجاء السياق مختصراً مجملاً؛ لبيان رعاية الله وحمايته للمؤمنين وهلاك الكفرة والمعاندين فقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ وهنا بدأ الآية بالفاء، وهي الفاء الفصيحة، وذلك لتفصح عن شرط مقدر في الكلام يدل عليه السياق

(١٣١٨) انظر [النشر (١٩٤/٢)، (٢١٦/٢)].

(١٣١٩) هو علي بن محمد بن الحسين الرباطي، أبو الحسن، المعروف بابن بري: عالم بالقراءات، ومن كتبه الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع، ولد عام ٦٦٠هـ ـ ١٢٦١م، وتوفي عام ٧٣٠هـ ـ ١٣٣٠م انظر [الأعلام (٥/٥)].

(١٣٢٠) انظر [لسان العرب (٣٠٤/١٥ ـ ٣٠٥) مادة نجا].

(١٣٢١) معاني القرآن الزجاج (٣٢/٣).

والمعنى فإن أردت ورمت بإيمانك بعد فوات الوقت أن أنجيك من الغرق، فاليوم ننجيك ببدنك أي بجسدك بدون روح والكلام جارٍ مجرى التهكم، وذلك لأن إخراجه إلى البرّ كاملاً يشبه الإنجاء، ولكنه في نفس الوقت ضد الإنجاء، فكان بالمشابهة استعارة وبالضدية تَهَكُماً، والمعجزة في إنجاء فرعون أنه كان يلبس درعه المصنوع من الذهب، وقيل من الحديد فكان من الطبيعي أن ينزل جسده إلى قاع البحر، ولكنَّ قدرة الله جعلت جسده يطفو على سطح البحر ثم طرحها خارجاً إلى البر على نجوة من الأرض أي الجزء المرتفع منها.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي لتكون عبرة، وذلك لأن طائفة من الناس لم تصدق بأن فرعون غرق، فأخرجه الله آية وعظة ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ أي وإن كثيراً من الناس عن أدلتنا على أن الألوهية والعبادة لنا خالصة لا يعتبرون ولا يتفكرون(١٣٢٢).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ يعقوب (نُنْجيك) بتخفيف الجيم وإسكان النون الثانية، ووافقه الكسائي من الفعل المضارع أنجى ينجي قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ [الأعراف: ٦٤]. وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٢٤].

وقرأ الباقون ﴿نُنَجِّيكَ﴾ بتشديد الجيم، وفتح النون الثانية، وهو مشتق من الفعل نجا والنجاء أي الخلاص من الشيء.

وهو كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [فصلت: ١٨]. أو مشتق من النجاة وهو الإسراع أي نُسرع بهلاكك أو نلقيك على نجوة من الأرض ليراك بنو إسرائيل أو نبعدك مما وقع فيه قومك من قاع البحر ونظهرك جسداً لا روح فيه، وقيل غير هذا وهو متقارب وهذه المعاني تقع قراءة

(١٣٢٢) انظر [جامع البيان (١١/١٦٦)، التَّفسير القرآن العظيم (٢/٤٣٠ ـ ٤٣١)، التحرير والتنوير (١١/٢٧٨ ـ ٢٧٩) والمقتطف من عيون التفاسير٢/٤٩٦)].

التخفيف[١٣٢٣].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين أرى: أن القراءتين معناهما واحد، ولكن الاشتقاق يختلف لذلك أرى قراءة التشديد تفيد تكرير الفعل ومداومته وسرعته على معنى: نُنَجّيك نجاة تلو أو بعد نجاة. وفعلاً كانت نجاة لفرعون تلو النجاة؛ ليكون عبرة وعظة لمن بعده أو لمن طغى وتجبّر. فأول نجاة:

١ ـ أنه أبعده مما وقع فيه قومه من قعر البحر.

٢ ـ أخرجه من البحر صحيحاً لم تأكله شيء من الدواب والحيتان.

٣ ـ ألقاه على نجوة أي ربوة مرتفعة.

٤ ـ أن جثته رآها الجميع، ولم تضع فلا يستطيع أحد أن ينكر أنه غرق ومات.

٥ ـ حتى يقال أنَّ جثته باقية في متاحف عصرنا، هذا يدل على مداومة نجاة جسده من الله في هذه الدنيا.

وقد كانت الجثة مدفونة بمقابر وادى الملوك بطيبة، على الضفة الأخرى للنيل أمام مدينة الأقصر الحالية[١٣٢٤]. وقد كشف الدكتور موريس بوكاي[١٣٢٥] في كتابه (القرآن والعلم الحديث) عن تطابق ما ورد في القرآن الكريم بشأن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في اليمّ، مع الواقع المتمثل في وجود جثته إلى يومنا هذا آية للعالمين، ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ

(١٣٢٣) انظر [الكشف (٥٢٣/١) الحجة: ابن خالويه ص ٧٥، البحر المحيط (١٨٩/٥)، الجامع لأحكام القرآن (٦٧٥/٨ ـ ٦٧٦)].

(١٣٢٤) www.55a.net/firas/arabic

(١٣٢٥) طبيب فرنسي جراح من أشهر أطباء فرنسا، اعتنق الإسلام بعد دراسة مستفيضة للقرآن الكريم وإعجازه العلمي.
www.amaneena.com/m/40.htm

لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ [يونس: ٩٢].

يقول الدكتور بوكاي: «إنّ رواية التوراة بشأن خروج اليهود مع موسى ـ عليه السلام ـ من مصر تؤيد بقوة الفرضية القائلة بأن منبتاح خليفة رمسيس الثاني هو فرعون مصر في زمن موسى ـ عليه السلام ـ، وإن الدراسة الطبية لمومياء منبتاح، قدمت لنا معلومات مفيدة أخرى بشأن الأسباب المحتملة لوفاة هذا الفرعون، وقد أظهر الفحص الطبي لهذه المومياء أن الجثة لم تظل في الماء مدة طويلة، إذ إنها لم تظهر أية علامات للتلف العام بسبب المكوث الطويل في الماء»(١٣٢٦). وقد ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني أن الدكتور موريس أخبره في مقابلة معه أنه أحد الأطباء الذين قاموا بالكشف على جثة فرعون فوجدوا فيها:

١ ـ آثار الموت غرقاً.

٢ ـ آثار ملح ماء البحر.

٣ ـ أظهرت أشعة X تكسير العظام دون تمزق الجلد واللحم مما يدل أن كسر العظام كان بسبب ضغط الماء(١٣٢٧).

وكانت تلك النجاة، بسبب أنَّ فرعون قال آمنت فلم يعدم فائدة من إيمانه، فالله سبحانه وتعالى نجاه بالخروج من غمرات الماء، ولم يبق في الماء أكلة للحيتان ولكن لفظته الأمواج فتلك حالة أقل خزياً من حالات سائر جيشه وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع مثقال ذرة من عمل أو قول، بالرغم من أن نجاة فرعون كان الكلام فيها جارٍ مجرى التهكم؛ إلا أنَّ التهكم ليس مسوغها المحض فقط(١٣٢٨). أيضاً كما أنَّ فرعون لم ينتفع بموعظة موسى له في الدنيا، كذلك لم ينتفع بإيمانه في الآخرة، وذلك لأن رحمة الله به فقط في الدنيا أما في الآخرة

(١٣٢٦) www.amaneena.com/m/40 .htm

(١٣٢٧) انظر [www.amaneena.com/m/40].

(١٣٢٨) انظر [الدر المصون (٦/٢٦٦)، التحرير والتنوير (١١/٢٧٨ ـ ٢٧٩)].

فلا؛ لأنه استنجد بالله في الوقت الأخير الذي لا ينفع الإيمان فيه، فقد ورد أنَّ فرعون لعنه الله لما قال آمنت. . . الخ. أخذ جبريل عليه السلام من حال البحر أي طينه فدسّه في فيه خشية أن تدركه رحمة الله تعالى(١٣٢٩).

٣٢ ـ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

أولاً: القراءات:

١ ـ قرأ ابن كثير والكسائي وخلف (فَسَلِ) بنقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها.

٢ ـ وقرأ الباقون ﴿فَسْـَٔلِ﴾ بغير نقل بل بالهمز(١٣٣٠).

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

فَسئَل فعل أمر مشتق من سأل يسأل سُؤالاً ومسآلة ومسألةً وتَسْآلاً، والعرب تحذف الهمز منه في الأمر فإذا وصلوا بالفاء أو الواو هَمَزوا كقولك فاسأل واسأل.

ومن قرأ بحذف الهمز يُلقي حركتها على ما قبلها، ثم يأتي بألف الوصل؛ لأن هذه السين وإن كانت متحركة فهي . . . السكون، كقول بعض العرب الاحْمر فيخفف الهمزة بأن يحذفها، ويلقي حركتها على اللام قبلها، فاسأل: فاستخبر(١٣٣١).

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(١٣٢٩) أخرجه الترمذي كتاب التَّفسير ـ ١١ باب سورة يونس (٣/٦١ ـ ٦٢) رقم ٢٤٨٣، ٢٤٨٤ كلاهما من حديث ابن عباس وصححه الألباني وذكر أنه صحيح الإسناد، وأخرجه الحاكم (٢/٣٧٠) عن ابن عباس أيضاً وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه إلا أن أكثر أصحاب شعبة أوقفوه على ابن عباس).

(١٣٣٠) انظر [النشر (١/٣٢١)، (٢/٢١٦)].

(١٣٣١) انظر [لسان لعرب (١١/٣١٨ ـ ٣١٩) مادة سأل].

رجح المفسرون أن: هذه الآية مخاطبة للنبي ﷺ والمراد به سواه من كلٍّ ما يمكن أن يشك أو يعارض[1332] فقال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ وقال آخرون أن[1333]: هذا على سبيل الفرض والتقدير كأنه قيل: إن فرض أنك شككت فاسأل قال ابن عباس[1334]: «لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل» فحاصل المعنى: إن كنتم شاكين في صدق ما أنزلنا على محمد مما أصاب المكذبين والمعاندين قبلكم أمثال فرعون وغيره، فاسألوا أهل الكتاب من أهل التوراة والإنجيل يخبرونكم بأن ذلك صدق ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي ثبت عندك الحق وأتاك البيان الذي لا ريب في حقيقته والخبر الصادق ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ فلا تكن من الشَّاكِّين المرتابين في صحة ذلك[1335] وهذا التعريض من النهي والزجر للممترين أبلغ وأوقع من النهي لهم أنفسهم؛ لأنه إن كان يُنهى عنه من لا يتصور أن يصدر منه، فكيف بمن يمكن صدوره منه[1336].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءتين:

قرأ الجمهور (فاسْأل) بهمزة وصل، وسكون السين، وهمزة بعد السين، والهمز فيه ثقل، فلا بد أن يكون المعنى يناسب هذا الثقل، وهذا يتناسب مع الغرض من الآية، حيث إنَّ الغرض من الآية وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله ﷺ، لا وصف رسول الله ﷺ بالشك فيه[1337].

فالرسوخ في العلم يوحي بثقل هذا العلم الذي يناسب ثقل الهمز. أيضاً ثقل الهمز يتناسب مع ثقل السؤال الذي يُزيل الشك عند المتشككين

(١٣٣٢) انظر [المحرر الوجيز (١٤٢/٣)].
(١٣٣٣) الكشاف (٢٥٣/٢).
(١٣٣٤) ذكره ابن كثير في تفسيره انظر (٤٣٢/٢).
(١٣٣٥) انظر [المقتطف من عيون التفاسير (٤٩٧/٢)].
(١٣٣٦) انظر [فتح القدير (٥٩٢/٢)].
(١٣٣٧) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٥/١١)].

في صدق ما أُنزل على محمد ﷺ.

- وقرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف (فَسَل) بفتح السين دون همزة الوصل بحذف الهمزة التي بعد السين مخفف سأل.

وقراءة التخفيف: توحي بالخفة والسرعة، فيكون المعنى أن لا تجعل الشك يدخل لك، فمجرد أن يقع لك شك أو يخيل لك الشيطان خيالاً منه، فاسأل الذين يقرأون الكتاب، فإنهم سيخبرونك عن صدق النَّبوة، وصدق ما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن، والله أعلم.

خامساً: الجمع بين القراءتين:

بالجمع بين القراءتين: تبين لنا زيادة المبنى التي توحي زيادة المعنى، وكما رأينا في العلاقة التفسيرية ما في الهمزة من معنى زيادة عن معنى التخفيف.

٣٣ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس: ٩٦].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ الكوفيون، ويعقوب، وابن كثير، وأبو عمرو (كَلِمَت) بغير ألف على التوحيد كان من المذهب الوقف بالهاء، وفي مصاحف أهل العراق مرسوماً بالهاء.

٢ - وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (**كلمات**) بألف على الجمع، والوقف بالتاء[١٣٣٨].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

سبق تعريف (كلمة)[١٣٣٩].

(١٣٣٨) انظر [النشر (١٩٧/٢) (٢١٦/٢) (٩٧/٢ - ٩٨)].

(١٣٣٩) راجع ص٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩.

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

لما كان التعريض على المشركين الشّاكين في صدق النبي ﷺ والاستشهاد عليهم في صدقه بشهادة أهل الكتاب، أعقب ذلك بأنهم من زمرة الفرق الذين حقَّت أي ثبتت عليهم كلمة العذاب بإرادة الله الأزلية، بأنهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر(١٣٤٠).

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر (كلمات) بألف على أنها جمع كلمة، وذلك بحسب الكثرة أو الصنفية(١٣٤١).

فالمراد بكلمات أمر التكوين، وجمعت بالنظر إلى أنَّ متعلقها ناس كثيرون، فكل واحد منهم تحق عليه كلمة.

وقرأ الباقون (كَلِمَت) بغير ألف، على أنها مفردة مراعاة للجنس إذ تحق على كل أمة كلمة(١٣٤٢).

والمراد بتحقيق الكلمة هنا أي: بقول الله ـ تعالى ـ الذي كتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به الملائكة، أنهم يموتون كفاراً(١٣٤٣).

أو المراد باللعنة، أو بنزول العذاب أو بالسَّخط أو بالنقمة(١٣٤٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أرى أنه لا تضاد في المعنى بين القراءتين فالجمع يكون باعتبار تعدد الكلمات، أو باعتبار تكرار الكلمة بالنسبة لأناس كثيرين، والكلمة تطلق على

(١٣٤٠) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٦/١١) صفوة التفاسير (٥٩٧/١) والمقتطف من عيون التفاسير (٤٩٨/٢)].

(١٣٤١) انظر [مفاتيح الغيب (١٣١/١٧)].

(١٣٤٢) انظر [التحرير والتنوير (٢٨٧/١١)].

(١٣٤٣) انظر [الكشاف (٢٥٣/٢) مدارك التنزيل (٤٧٥/٢)].

(١٣٤٤) انظر [زاد المسير (٣٥٠/٢)].

مجموع الكلام، وقد سبق الجمع بين القراءتين[1345].

٣٤ ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ سهل ورش الهمزة الثانية في (أفانت) لأنها وقعت بعد الاستفهام.

ب ـ وقرأ الباقون ﴿أَفَأَنتَ﴾ بتحقيق الهمزتين[1346].

١ ـ أ ـ قرأ ورش والسوسي وأبو جعفر (مومنين) بإبدال همزه واواً ساكنة وصلاً ووقفاً، ووقفاً لحمزة.

ب ـ وقرأ الباقون (مؤمنين) بتحقيق الهمزة[1347].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

مؤمنين: من الفعل آمن وقد سبق تعريفه[1348].

ثالثاً: التفسير الإجمالي للآية:

الآية تسلية للنبي ﷺ، وترويح لقلبه الشريف مما كان يحرص عليه من إيمان الناس جميعاً فيقول له ﷻ: إنَّه لن يصدقك يا محمد ولن يتبعك إلا من شاء ربك لهم، لا بإكراهك إياه ولا بحرصك على ذلك[1349].

رابعاً: العلاقة التفسيرية بين القراءات:

من قرأ (أفأنت) بتحقيق الهمز فإنه يتناسب مع قراءة (مؤمنين) بتحقيق الهمز أيضاً، فلثقل الهمز نستطيع أن نُفَسر (أفأنت) بأنه استفهام إنكاري،

(١٣٤٥) راجع آية ٣٣ من سورة يونس ص٢٩٧.
(١٣٤٦) انظر [النشر (٣٠٩/١) (٢١٦/٢)، في هامش القرآن ص٢٢٠].
(١٣٤٧) انظر [في هامش القرآن ص٢٢٠].
(١٣٤٨) راجع ص١٤٠.
(١٣٤٩) انظر [جامع البيان (١٧٣/١١)، صفوة التفاسير (٥٩٨/١)].

والثقل يفيد تقوية حكم الإنكار ويدل على حرص النبي ﷺ على إيمان قومه وشدة الاهتمام بهم، وقراءة مؤمنين تدل على أنّه ﷺ حريص على أن يؤمن قومه إيماناً قوياً راسخاً. وأما قراءة التسهيل في (أفانت) تتناسب مع قراءة (مومنين)، وفي التسهيل خفة فكأن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله هون عليك، وفيه معنى الثناء على النبي ﷺ والمعذرة له على عدم استجابتهم إياه، ومن بلغ المجهود حق له العذر[١٣٥٠] والله أعلم.

٣٥ - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: ١٠٠].

أولاً: القراءات:

١ - قرأ أبو بكر (شعبة) (**ونَجعل**) بالنون.

٢ - وقرأ الباقون ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالياء[١٣٥١].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

جَعَل: جعل الشيء يَجْعله جَعْلاً ومَجْعَلاً واجتعله وضعه وصنعه وصيره وجعل بمعنى خلق أيضاً[١٣٥٢].

ثالثاً: المعنى الإجمالي للآية:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي ما كان وما ينبغي لنفس من النُّفوس البشرية أن تؤمن إلا بإذن الله وإرادته ومشيئته وتوفيقه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي ويجعل الرجس وهو الخذلان على الذين لا يعقلون، أي: لا يستخدمون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات التي دلّ بها سبحانه وتعالى على نبوة محمد ﷺ، والذين هم مصرون على الكفر، وسمّي الخذلان رجساً وهو العذاب؛ لأنه سببه[١٣٥٣].

(١٣٥٠) انظر [التحرير والتنوير (٢٩٣/١١)].

(١٣٥١) انظر [النشر (٢١٦/٢)].

(١٣٥٢) انظر [لسان العرب (١١٠/١١ - ١١١) مادة جعل].

(١٣٥٣) انظر [جامع البيان (١٧٤/١١)، البحر المحيط (١٩٣/٥)، زاد المسير (٣٥٢/٢)].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

قرأ الجمهور ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ بياء الغيبة، وحجتهم قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقد تقدم ذكر الله في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] لذلك قرأوا ﴿وَيَجْعَل﴾ بياء الغيبة؛ لأن الضمير عائد إلى اسم الجلالة الذي قبله في نفس الآية، فكانت القراءة متَّسقة مع السياق، ومتمشية مع المناسبة.

وانفرد شعبة بقراءة ﴿وَنَجْعَلُ﴾ والحجّة أنه ردَّه على قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢] فقرأ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وذلك تنبيهاً للأذهان على أنَّ الله وحده هو القادر على إخراج الحائر من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان(١٣٥٤).

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أجد: أنَّ القراءة بياء الغيبة كانت متَّسقة مع السياق، والقراءة بنون العظمة شاهد على الالتفات من الغيبة إلى التكلم(١٣٥٥)، بالإضافة إلى إظهار جمال أسلوب القرآن الكريم وإعجازه.

٣٦ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس: ١٠٣].

أولاً: القراءات:

١ ـ أ ـ قرأ أبو عمر (نُنَجِّي رُسْلنا) بتشديد حرف الجيم، وفتح النون الثانية، وإسكان السين.

ب ـ وقرأ يعقوب (نُنْجِي رُسُلَنا) بتخفيف الجيم، وإسكان النون الثانية، وضم السين.

(١٣٥٤) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٣٠٦٩/٤)، والحجة: ابن خالويه ص١٠٤، والتحرير والتنوير (٢٩٥/١١)، التوجيه البلاغي ص٢٣٣].

(١٣٥٥) راجع ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

ج ـ وقرأ الباقون (نُنَجِّي رُسُلنا) بتشديد الجيم، وفتح النون الثانية، وضم السين.

٢ ـ أ ـ قرأ حفص والكسائي، ويعقوب (نُنْج المؤمنين) بتخفيف الجيم، وإسكان النون الثانية.

ب ـ وقرأ الباقون (نُنَجِّ المؤمنين) بالتشديد على حرف، وفتح النون الثانية[١٣٥٦].

٣ ـ أ ـ ووقف يعقوب على (ننج) بالياء.

ب ـ ووقف الباقون على (ننج) بحذف الياء ولا خلاف في حذفها وصلاً للساكنين[١٣٥٧].

ثانياً: المعنى اللغوي للقراءات:

ننجي: من الفعل نجا ومنه النجاء أي الخلاص من الشيء[١٣٥٨].

الرسول: بمعنى الرسالة والمُرْسل ومنه الإرسال، أي: التوجيه والجمع أرْسُل ورُسُل ورُسْل ورُسَلاَء. والرسول معناه في اللغة الذي يُتابع أخبار الذي بعثه أَخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي رسالة. والرسول اسم من أرسلت كذلك الرسالة[١٣٥٩].

المؤمنون: من الفعل أمن، ومنه الإيمان مصدراً من يؤمن أيماناً فهو مؤمن، وهو التصديق. والمؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شاك، وهو الذي يرى أنَّ أداء الفرائض واجب عليه[١٣٦٠].

ثالثاً: التَّفسير الإجمالي للآية:

(١٣٥٦) انظر [النشر (١٩٤/٢) (٢١٦/٢)، فريدة الدهر (٨٦٢/٣ ـ ٨٦٣)].
(١٣٥٧) انظر [النشر (١٠٣/٢) (٢١٦/٢)].
(١٣٥٨) راجع ص٣٤٤.
(١٣٥٩) انظر [لسان العرب (٢٨١/١١ ـ ٢٨٤) مادة رسل].
(١٣٦٠) انظر [المرجع السابق (٢١/١٣ ـ ٢٤) مادة أمن].

إن كفر الأمم وخروجها عن نواميس الشرع يكون سبباً لإيقاع العذاب والهلاك فإذا ما حلّ غضب الله بأمة من الأمم، فإن الله تكفَّل بحفظ أنبيائه والمؤمنين فقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا﴾ عطف على الجملة ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يونس: ١٠٢] وقيل عطف على مقدَّر، يدل عليه قول الله تعالى في الآية السابقة والتقدير: هذه سنة الله الكونية نهلك الكافرين ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وكذلك في موضع نصب تقديره: مثل ذلك الإنجاء الذي نجينا الرسول ومؤمنيهم، ننجي من آمن بك يا محمد ﴿حَقًّا عَلَيْنَا﴾، أي: حقَّ ذلك حقاً علينا ﴿نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كذلك حقاً علينا من غير شك: أن ننجيك يا محمد وننجي المؤمنين[١٣٦١].

رابعاً: العلاقة التَّفسيرية بين القراءات:

القراءة الأولى:

قرأ يعقوب (نُنْجِي) من الفعل المزيد بهمزة التعدية أنجى يُنْجِي، والأصل (نجا) الثلاثي اللازم، ونظائر هذا في القرآن، قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وقوله ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وتفيد قراءة التخفيف: سرعة إنجاء الله للرسل وللمؤمنين.

وقرأ الباقون (نُنَجِّي) من الفعل المزيد بالتضعيف من أجل التعدية أيضاً، وهو نجّى يُنَجِّي والأصل (نجا) كذلك ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود: ٥٨] وقوله: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [يونس: ٧٣][١٣٦٢]. فأفادت قراءة التشديد التدرج والتكرير في التنجية.

(١٣٦١) انظر [جامع البيان (١١/١٧٦)، البحر المحيط (٥/١٩٤) إرشاد العقل السليم (٣/٥٤٢)، معاني القرآن الكريم: الأخفش (٢/٥٧٤)].

(١٣٦٢) انظر [الحجة: أبو علي الفارسي (٤/٣٠٥ ـ ٣٠٦)، الحجة: ابن خالويه ص ١٠٤].

خامساً: الجمع بين القراءتين:

أ ـ الجمع بين صيغتين مزيدتين بالهمزة والتضعيف لأصل واحد بمعنى واحد في موضع واحد، مألوف في لغة القرآن يقول تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٧] ويقول فريق من المفسرين وأصحاب التوجيه: هما لغتان بمعنى واحد(١٣٦٣) ولكن هناك منهم من أدرك الفرق اللطيف بين اللغتين، فالفعل (يُنجِّي) بالتشديد فيه معنى التكرار والمداومة على الفعل والاستمرار، وهذا يدلّ على معنى أنه ينجيهم نجاة بعد نجاة، فنجاة الله مستمرة لرسله على مدار حياتهم، والقرآن يشهد لذلك، وأيضاً في الآخرة ينجيهم من النار(١٣٦٤). وهذا الموضع تعبيرٌ شاهدٌ على الدِّلالة الدقيقة بين لغتين تشتركان في المعنى العام(١٣٦٥).

ب ـ انفرد أبو عمر بقراءة (رُسْلَنا) بإسكان الميم، والتسكين لغة بكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميم(١٣٦٦) والإسكان من السكون والهدوء والثبات والطمأنينة والوقار وكل هذه المعاني يختص بها الرسل ـ عليهم السلام ـ، وحملهم على ذلك أنهم كرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل وهو الضم، فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال، وأيضاً إذا تتابعت الضمّتان فإن هؤلاء يخففون(١٣٦٧).

وقرأ الباقون (رُسُلنا) بضم السين، والضم فيها ثقل، فناسب ثقلها ثقل الرسل وثقل إيمانهم، وإخلاصهم في الدعوة.

القراءة الثانية:

(١٣٦٣) انظر [الكشف (٥٢٣/١)، الحجة: ابن زنجلة ص ٣٣٧، مفاتيح الغيب (١٣٦/١٧)].

(١٣٦٤) انظر [الكشف (٥٢٣/١)، الحجة: ابن خالويه ص ٥٧، البحر المحيط (١٨٩/٥)].

(١٣٦٥) انظر [التوجية اللغوي والبلاغي: د. صبري ٢٣٣ ـ ٢٣٤].

(١٣٦٦) انظر [كتاب سيبويه (١١٣/٤)].

(١٣٦٧) انظر [المرجع السابق (١١٤/٤)].

قرأ حفص، والكسائي، ويعقوب (نُنج) بتخفيف الجيم، وإسكان النون والتوجيه في ذلك هو نفس التوجيه الذي ذكرنا عند توجيهنا لقوله تعالى (نُنجي رسلنا) وقرأ الباقون (نُنَجِّ المؤمنين) بالتشديد على حرف الجيم وفتح النون الثانية. أيضاً نفس التوجيه السابق في قوله تعالى (نُنجّي رسلنا) إضافة إلى أنَّ مَن شدّد هنا حجته أيضاً: أنهم أجمعوا على التشديد قوله تعالى (ننَجِّي رسلنا) فردّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه[١٣٦٨].

وبالجمع بين القراءتين:

أيضاً الجمع هنا كما جمعت هناك في قوله تعالى (ننجِّي رسلنا) ففي التشديد معنى التكرير والمداومة والاستمرار على الفعل.

فإنجاء الله للمؤمنين من العذاب إذا نزل بالمكذبين مستمر ودائم أيضاً وينجيهم في الآخرة من النار.

القراءة الثالثة:

وقف يعقوب على (ننج) بالياء.

ليتسق مع السياق في الآية حيث الفعل (ننجي رسلنا) بالياء وعلى معنى عامة المؤمنين، فناسب زيادة الياء عموم المؤمنين.

في حين وقف الباقون على (ننج) بحذف الياء نظراً إلى أنها في الوصل محذوفة فعاملوها معاملة الوصل.

وحذف الياء يتناسب مع تخصيص المؤمنين من بين الناس أجمعين في النجاة فناسب حذف الياء التخصيص، والله أعلم.

الجمع بين القراءتين:

قراءة (ننجي) بالياء جاءت مطلقة، فالإنجاء يشمل جميع المؤمنين، في حين أن قراءة (ننجِ) بحذف الياء قيدت وخصصت المؤمنين من بين الناس

(١٣٦٨) انظر [الحجة: ابن زنجلة ص٣٣٧].

فزادت في تبيين دقة اللفظ القرآني في التعبير والله أعلم.

لطيفة: نلاحظ أن (ننجي رسلنا) هنا الفعل بالياء في حين (ننجِ المؤمنين) كان الفعل بحذف الياء والذي نستنتجه من ذلك أنَّ الفعل المضافَ له رسلنا جاء بالياء؛ لأنه يشمل كلَّ الرسل، لذلك أضاف الضمير المتكلم إلى رسلنا، فناسب أيضاً زيادة الياء، أما الحذف في الفعل (ننج المؤمنين)؛ فلأنَّه خصص المؤمنين من بين العباد في النجاة، فناسب الحذف في الياء التخصيص، والله أعلم.

فهرس المصادر والمراجع[1369]

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ الإبانة عن معاني القراءات: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ ـ ٤٣٧هـ) ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٣ ـ أبجد العلوم الوشى المرقوم في بيان أحوال العلوم: صدّيق بن حسن القانوجي ـ تحقيق عبد الجبار زكار ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.
٤ ـ أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب: دراسات لسانية ولغوية: د.عصام نور الدين ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٥ ـ إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمّى منتهى الأماني والمسرّات في علوم القراءات: الشيخ أحمد بن محمد البنا ـ تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
٦ ـ الإتقان في علوم القرآن: الحافظ جلال الدين السيوطي ـ تحقيق مصطفى ديب البغا ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ ط٥ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
٧ ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء: تأليف د. عبد الصبور شاهين ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
٨ ـ الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها: د. حسن ضياء الدين عتر ـ دار البشائر الإسلامية ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٩ ـ أحكام القرآن: أبو بكر الرازي (٣٧٠هـ) ـ راجعه صدقي محمد جميل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

(١٣٦٩) لم أعتبر في الترتيب (أل) التعريف وقد شمل هذا الفهرس الكتب التي أحيل إليها في الهامش.

١٠ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود (القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي) (ت ٩٨٢) - خرج أحاديثه الشيخ محمد صبحي حسن حلان - دار الفكر - بيروت - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١١ - إرشاد المريد إلى مقصود القصيد: تأليف علي محمد الضباع مراجع المصاحف بمشيخة المقارئ المصرية سابقاً - اعتنى به أ/جمال محمد شرف، أ/عبد الله علوان - دار الصحابة للتراث بطنطا - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢ - أساس البلاغة: الإمام الكبير جار الله أبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط١ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣ - الأساس في التفسير: سعيد حوى - دار السلام - ط٢ - سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٤ - أسباب النزول: للإمام أبى الحسن علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ) - تحقيق أيمن صالح شعبان - دار الحديث - القاهرة - سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥ - أسباب النزول: للإمام السيوطي - دراسة وتحقيق حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - ط١ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٦ - أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) - تحقيق د. عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٧ - الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

١٨ - الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس - الناشر مكتبة الأنجلو المصرية - ط٥ - ١٩٧٩م.

١٩ - الأصوات اللغوية: د. عبد القادر عبد الجليل دار الصفاء عمان الأردن ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٠ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي الموريتاني المالكي الإفريقي (١٣٢٠ - ١٣٩٣) وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ط ١ - سنة(١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٢١ - الإعجاز في دراسات السابقين، دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها: عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - ط١ - سنة ١٩٧٤م.

٢٢ - الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية لترا ث أهل العلم: د. محمد محمد أبو موسى - مكتبة وهبة الجمهورية - عابدين المحرم ١٤٠٥هـ - سبتمبر ١٩٨٤م.

٢٣ ـ إعجاز القرآن الكريم: د. فضل حسن عباس، سناء فضل عباس ص٢٩ ـ عمّان ـ سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٤ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ ط٨ ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

٢٥ ـ إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمداني النحوي الشافعي ـ حققه: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٦ ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين المستشرقين: خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٥ ـ مايو ١٩٨٠م.

٢٧ ـ الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التّميمي السّمْعاني (ت ٥٦٢هـ) ـ تقديم: عبد الله عمر البارودي ـ دار الجنان ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٨ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضى ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ـ الناشر مكتبة الجمهورية العربية ـ مصر ـ تصحيح محمد سالم محيسن.

٢٩ ـ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن: د.عبد الله محمود شحاته ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ط٢ ـ ١٩٨١م.

٣٠ ـ أوضح المسالك عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام، الأنصاري المصري (ت ٧٦١هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٥ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك لمحمد محي الدين عبد الحميد.

٣١ ـ الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب البغدادي ـ منشورات الكتب ـ لبنان ـ ط٤.

٣٢ ـ باب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق أ.د/ حمزة النشرقي ـ الشيخ عبد الحميد فرغلي.

٣٣ ـ البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ـ دار الفكر ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٤ ـ البداية والنهاية: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ـ تحقيق د. أحمد عبد الوهّاب ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٦ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٥ ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٣٦ ـ البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدّرة تأليف خادم العلم والقرآن عبد الفتّاح القاضي ـ مكتبة أنس بن مالك ـ مكة المكرمة ـ ط١ ـ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٧ ـ البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ ط٢ ـ عيسى البابي وشركاه.

٣٨ ـ بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ـ ط٢ ـ غرة جماد الآخرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٩ ـ بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن في رواية حفص من طريق الشاطبية: محمد بن شحادة الغول ـ دار ابن القيم ـ المملكة العربية السعودية ـ ط٤ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٤٠ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وأمرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها ممن دخل إليها أو خرج منها: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ) ـ طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس سنة ١٨٨٤م.

٤١ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: الحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.

٤٢ ـ بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرَّائي ـ دار عمار ـ عمان ـ ط٢ ـ ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٣ ـ تاج التفاسير لكلام الملك الكبير: تأليف العالم العلامة السيد محمد عثمان ابن السيد محمد أبي بكر ابن السيد عبد الله المَرغني ـ وبهامشه القرآن المجيد مرسوماً بالرسم العثماني ـ دار الفكر ـ ط٢.

٤٤ ـ تاريخ ابن خلدون المسّمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت سنة ٨٠٨هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٤٥ ـ تاريخ القرآن: أبو عبد الله الزنجاني، قدّم له: الأستاذ أحمد أمين، من مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٤٦ ـ تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٤٧ ـ تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة: للإمام المحقق محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ـ تحقيق أ. جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث بطنطا.

٤٨ ـ التحديد في الاتقان والتجويد: تأليف أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي دراسة وتحقيق غانم قدورى حمد ـ دار الأنبار ـ العراق ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٨م.

٤٩ ـ تحرير التنبية معجم لغوي: الإمام الحافظ شيخ الإسلام محى الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١ ـ ٦٧٦م) ـ تحقيق د. فايز الداية د. محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٥٠ ـ التحرير والتنوير: الشيخ محمد الطّاهر بن عاشور ـ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧م.

٥١ ـ تذكرة الحفّاظ: الإمام أبو عبد الله شمس الدين الذهبى (ت٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م) ـ دار الفكر العربي ـ صُحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت إعانة وزارة المعارف الحكومة العالية الهندية ـ سنة التصحيح ١٥ شوال ـ ١٣٧٤هـ ـ عبد الرحمن بن يحيى العلمي.

٥٢ ـ التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ـ دار الشرق ـ القاهرة ـ ط١٦ ـ سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٥٣ ـ تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم: (أبو محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري (ت ٣٠٨هـ) ـ تحقيق: أحمد فريد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٥٤ ـ تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت١٠٢هـ) ـ تحقيق د. محمد عبد السلام أبو النيل ـ دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٥ ـ تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، الشهير بالخازن ـ وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت ٥١٦هـ) ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٥٦ ـ تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ) ـ تحقيق على محمد مَعّوض، عادل أحمد عبد الموجود، د.زكريا عبد المجيد النُوتي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٧ ـ تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي ـ أخبار اليوم ـ قطاع الثقافة.

٥٨ ـ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي ـ رقّمه وصحّحه وخرّج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية.

٥٩ - تفسير القرآن العظيم: الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - سنة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

٦٠ - تفسير القرآن الكريم: د. عبد الله شحاتة - دار غريب - القاهرة.

٦١ - تفسير القرآن الكريم المسمّى السِّراج المنير: الخطيب الشربيني - دار المعرفة - بيروت - لبنان - ط٢.

٦٢ - تفسير القرآن للقراءات القرآنية العشر من خلال الفاتحة والبقرة وآل عمران رسالة ماجستير: عبد الله علي الملاحي، إشراف: د. مروان أبو راس - سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦٣ - التفسير القيم: لابن القيم (٦٩١هـ - ٧٥١هـ) جمعه محمد أويس الندْوي - حققه محمد حامد الفقى - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٦٤ - التفسير الكبير: للإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية (ولد سنة ٦٦١ وتوفي سنة٧٢٨هـ) - تحقيق وتعليق د.عبد الرحمن عميرة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٥ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الإمام فخر الدين الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٦٦ - تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - ط٥ - سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٦٧ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د. وهبه الزحيلي - دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩١م.

٦٨ - التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار النفائس - الأردن - ط١ - سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٩ - التفسير الواضح: د. محمد محمود حجازي - مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة - ط٦ - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٧٠ - تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (ت ١٥٠هـ) - تحقيق أحمد فريد - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧١ - تقريب التهذيب: الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ومعه حاشيتا عبد الله بن سالم البصري ومحمد أمين ميرغني، وقدم له محمد عوّامة - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٢ - التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي - مكتبة وهبة - القاهرة - ط٦ - سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٧٣ ـ تقريب النشر في القراءات العشر: لابن الجزري ـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٧٤ ـ تهذيب الصحاح: محمود بن أحمد الزنجاني ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ أحمد عبد الغفور عطار ـ دار المعارف بمصر.

٧٥ ـ تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ـ تحقيق عبد العظيم محمود ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـ مطابع سجل العرب ـ القاهرة.

٧٦ ـ التوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة الإمام عاصم: د. صبري المتولى المتولى ـ دار غريب ـ القاهرة ـ سنة ١٩٩٨م.

٧٧ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف عبد الرحمن بن ناصر السعدى ـ قدم له محمد بن صالح العثيمين ـ مكتبة الصفا ـ مطابع دار البيان الحديثة ط١ ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٧٨ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٧٩ ـ الجامع الصحيح: للترمذي ـ تحقيق إبراهيم عطوة ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي ـ ط٢ ـ سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٨٠ ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي ـ راجعه محمد إبراهيم الحفناوي ـ محمود حامد عثمان ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٨١ ـ الجَنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المُرادي ـ تحقيق د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٢ ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت.

٨٣ ـ الجوهر المصون في رواية قالون: تحقيق السيد هادي بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن السَّقاف العَلَوي.

٨٤ ـ حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) على تفسير البيضاوي ـ ضبطه وخرج آياته وأحاديثه الشيخ عبد الرزاق المهدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٥ ـ حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ـ تحقيق سعيد الأفغاني ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٨٦ - الحجة في القراءات: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) - تحقيق أحمد زيد المزيدي - قدم له: د. فتحي حجازي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - منشورات محمد علي بيضون - ط١ - سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٠م.

٨٧ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار - دار صادر - بيروت - ط٢ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨٨ - الدر المنثور في التفسير المأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي - دار الفكر - بيروت - لبنان - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٨٩ - دراسات في مناهج المفسرين: إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة - دار الوفاء - مكتبة الأزهر - القاهرة - ط سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٠ - دراسات لأسلوب القرآن: عبد الخالق عضيمة - دار الحديث - القاهرة.

٩١ - دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر - عالم الكتب - القاهرة - ط٢ - ١٩٨١م.

٩٢ - دلائل الإعجاز: الإمام عبد القادر الجرجاني - صححه وعلق حواشيه محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت - لبنان - سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٩٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري - دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - ضبطه وصححه علي عبد الباري عطيه - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٩٥ - زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ - تحقيق عبد الرزاق المهدي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٩٦ - زاد المعاد في هدى خير العباد محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين: للإمام ابن قيِّم الجوزية - المطبعة المصرية ومكتباتها.

٩٧ - زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم المسمّي فتح المنعم ببيان ما احتيج لبيانه من زاد المسلم: للحافظ سيدى محمد حبيب الله المشهور بما يأبي الجكني ثم اليوسفي نسباً المالكي مذهباً المتوفى بمصر سنة ١٣٦٣هـ.

٩٨ - سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ) - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٩٩ ـ سنن الترمذي: الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ حكم على أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ـ ط١.

١٠٠ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدّين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٧ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٠١ ـ السيرة النبوية: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ـ تحقيق جمال بدران ـ الدار المصرية البنانية ـ القاهرة ـ ط٢ ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٠٢ ـ السيرة النبوية: لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ) ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ١٩٧٥م.

١٠٣ ـ شذا العَرف في فن الصرف: أحمد الحملاوي ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ مصر ـ ط١٦ ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

١٠٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي ـ منشورات دار الأفاق الجديدة ـ بيروت.

١٠٥ ـ شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ـ دار الاتحاد العربي ـ الناشر محمد علي صبيح ـ الأزهر ـ ط٥ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٨م.

١٠٦ ـ شرح التصريح على التوضيح: للشيخ الإمام خالد بن عبد الله الأزهري ـ دار إحياء الكتب العربية.

١٠٧ ـ شرح الرّضِيّ على الكافية: رضي الدين الإسترباذى ـ تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر ـ كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

١٠٨ ـ شرح المفصل: للشيخ العالم (العلامة جامع الفوائد موفق الدين) يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) ـ عالم الكتب ـ بيروت القاهرة.

١٠٩ ـ الصاحبي: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ـ تحقيق أحمد صقر ـ مطبعة عيسى البابي وشركاه ـ القاهرة.

١١٠ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجواهري ـ تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١١١ ـ صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بَرْدِزْبَه (المولد ١٣ شوال سنة ١٩٤هـ=٨١٠م، المتوفي ٢٥٦هـ=٨٨٠م) ـ حقق أصوله ووثق نصوصه وكتب مقدماته ورقمه وطبع فهارسه طه عبد الرؤوف سعد ـ ط سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

١١٢ ـ صحيح سنن الترمذي: صححه محمد ناصر الألباني ـ الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ـ أشرف على طباعته زهير الشاويش ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١١٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ المطبعة المصرية ومكتباتها.

١١٤ ـ صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ ط٤ ـ سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م.

١١٥ ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السّخاوي ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

١١٦ ـ طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدّين أبي نصر عبد الوهاب السُبكي ـ تحقيق محمود محمد الطناجي، عبد الفتّاح الحلو ـ دار إحياء الكتب العربية.

١١٧ ـ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ـ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١١٨ ـ طبقات المفسرين: الحافظ شمس الدّين الداوودي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١١٩ ـ طبقات النحويّين واللغويّين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ) ـ تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ ط٢.

١٢٠ ـ علم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا: د.عصام نور الدين ـ دار الفكر اللبناني ـ بيروت ط١ ـ سنة ١٩٩٢م.

١٢١ ـ العمادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر (الكشف عن علل القراءات وتوجيهاتها): د. محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٢ ـ غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٢٣ ـ غيث النفع في القراءات السبع: ولي الله سيدي علي النوري الصفاقسي ـ ضبطه: محمد عبد القادر شاهين ـ دار الكتب العلمية ـ ط١ ـ سنة١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٤ ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني ـ رقمه محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

١٢٥ ـ فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدّراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ـ اعتنى به وراجع أصوله يوسف الفُرش بصنعاء ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
١٢٦ ـ الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتخب حسين بن أبي العز الهَمَذ (ت سنة ٦٣٤هـ) ـ تحقيق د. فهمي حسن النمر، د. فؤاد علي مخيمر ـ دار الثقافة ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
١٢٧ ـ فريدة الدهر في تأصيل وجمع القراءات العشر: تحرير وجمع الفقير محمد إبراهيم محمد سالم ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٢٨ ـ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه: أبو عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق الأستاذ أحمد بن عبد الواحد الخيّاطي (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م) ـ مطبعة فضالة ٣ زنقة ابن زيدون المحمدية (المغرب) ـ المملكة المغربية ـ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
١٢٩ ـ فضائل سور القرآن دراسة: د. إبراهيم علي السيد علي عيسى ـ مصر ـ القاهرة ـ الإسكندرية ـ دار السلام ـ ط٢ ـ ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.
١٣٠ ـ الفوائد المشوق في علوم القرآن: ابن الجوزية ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٩٨٣م.
١٣١ ـ في رحاب التفسير: عبد الحميد كشك ـ المكتب المصري الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
١٣٢ ـ في ظلال القرآن: سيد قطب ـ دار الشروق ـ ط ١٣ ـ سنة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٣٣ ـ في هامش القرآن الكريم القراءات العشر المتواترة: فكرة وتنفيذ: علوي بن محمد بن أحمد بلفقيه وإشراف محمد كريم راجح شيخ القراء في الديار الشامية ـ دار المهاجر للنشر والتوزيع ـ ط٤ ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
١٣٤ ـ القاموس المحيط: للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ) ـ تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ شارع سوريا ـ ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
١٣٥ ـ القراءات أحكامها ومصدرها: د. شعبان إسماعيل ـ مطبوعات رابطة العالم الإسلامي ـ ط٢ ـ سنة ١٤١٤هـ.
١٣٦ ـ القراءات القرآنية من الوجهة البلاغية: د. فضل حسن عبّاس ـ مجلة دراسات ـ المجلد الرابع عشر ـ العدد السابع ـ سنة ١٩٨٧م.
١٣٧ ـ القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية: د. محمد الحبش ـ دار الفكر المعاصر بيروت ـ لبنان ـ ط١ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٣٨ ـ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام: إعداد محمد بن عمر بن سالم بن بازمول ـ دار الهجرة ـ المملكة العربية السعودية ـ ط١ ـ سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٩ ـ القرآن إعجازه وبلاغته: د. عبد القادر حسين ـ المطبعة النموذجية ـ مكة.

١٤٠ ـ قطر الندى وبلّ الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ط١١ ـ ربيع الثاني ١٣٨٣هـ أغسطس ١٩٦٣م.

١٤١ ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ـ تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٤٢ ـ كتاب المُغَرِّب في ترتيب المعرب: أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي الفقية الحنفي الخوارزمي (ت ٦١٦هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٤٣ ـ كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد ـ تحقيق د. شوقى ضيف ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة.

١٤٤ ـ كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعت السجستاني الحنبلي، المعروف بابن داوود (٢٣٠هـ ـ ٣١٦هـ) ـ تحقيق د. محمد واعظ ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٤٥ ـ كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت سنة ١٨٠هـ) ـ تحقيق عبدالسّلام محمد هارون ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٤٦ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥هـ ـ ٤٣٧هـ) ـ تحقيق د. محى الدين رمضان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٥ ـ سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٤٧ ـ الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكَفوى المتوفى سنة ١٠٩٤هـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ سوريا ـ ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٤٨ ـ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة: الشيخ نجم الدين العربي ـ دار الفكر.

١٤٩ ـ لب اللباب في تحرير الأنساب: للإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، وإشراف أحمد عبد العزيز ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٥٠ ـ لباب التأويل في معالم التنزيل: الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٥١ ـ لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ـ دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٢ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني ـ تحقيق وتعليق عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين ـ يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة ـ لجنة إحياء الثرات الإسلامي ـ مصر ـ القاهرة ـ سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

١٥٣ ـ لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن: صابر غانم المنكوت ـ دار إحياء الثرات الإسلامي ـ دولة قطر، عنى بطبعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

١٥٤ ـ اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية: تشيم رابين، ترجمة د. عبد الكريم مجاهد ـ دار الفارس ـ الأردن ط١ ـ ٢٠٠٢م.

١٥٥ ـ اللهجات العربية في القراءلت القرآنية: د. عبده الراجحي ـ مكتبة المعارف ـ الرياض ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٥٦ ـ ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي: عبد القادر الهَيْتي ـ دار الكتب الوطنية ـ منشورات جامعة قانيونس ـ بنغازي ـ ط١ ـ ١٩٩٦م.

١٥٧ ـ مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٣٥ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٥٨ ـ المبسوط في القراءات العشر: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني (٢٩٥ ـ ٣٨١هـ) ـ تحقيق وتعليق: جمال الدين محمد شرف ـ دار الصحابة للتراث بطنطا ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٥٩ ـ متن الألفية: للعلامة الهمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسي ـ المطبعة الخيرية: مالكها السيد عمر حسن القاهرة ـ مصر ـ ط ١٣١٩هـ.

١٦٠ ـ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثني التَّيميّ (ت سنة ٢١٠هـ) ـ علق عليه د.محمد فؤاد سزكين ـ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٦١ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن: للشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٢ ـ مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ـ تحقيق عبد المحسن سلطان ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٦٣ ـ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم ـ دار القلم ـ دمشق ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦٤ ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: تحقيق علي النجدي ناصف، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ القاهرة ـ سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٦٥ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ـ طبعة محققه عن نسخه آيا صوفيا ـ استنبول رقم (١١٩) محفوظة في مكتبة مرعشي بخفي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ط سنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٦٦ ـ المحيط في اللغة: تأليف كافي الكفاة، إسماعيل بن عبَّاد (٣٢٦هـ ـ ٣٨٥هـ) ـ تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

١٦٧ ـ مختار الصحاح: الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ـ راجعه لجنة من علماء العربية ـ دار الفكر ـ طرابلس ـ بيروت.

١٦٨ ـ مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ـ تحقيق سيد زكريا ـ مكتبة نزار مصطفى الباز ـ المملكة العربية السعودية ـ مكة ـ ط١ ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٦٩ ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ ـ ١٢٦٧م) ـ حققه طيار آلتي قولاج ـ دار صادر ـ بيروت ـ سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

١٧٠ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ـ شرحه وعلق على حواشيه محمد أحمد جاد المولى وآخرون ـ دار الفكر.

١٧١ ـ المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط٢ سنة١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

١٧٢ ـ المستنير في تخريج القراءات المتواترة من حيث اللغة والإعراب والتفسير: د. محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٧٣ ـ مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ دار الفكر العربي.

١٧٤ ـ مشكاة المصابيح: تأليف محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ ط٣ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٧٥ ـ المصباح المنير: أحمد بن محمد بن علي الفيّومي المقري ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ط١ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٧٦ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: تأليف العالم أحمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ـ المطبعة الأميرية مصطفى السقا ـ دار الفكر ـ المملكة العربية السعودية.

١٧٧ ـ معاني الأبنية في العربية: د.فاضل صالح السامرّائي ـ جامعة الكويت ـ كلية الآداب ـ ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٧٨ ـ معاني القراءات: تصنيف العلامة أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت سنة ٣٧٠هـ) حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيدي ـ تقديم: فتحي عبد الرحمن حجازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٧٩ ـ معاني القرآن: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٨٠ ـ معاني القرآن: الأخفش سعيد بن مَسْعِدَة البَلخي المجاشعي ـ دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد أمين ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٨١ ـ معاني القرآن: الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٨٢ ـ معاني القرآن: علي بن حمزة الكسائي (ت١٨٩هـ) ـ تقديم د. عيسى شحادة عيسى ـ دار قباء للطباعة ـ القاهرة ـ ١٩٩٨م.

١٨٣ ـ معاني القرآن وإعرابه: للزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت سنة ٣١١هـ) ـ شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبدو شلبي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٥٨٨م.

١٨٤ ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ تحقيق علي محمد البيجاوي ـ دار الفكر العربي.

١٨٥ ـ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢: كامل سلمان الجبوري دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

١٨٦ ـ معجم البلدان: للإمام شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) ـ تحقيق فريد عبد العزيز الجُندي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨٧ ـ معجم المؤلفين تراجم مصنّفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة ـ دار إحياء

التراث العربي - بيروت.

١٨٨ - المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات): د. محمد التونجي، راجى الأسمر - مراجعه د. إميل يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٨٩ - معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - ط١ - سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٩٠ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ - ١٣٤٨ م) - تحقيق د. طيّار آلتى قولاج - استانبول - منشورات مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي - طبع بالأوفست بمطابع مديرية النشر والطباعة والتجارة التابعة لوقف الديانة التركي - أنقرة - ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٩١ - مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرى (ت - ٧٦١هـ) - تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ط سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٢ - المغني في توجيه القراءات العشر: د. محمد سالم محيسن - دار الجيل - بيروت - ط٢ - سنة ١٤٠٨هـ.

١٩٣ - المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفه كُنى الرّواة وألقابهم وأنسابهم: العلامة المحدّث محمد طاهر بن علي الهندي صاحب مجمع البحار في لغة الأحاديث والآثار (ت٩٨٦هـ) - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٩٤ - المغني في علم التجويد برواية الإمام حفص عن عاصم: د.عبد الرحمن الجمل - ط٢ - ١٩٩٩م - غزة - الجامعة الإسلامية - آفاق للطباعة والنشر.

١٩٥ - مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني - تحقيق صفوان عدنان داوودي - دارالقلم - دمشق - ط٣ - سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٩٦ - المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

١٩٧ - المقتطف من عيون التفاسير: مطصفى الحسن المنصوري - تحقيق محمد على الصابوني - دار السلام - القاهرة - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٩٨ ـ مقدمة تفسير ابن النقيب في عالم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن: للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سليمان البلخي المقدسي الحنفي، الشهير بابن النقيب المتوفي سنة ٦٩٢هـ والمطبوع خطأ، بعنوان الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية: كشف عنها وعلق حواشيها د. زكريا سعيد علي ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩٩ ـ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ـ تحقيق: سعيد الفلاَّح ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢٠٠ ـ من أصول اللهجات العربية في السودان، دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة وآثارها في السودان: الأستاذ الدكتور عبد المجيد عابدين أستاذ الأدب العربي كلية الآداب ـ جامعة الأسكندرية ص٣٤ ـ دار المعرفة الجامعية ـ الأسكندرية ـ ط سنة ١٩٨٩م.

٢٠١ ـ من بلاغة القرآن: د. محمد شعبان علوان ـ د. نعمان شعبان علوان ـ الدار العربية للنشر ـ ط٢ ـ سنة ١٩٩٨م.

٢٠٢ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٠٣ ـ المنتخب في تفسير القرآن الكريم ـ وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة القرآن والسنة ـ ط١٨ ـ القاهرة ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٠٤ ـ منجد الطلاب في اللغة والأعلام ـ نظر فيه ووقف على ضبطه فؤاد إفرام البستاني ـ دار المشرق ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٣٨ ـ سنة ١٩٩١م.

٢٠٥ ـ منهج الإمام الطبري في القراءات في تفسيره: د. عبد الرحمن يوسف أحمد الجمل ـ تحت إشراف: د. فضل حسن عباس ـ رسالة ماجستير ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٦ ـ الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ـ ط٢ ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

٢٠٧ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تعزي بَرْدى الأتابكي ـ قدَّم له وعلَّق عليه محمد حسين شمس الدِّين ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٠٨ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف: مناع القطان ـ الناشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٠٩ ـ النسب: لأبي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق ودراسة مريم محمد خير الحرع، تقديم د. سهيل ذكّار ـ دار الفكر ـ ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢١٠ ـ النشر في القراءات العشر: الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ـ قدّم له علي محمد الضباع ـ خرج آياته زكريا عميرات ـ منشورات محمد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢١١ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ) ـ خرج أحاديثة: عبد الرازق غالب المهدى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢١٢ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٦٨م.

٢١٣ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ـ قدم له علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد ـ دار ابن الجوزي ـ ط٢ ـ ربيع الأول ١٤٢٣ هجري ـ المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ الرياض.

٢١٤ ـ نيل المرام من تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن ـ تحقيق علي السيد صبح المدني ـ مكتبة المدني ـ جدة ـ ط ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧١م.

٢١٥ ـ الهادى شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها: د. محمد سالم محيسن ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ ـ سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢١٦ ـ الوافي معجم وسيط اللغة العربية: الشيخ عبد الله البستاني ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ـ سنة ١٩٨٠م.

٢١٧ ـ وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن: د.محي الدين رمضان ـ دار الفرقان للنشر والتوزيع ـ عمان ـ الأردن ـ جبل الحسين ـ ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢١٨ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان (٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ) ـ إعداد وداد القاضي، عز الدّين أحمد موسى، إشراف د. إحسان عباس ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان.

٢١٩ ـ http://www.iu.edu.sa/magazine/57/37.htm Google www.iu.edu.sa/magazine/57/37

فهرس الموضوعات







